ISSN2518-0606

Al-utroha

الاطروحة

علمية محكمة

صدرت لأول مرة في آب عام ٢٠٠٢

تصدر عن دار الاطروحة للنشر العلمي

www.alutroha.com

للعلوم الإنسانية

- نظرية شبكة التناظر (التناغم) في القرآن الكريم: مبدأ النظرية
- الصحة النفسية في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)
- الخطاب الوعظي التعليمي عند جلال الدين الرومي
- اللغويات الادبية في رواية مارك توين (Huckleberry Finn)
- سيمياءُ القصيدة الحزنُ علامةٌ شعريةٌ دالّةٌ
- المتخيل العربي نحو ثقافة الأمم والشعوب (دراسة تاريخية)

العدد التاسع ـ السنة الثالثة ٢٠١٨م / ١٤٣٩هـ

AL-UTROHA.com

ISSN2518-0606

Al-utroha الاطروحة

علمية محكمة

صدرت لأول مرة في آب عام ٢٠٠٢

تصدر عن دار الاطروحة للنشر العلمي | www.alutroha.com

الاشراف العام

ا.د. احلام شهيد علي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

رئيس التحرير

ا. د. محمد جواد حبيب البدراني

جامعة البصرة

هيئة التحرير

د. امير طالب التميمي / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
ا.د. حسين علون ابراهيم / جامعة سامراء
ا.د. رعد مفيد احمد / الجامعة المستنصرية
ا.د. رجاء عجيل الحسناوي / جامعة كربلاء
ا.د. حنان عزيز عبد الحسين / جامعة بغداد
ا.د. ولاء جودت الجاف / جامعة كوية
ا.د. هدى عباس قنبر / جامعة بغداد
ا.م.د. ماجد رحيمة جبر الحلفي / جامعة ميسان
ا.م.د. سهام حسن جواد السامرائي / جامعة سامراء
ا.م.د. حيدر ابراهيم محمد / كلية الامام الكاظم (ع)
ا.م.د. عبد الستار جبر عداي / كلية الامام الكاظم (ع)
ا.م.د. مرتضى جبار كاظم / كلية الامام الكاظم (ع)
ا.م.د.عبد العزيز خضر الجاسم / جامعة الانبار
ا.م.د. محمد حسين علي السويطي / جامعة واسط
ا.م.د. رضا كامل عبد الله الموسوي / بيت الحكمة
ا.م.د. هاني فاضل الشاوي / كلية شط العرب الجامعة

صاحب الامتياز / المشرف العام

إبـــراهيم زيـــدان

معتمدة من قبل

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة سامراء
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة ميسان
وزارة التربية / الكلية التربوية المفتوحة
وزارة التخطيط
وزارة الكهرباء
جامعة غرب كردفان السودانية
جامعة افريقيا للعلوم الانسانية والتطبيقية الليبية
الجامعة الليبية الكندية للعلوم الحديثة
جامعة الاستقلال الفلسطينية
جامعة القدس المفتوحة
جامعة الزهراء (س) الايرانية
كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الاسلامية الجامعة
كلية الحكمة الجامعة
كلية شط العرب الجامعة
كلية المعارف الجامعة
مركز البحوث التربوية والنفسية / جامعة بغداد

المستشار القانوني

احمد عاصي ابراهيم

العلاقات الخارجية

اشواق جميل الاغا

العلاقات العامة

محمد الصادق ابراهيم

محمد اسماعيل

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢١٧٧) لسنة ٢٠١٦

تعنون المراسلات باسم السيد المشرف العام :

العراق / بغداد / مكتب بريد بغداد الجديدة / ص.ب (٢٠٢١٦)

E-mail: al.utroha.magazin@gmail.com

rju@alutroha.com

موبايل: 00964-7902714258/00964-7713965458/00964-7804765560

Open Journal System

الهيئة الاستشارية العلمية

ا.د. محسن عبد علي الفريجي / مستشار وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
ا.د. موسى جاسم محمد الحميش / رئيس جامعة سامراء
ا.م.د. علي عبد العزيز الشاوي / رئيس جامعة ميسان
ا.د. محمد جعفر جواد / وزارة التربية / عميد الكلية التربوية المفتوحة
ا.د. سيد علي فضل المولى / رئيس جامعة غرب كردفان السودانية
ا.د. المبروك مفتاح ابو شينة / رئيس جامعة افريقيا للعلوم الانسانية والتطبيقية الليبية
ا.د. عبد السلام عصمان بيت المال / رئيس الجامعة الليبية الكندية للعلوم الحديثة
ا.د. انيسة خزعلي / رئيسة جامعة الزهراء (س) الايرانية
ا.د. وائل ابو صالح / عميد البحث العلمي والدراسات العليا / جامعة الاستقلال الفلسطينية
ا.د. محمد ثناء الله الندوي / جامعة عليكرة الهندية
ا.د.قاسم حسن عباس السامرائي / عميد كلية الاثار / جامعة سامراء
ا.د. محمود المشهداني / عميد كلية الحكمة الجامعة
ا.م.د. عامر جميل عبد الحسين / عميد كلية شط العرب الجامعة
ا.د. محمد عبد الرحمن يونس / نائب رئيس جامعة ابن رشد / هولندا
ا.د. احمد اسماعيل حسين / عميد كلية الاعلام / جامعة غرب كردفان السودانية
ا.د. صالح سعيد دقيبينة / عميد كلية التربية العجيلات / جامعة الزاوية الليبية
ا.د. النوري محمد علي سليمان / عميد كلية الاداب والعلوم قصر خيار / جامعة المرقب الليبية
ا.د. صالح علي مسعود / عميد مدرسة الاعلام والفنون / الاكاديمية الليبية
ا.د. ابو بكر مبروك الغزالي / عميد كلية الاعلام / جامعة بنغازي الليبية
ا.د. عابدين الدردير الشريف / جامعة الزيتونة الليبية
ا.د. عدنان حسين عبد الله عياش / جامعة القدس المفتوحة
ا.د. مهند سامي العلواني / جامعة الزاوية الليبية
ا.د. زهيرة حسين بولفوس / جامعة الاخوة منتوري قسنطينة ١ الجزائرية
ا.د. غزلان عبد الكريم هاشمي / جامعة محمد الشريف مساعدية الجزائرية
ا.د. اماني عبد المقصود عبد الوهاب / جامعة المنوفية
ا.د. عطا الله رجا الحجايا / الجامعة الاردنية
ا.د. قاسم المحبشي / جامعة عدن
ا.د. نادية ابو زاهر / جامعة الاستقلال الفلسطينية
ا.د. حسن السلوادي / جامعة القدس المفتوحة
ا.د. البسيوني عبد الله جاد / جامعة الزقازيق
ا.م.د. سناء كامل احمد الشعلان / الجامعة الاردنية

obeikandl.com

مجلة الاطروحة العلمية المحكمة

نبذة تأريخية :

تصدر المجلة في بغداد عن (دار الاطروحة للنشر العلمي) بموافقة واشراف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وقد استأنفت اصدارها في آب عام ٢٠١٦ بعد توقفها عام ٢٠٠٣، وقد صدرت منها ستة اعداد ما بين عامي ٢٠٠٢- ٢٠٠٣ حين كانت تصدر ملحقاً لمجلة (كلية المعلمين) بالجامعة المستنصرية، ثم حصلت موافقة معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي (الاستاذ الدكتور عبد ذياب العجيلي) في عام ٢٠٠٩ على استئناف اصدارها مجلة مستقلة بإشراف الوزارة، ثم تم تجديد الموافقة في زمن وزير التعليم العالي والبحث العلمي (الاستاذ علي الاديب)، فصدر عددها الاستئنافي الاول في آب عام ٢٠١٦ بعد اكتمال اجراءات تسجيلها لدى المركز الدولي لتسجيل الدوريات فحصلت على التصنيف الدولي (ISSN2518-0606)، كما اعتمدت من قبل وزارات التربية والكهرباء والتخطيط ، ولدار الاطروحة للنشر العلمي ومجلتها موقع الكتروني (www.alutroha.com).

- تصدر المجلة حاليا بست طبعات متخصصة محكمة في العلوم التالية :

١- العلوم الانسانية
٢- العلوم الصرفة
٣- العلوم التطبيقية
٤- العلوم الهندسية والتكنولوجيا
٥- علوم الرياضة
٦- العلوم التربوية والنفسية

obeikandl.com

- تستعد المجلة لإصدار طبعات متخصصة محكمة في المجالات العلمية التالية :

١- العلوم الطبية والصيدلانية
٢- العلوم الزراعية والبيطرية
٣- العلوم السياسية
٤- الاعلام والعلاقات العامة
٥- العلوم الادارية والاقتصادية
٦- العلوم السياحية والآثار والتراث
٧- علوم اللغات وآدابها
٨- الدراسات التاريخية
٩- الدراسات القانونية
١٠- الدراسات الدينية وعلوم القرآن
١١- الدراسات الفلسفية
١٢- العلوم الجغرافية
١٣- تكنولوجيا الاتصالات والمعلوماتية
١٤- العلوم البيئية

اهداف المجلة :

- تسعى الى خدمة البحث العلمي وتنميته لدى اعضاء الهيئات التدريسية وطلاب الدراسات العليا من دون تمييز في الجنسية او العرق او الدين او الطائفة او القومية .
- تسعى الى حفظ الحقوق العلمية والفكرية والثقافية للباحثين من خلال نشرها وتوثيقها .

obeikandl.com

شروط النشر

-تنشر المجلة البحوث العلمية في المجالات المعرفية المتعلقة بجميع العلوم في طبعاتها المتخصصة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميا باللغتين العربية والانكليزية على ان تكون مطبوعة بنظام (word2007) ولم يسبق نشرها، وفي حالة قبوله يجب الا ينشر في اية دورية من دون اذن كتابي من رئيس تحرير الطبعة المتخصصة .

- يجب الا يزيد البحث في جميع الاحوال عن (٢٠) عشرين صفحة بضمنها المراجع والحواشي والجداول والاشكال والملاحق، ويكون نوع الحرف المستخدم (ايريال–Arial) حجم الحرف للبحث (١٤) وللعنوان الرئيس ٢٤ بولد ولاسم الباحث ١٦ بولد ولاسم الكلية والجامعة ١٤ بولد، وتكون الهوامش والمصادر في نهاية البحث لأسباب تتعلق بالتصميم بحجم ١٢ بولد، وفي حال زيادة البحث عن عدد الصفحات المقررة يتحمل الباحث / الباحثة فرقا في الاجور عن كل صفحة زيادة بمبلغ ٢٥٠٠ دينار، اما الصفحة الملونة فتكون اجورها خمسة آلاف دينار للعراقيين، وللعرب والاجانب خمسة دولارات.
- تنشر البحوث الانسانية باللغة العربية مع ملخص بالإنكليزية، اوالإنكليزية مع ملخص بالعربية .
- تنشر البحوث العلمية باللغة الانكليزية فقط مع ترجمة للعنوان الرئيس واسم الباحث ولقبه العلمي واسم الكلية والجامعة بالعربية .
- يكتب عنوان البحث بالإنكليزية ايضا ان كان البحث بالعربية .
- تكون الخلاصات مطبوعة باللغة الانكليزية فضلا عن وجودها باللغة العربية في البحوث الانسانية، و باللغة العربية فضلا عن وجودها بالإنكليزية بالنسبة للبحوث العلمية .

-يتعهد الباحث (خطيا) بان بحثه من نتاجه العلمي والفكري وهو خاضع لمعايير الأمانة العلمية وضوابط الاقتباس ولَم يستله كليا او جزئيا من بحث او رسالة او أطروحة علمية او أي نتاج فكري او علمي لباحث اخر ولَم يسبق نشره في مجلة اخرى وفِي حال ثبوت العكس يتحمل جميع التبعات القانونية والفكرية كافة ويحظر التعامل معه ويتم ابلاغ المؤسسة او الجامعة التي يعمل فيها رسميا ويذكر في التعهد الذي يقدمه للمجلة اسمه الكامل ولقبه العلمي واسم الكلية اوالمعهد والجامعة اوالمؤسسة التي يعمل فيها مع رقم هاتفه النقال.

- ترسل البحوث على البريد الالكتروني للمجلة:

rju@alutroha.com
al.utroha.magazin@gmail.com

-اجور النشر :

١ - بحث الاستاذ :

أ - للعراقيين : ١٠٠ الف دينار + اشتراك بنسختين

ب - للعرب والاجانب: ١٥٠ دولارا

٢ - بحث الترقية العلمية:

للعراقيين: ١٢٥ الف دينار + اجور الاشتراك للباحث بنسختين.

للعرب والاجانب: ٢٠٠ دولار او ما يعادلها باليورو

٣ - اجور نشر (بحث مستل) لطالب الدراسات العليا لغاية ١٥ صفحة.

أ -للعراقيين : ٧٥ الف دينار + اشتراك بنسختين

ب - للعرب والاجانب :٧٥ دولارا

- تسديد الاجور :

- يكون التسديد لمن هو خارج العراق بحوالة بنظام (Western Union) باسم المشرف العام : (IBRAHIM ZAIDAN KHALAF).
- يكون التسديد بحوالة لمن هو في بغداد اوخارجها باسم المشرف العام (ابراهيم زيدان خلف)، اونقدا من خلال مراجعة مقر المجلة في بغداد / بغداد الجديدة / مجمع سر من رأى (الطابق الارضي) / مجاور شركة الطيف للتحويل المالي/مقابل مطعم النعمان .

ملاحظة : يتحمل الباحث رسوم الحوالة .

obeikandi.com

ملاحظات مهمة جداً

- تخضع البحوث للاستلال
- يحال البحث الى محكمين اثنين وفي حال الاختلاف في الرأي يحال الى استاذ محكم ثالث لإبداء الرأي بشأن صلاحيته للنشر، ويعاد البحث الى الباحث للعمل بملاحظات الاستاذ المحكم ليكون صالحا للنشر .
- تعاد الاجور للباحث في حال رفض الاساتذة المحكمين للبحث .

للتواصل معنا على هواتفنا ايضا (فايبر وواتس اب ايضا)

٠٠٩٦٤٧٧١٣٩٦٥٤٥٨

٠٠٩٦٤٧٩٠٢٧١٤٢٥٨

او زيارة مقرنا في بغداد الجديدة / مجمع سر من رأى (الطابق الارضي) / مجاور شركة الطيف للتحويل المالي / مقابل مطعم النعمان .

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرست العدد

ت	البحـــــوث		الصفحة
١ -	نظرية شبكة التناظر (التناغم) في القرآن الكريم: مبدأ النظرية	أ.د. أيمن عيد الرواجفة	١١
٢ -	الصحة النفسية في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)	م.د. حسن محمود شكر	٢٣
٣ -	الخطاب الوعظي التعليمي عند جلال الدين الرومي	ا . د حسين عبيد الشمري م . م ثائر حسن حسن الجبوري	٤٧
٤ -	تقييم ستراتيجيات التواصل الشفوي المستخدمة من قبل طلبة الجامعة العراقية لدارسي اللغة الانكليزية (لغة أجنبية)	م.م. رنا سالم عبيد	٧٣
٥ -	اللغويات الادبية في رواية مارك توين (Huckleberry Finn)	م.م. حيدر كاظم جري	٩٣
٦ -	سيمياءُ القصيدة الحزنُ علامةٌ شعريةٌ دالّةٌ	ا.م. د. فيصل صالح القصيري	١٢٣
٧ -	أثر معنى حرف الجر (من) في تفسير البقاعي المسمى"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"	م.د. سعد محمد أحمد	١٤٩
٨ -	المتخيل العربي نحو ثقافة الأمم والشعوب (دراسة تاريخية)	م. م مهند راضي الخزاعي	١٧٣
٩ -	الخليفة الطائع لله والأمراء البويهيون (٣٦٣ - ٣٨١هـ/ ٩٧٤ -٩٩١م)	م.م. محمد سلمان حمود	١٨٩
١٠ -	المهام غير القضائية للقاضي الفاطمي في الدولة الفاطمية في مصر	م.م : جواد كاظم حسن	٢١٣
١١ -	العلاقات التاريخية بين اليمن والحبشة للفترة (٦٤٧ -٨٢٧هـ/١٢٤٩ -١٤٢٣م)	م.د نضال عبد جبار	٢٢٧

Alotroha.com

١٢ -	الحمامات التراثية -حمامات مدينة كربلاء المقدسة (انموذجا)	م..د.سيماء عطا الله حسين	٢٤٣
١٣ -	ملامح من عادات وتقاليد العرب قبل الإسلام	م.د. حسنين عبد الرزاق حسن	٢٨٣
١٤ -	دور مراكز البحث العلمي في صنع السياسة العامة في الولايات المتحدة لأمريكية	م.م.رغد علي حسن	٣٠١

obeikandl.com

نظرية شبكة التناظر (التناغم)

في القرآن الكريم : مبدأ النظرية

The Theory of Set Point Net in the Holy Qur'an: The Principle of the Theory

أ.د. أيمن عيد الرواجفة
جامعة الطفيلة التقنية، كلية الهندسة، الطفيلة، الأردن
Aiman Eid Al-Rawajfeh
Tafila Technical University, Tafila 66110, Jordan

ملخص

تنص نظرية "شبكة التناظر (التناغم) في القرآن الكريم" في حالةٍ خاصةٍ، على أن: " كل سورة في النصف الأول في القرآن تقابلها سورة مناظرة لها في النصف الثاني (النوع الأول) أي أن السور (٢-٥٧) تناظر السور (٥٨-١١٣)، وكذلك في السورة الواحدة؛ فإن كل آية أو مجموعة من الآيات في النصف الأول من السورة يناظرها آية أو مجموعة من الآيات من النصف الثاني (النوع الثاني) وينطبق هذا على الآية الواحدة كذلك (النوع الثالث)، كبناء ونسق للقران كله"، كما هو الحال في بناء الكون وتناظره، كتناظر اليد اليمنى مع اليد اليسرى، وكالتناظر في جزيء الماء، و كذلك كتناظر بلورة منتظمة و مثل عقد منتظم. في هذا البحث يتم التأصيل لهذا المبدأ، لفتح أفاق لتطبيقها في مختلف علوم القرآن وإعجازه في التشريع، والمبادئ التربوية، والعقيدة، والمستنبطات الفقهية، والتاريخ، والأخلاق، وأحكام التجويد، والعلوم، وغيرها.

الكلمات المفتاحية: نظرية شبكة التناظر؛ بناء القرآن؛ الإعجاز، التناغم.

Abstract

The "Theory of Set Point Net in the Holy Qur'an" states, in its special case, that "the Holy Qur'anin the first kind, is divided into two halves (2-57 and 58-113), in which every Sura (Chapter) in the first half has a harmonic set point relation with a corresponding Sura in the second half, similarly in each Sura as a second kind; each verse or group of verses in the first half corresponds (in a harmony with) to a verse or group of verses in the second half, and this applicable to the verse itself, too, as a third kind". It is like the harmony in the universe, similar to the symmetry between the two hands, or in the water molecule, or a symmetric crystal; like a sequence in a necklace. The purpose of this work is to establish the principle and calling the scholars to apply the theory to the different sciences, fields and topics of the Holy Qur'an.

Key words: Theory of Set Point Net; Qur'an structure; Miracles, Harmony.

obeikandi.com

١ .مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الشاكر العليم الذي علمنا أبلغ صور حمده؛ فإذا قال العبد "الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ"، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال العبد "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال العبد "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"، قال الله تعالى: مجّدني عبدي [١]. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي علمه شديد القوى؛ عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته. اللهم ارزقنا علم آدم، وتسليم إبراهيم وإسماعيل، وتأويل يوسف، وحكمة وفصل خطاب داوود، وفهم سليمان، وصبر أيوب، و بر وطب عيسى، وخلق محمد، صلى الله عليهم وسلم جميعاً . ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً، ربنا آتنا رحمة من عندك وعلمنا من لدنك علماً. رب زدني علماً.

أوجب الله تعالى تدبر القرآن الكريم فقال عز وجل: "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ" (ص: ٢٩). فتدبرُ آيات الله في كتابه، كما هو الحال في تدبر آياته في الكون، من أشرف الأعمال العلمية وأجلها، ويحتاج إلى بصيرة منيرة وفهم ثاقب لا يُهدى لعاصٍ. وفتح الله على المتدبّرين في التفسير؛ فمنهم من اعتنى بالمتن اللغوي، أو بالأسلوب البياني، أو بالمستنبطات الفقهية، أو بالمسائل الفلسفية، أو بالظواهر الكونية، وبغيرها. فكل جملة قرآنية لها ارتباط بالجمل الأخرى في القرآن، وعلى المتدبر أن يبحث و يتأمل حتى يكتشف المناسبة أو الغرض التعليمي أو التربوي وإعجازه، وأن يبحث عن النسق الذي يوضح التلاحم والتناسب. فهي مصفوفة كحبات العقد، ولكن ليس بالضرورة أن تكون كلها من نوع واحد كاللؤلؤ مثلاً [٢].

إلا أن هذه الارتباطات والتناغمات تكون منظمة بمتتالية (Sequence) أو نسق أو ترابط معين، لا يدركه إلا من فتح الله له أبواب العلم، وبقدر ذلك الميراث الذي ورثه من "الأسماء" التي علمها سبحانه لأبينا آدم عليه السلام. فقد ورث يوسف التأويل، و داوود الحكمة وفصل الخطاب، و سليمان الفهم، و عيسى الطب بإذن الله، وخير من ذلك كله، أنعم الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالخُلق العظيم؛ لأن "المؤمن ليبلغ بحسن خلقة درجة الصائم القائم" (رواه أبو داوود وأحمد)، وأكاد أزعم؛ درجة ذلك كله، لا بل أكثر فيبلغه الله الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ويبعثه مقاماً محموداً الذي وعده.

في هذا البحث يتم التأصيل لنظرية " شبكة التناظر (التناغم) في القرآن الكريم"، لفتح أفاق لتطبيقها في مختلف علوم القرآن وإعجازه في التشريع، والمبادئ التربوية، والعقيدة، والمستنبطات الفقهية، والتاريخ، والأخلاق، والعلوم، وغيرها. وعلى حسب ما انتهى له علمنا، فنحن أول من تحدث عن هذه النظرية، ونحمد الله العليم الذي فتح علينا بها، وندعو الله أن يتقبلها منا كـ"علم يُنتفع به" وأن يجازي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ووالدينا عنا خير الجزاء، ويا "رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً" (الإسراء: ٢٤).

٢.منشأ النظرية

تحدث السيوطي [٣] عن ربط سور القرآن بعضها ببعض في كتابه "أسرار ترتيب القرآن"، فربط كل سورة بما بعدها، وبين ذلك الترابط في السور كلها. ولم يتعمق المفسرون بهذا النوع من التفسير لدقته، وممن أكثر منه الرازي [٤] في تفسيره: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط". وقد قال أبو بكر بن العربي [٥]: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلف بأوصاف البَطَلَة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه" [٦].

أما نحن، وقد أهدانا الله هذا الربط العظيم وهدانا له من خلال دراستنا التناظر في المركبات الكيميائية، فرأينا، بعد التوكل على الله، أن ننشره ونيسر به ما نستطيع، ولا نرد هدية رب قال: "وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ" (البقرة: ٢٥٥). وقد يكون ذلك هدية تدبر القرآن وبخاصة سورة البقرة، التي قال عنها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: "اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البَطَلَة" (رواه مسلم). وقد شجعنا على ذلك، ثقتنا وإيماننا بأن هذا الانتظام والتناظر حتمي، لإجماع علماء الأمة على أن ترتيب سور القرآن هو ترتيب توقيفي، أي من عند الله عز وجل، كترتيب الآيات، وليس باجتهاد الصحابة [٧]، لقوله تعالى: "أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً" (النساء: ٨٢). قال ابو بكر الأنباري [٨]: " فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن".

٣.النظرية

جاء تفكيرنا في مبدأ شبكة التناظر (التناغم) في القرآن الكريم أساساً من قوله تعالى: "اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِّ ذَلِكَ هُدَى اللهِّ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللهُّ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" (الزمر:٢٣). ففي وصف الله سبحانه للقرآن بأنه "مثاني" دلالة واضحة على تثنية آياته لا بل "تناظرها"، ولقوله تعالى: "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (الذاريات: ٤٩). يقول الطبري [٩] في تفسيره مصطلح (مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ) من أقوال الصحابة رضي الله عنهم والمفسرين: يشبه بعضه بعضاً، ويصدّق بعضه بعضاً، ويدلّ بعضه على بعض، لا اختلاف فيه، ولا تضادّ. الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف. تُثنى فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج. ثني فيه الأمر مراراً. ثني في غير مكان. في القرآن كله". ويقول تعالى: "أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللهُّ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُّ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" (إبراهيم: ٢٤-٢٥). فالله "طيب لا يقبل إلا طيباً" (رواه مسلم). و القرآن كله كلام طيب أنزلة الذي يعلم "السرّ" في السماوات والأرض. وما التناظر إلا سراً عظيماً من أسرار الله في الكون لم يصلح إلا بانتظام مكوناته ووحدات بنائه الصغيرة. فالتناظر اذاً تعبير عن التكافؤ بين الأشياء، فتبدو الأقسام المختلفة من جسمٍ ما كما لو كانت هي نفسها. ولقد شعر الأنسان على مر الزمن أن التناظر يقود للكمال، فظهر ذلك في الشعر والموسيقى وبناء المعابد وغيرها [١٠]. ومن الأحاديث النبوية الشريفة ما هدانا لشبكة التناظر كذلك؛ وأهمها حديث: "قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي شَطْرَيْنِ" (رواه مسلم) [١] ، الذي افتتحنا به المقدمة، و كذلك حديث الدجال و العصمة منه؛ ما رواه مسلم عن قتادة: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال" ثم قال مسلم: "قال شعبة :"من آخر الكهف"، و قال همام: "من أول الكهف"، وهذه إشارة للعلاقة بين هذه الأقسام و تناظرها، وإلا لما أجزأت آخر الكهف عن أولها.

يوضح الشكل رقم (١) مبدأ شبكة التناظر (التناغم) في السور والآيات والكلمات على هيئة الشجرة الطيبة، ففي حالةٍ خاصةٍ، كل سورة في النصف الأول في القرآن تقابلها سورة مناظرة لها في النصف الثاني، وكذلك في السورة الواحدة؛ فإن كل آية أو مجموعة من الآيات في النصف الأول من السورة يناظرها آية أو مجموعة من الآيات من النصف الثاني وينطبق هذا على الآية الواحدة كذلك. وقد أفردنا سورة الفاتحة

وناظرناها بسورة الناس، لأن الفاتحة، لقول السيوطي، جمعت مقاصد القرآن؛ فهي أم القرآن، وأم الكتاب، والأساس، فصارت كالعنوان وبراعة الأستهلال [٣]. فسورة الفاتحة (رقمها ١) عندنا "كالملخّص"، وسورة الناس (رقمها ١١٤) "كالخاتمة". ويدعم ذلك ويؤكده، قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن الفاتحة: "أم القرآن هي: السبع المثاني و القرآن العظيم" (حديث عن أبي هريرة). وقد شملت الفاتحة الثناء على الله بما هو أهله، وعلى التعبد والأمر والنهي والوعد والوعيد وهكذا القرآن كله. أما في سورة الناس، فصفات المستعاذ به مذكورة فيها؛ الرب والملك والإله، والمستعاذ منه هي آفة الوسوسة [٣].

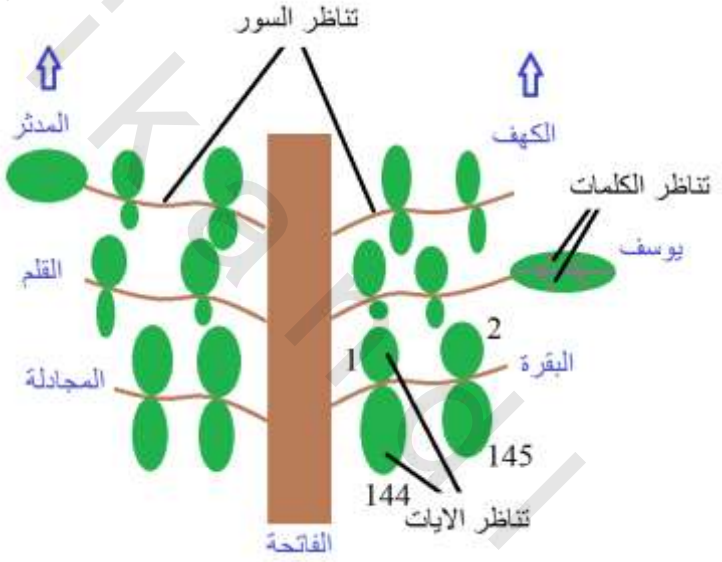

الشكل (١): مبدأ شبكة التناظر (التناغم) في السور والآيات والكلمات

وتكون شبكة التناظر (التناغم) ؛ إما بداية مع بداية أو بداية مع نهاية. والشكل رقم (٢) يوضح احتمالات تناظر سور القرآن (٢-٥٧ تناظر ٥٨-١١٣) أو تناظر آيات سورة افتراضية عدد آياتها ١١٤.

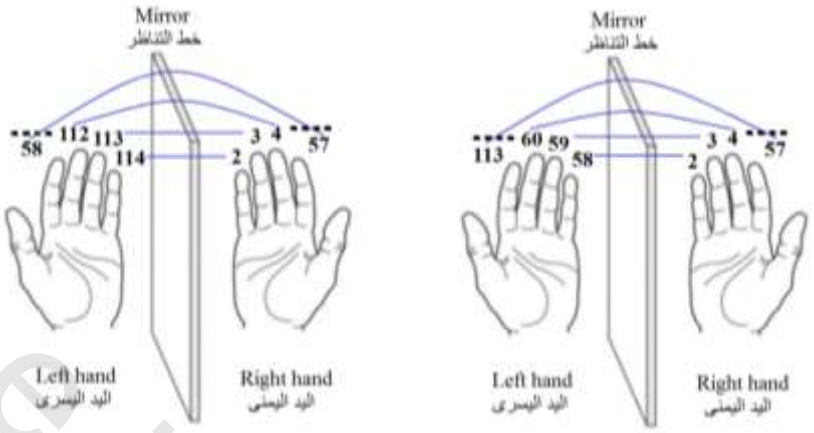

الشكل رقم (٢) يوضح احتمالات تناظر سور القرآن أو تناظر آيات سورة افتراضية عدد آياتها ١١٤ .

ونورد هنا أمثلة على شبكة التناظر (التناغم) بين السور والآيات والكلمات:

أولاً: من صور شبكة التناظر (التناغم) بين السور

يبين الجدول رقم (١) ومضات سريعة للتدليل على مبدأ شبكة التناظر وللقارئ الرجوع للسور والتدبر.

***الجدول رقم (١): ومضات سريعة للتدليل على مبدأ شبكة التناظر* (التناغم)**

رقم السورة في النصف الأول	السورة في النصف الأول	رقم السورة المناظرة	السورة المناظرة	ومضة خاطفة
١	سورة الفاتحة (الملخص)	١١٤	سورة الناس (الخاتمة)	- العنوان وبراعة الاستهلال [٣] - من يعيذك من الوسوسة والشيطان؟
٢	سورة البقرة	٥٨	سورة المجادلة	- كل مواضيع البقرة جدال " قالوا... قالوا" - تختتم الأولى بدعاء ويجيب الله في السورة المناظرة "قد سمع الله"
٤	سورة النساء	٦٠	سورة الممتحنة	- يطلق العلماء على الممتحنة سورة المرأة
٥	سورة المائدة	٦١	سورة الصف	- الحديث عن سيدنا عيسى والحواريين
٧	سورة الأعراف	٦٣	سورة المنافقون	- الأعراف بين الجنة والنار وكذلك هم المنافقون بين الإسلام والكفر
١٢	سورة يوسف	٦٨	سورة القلم	- خُلق يوسف نجاه من القتل والبئر والسجن فأصبح عزيز مصر - وفي القلم ما ميز سيدنا محمد؛ "وإنك لعلى خلق عظيم"

٢٠	سورة طه	٧٦	سورة الإنسان	- "يا إنسان" "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"، بل لتسعد في الدنيا والآخرة
٢٤	سورة النور	٨٠	سورة عبس	- ابن أم مكتوم لا يرى ولكن عنده نور البصيرة

إن ما ذكرنا هنا هي فقط أمثلة للتدليل على المبدأ وهذا ينطبق على كل السور الأخرى، وسيأتي تفصيل ذلك بمقالات أخرى قادمة، إن شاء الله تعالى.

ثانياً: من صور شبكة التناظر (التناغم) بين الآيات في السورة الواحدة

يبين الجدول رقم (٢) ومضات سريعة للتدليل على مبدأ شبكة التناظر (التناغم) وللقارئ الرجوع للسور والآيات وتدبرها كلها. وسنفرد لهذا النوع دراسة كاملة إن شاء الله. ومن لطيف ما مر بنا في كتابة هذا البحث، أن وقع بين يدي بحث منشور [١١]، تحدث فيه المؤلفون عن الإعجاز في ذكر الوقود الحيوي (Biodiesel) في الآية ٧٠ من سورة يس: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ"، فهو مصدر من مصادر الطاقة المتجددة المستخرجة من النباتات و زيوتها، فقررنا فحص نظرية التناظر بذلك؛ فوجدنا أن الآية المناظرة لها هي الآية ٣٨، وتتحدث هذه الآية عن الشمس: "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"، والشمس، كما هو معلوم، هي أكبر مصدر للطاقة المتجددة، سبحان الله!

الجدول رقم (٢): ومضات سريعة للتدليل على مبدأ شبكة التناظر (التناغم)

السورة	الآية من النصف الأول	الآية من المناظرة	لمحة من التناظر
البقرة	**البقرة: ١١٢**	**البقرة: ٢٥٥**	
	بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ	اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ۖ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ	- لمن أسلم وجهي؟ من هو أهل لذلك؟ - لله العظيم وفي أعظم آية في القرآن؛ آية الكرسي.
البقرة	**البقرة: ١٢٦**	**البقرة: ٢٦٩**	
	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ	يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ	

	اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ	يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ	فمن يدعو بهذا الدعاء، لتبقى الجزيرة العربية بهذا الدعاء على مر الزمان تنعم بالخير العميم، إلا أن يكون شخصاً بالغ الحكمة كإبراهيم عليه السلام؟
آل عمران	آل عمران: ٨٨	آل عمران: ١٨٨	
	خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ	لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	تتناظر الآيتان بشكل واضح.
الكهف	الكهف: ١٠	الكهف: ٦٥	
	إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا	**فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً**	**تتناظر الآيتان بتشكيلهما لدعاء واحد متكامل، الأولى: "ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدًا"، والثانية: "ربنا آتنا رحمة من عندك وعلمنا من لدنك علماً"** **هل للخضر علاقة بفتية الكهف؟**
طه	طه: ١٤	طه: ٨٢	
	إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلاةَ لِذِكْرِي	**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**	**يغفر الله تعالى لمن عبد الله وآمن به وصلى و عمل صالحاً.**

وتنطبق نظرية شبكة التناظر (التناغم) كذلك على مجموعة من الآيات التي يجمعها موضوع واحد. ومن الأمثلة على ذلك، التناظر الموجود في صورة الكهف (الشكل رقم (٣))، وقد أخذنا تقسيم الموضوعات هذا من منشورات الشيخ إبراهيم الدويش:

خط التناظر (التناغم)

الحمد لله والتبشير والإنذار	**(١-٨)**	**(١٠٠-١١٠) التبشير والإنذار وإثبات الوحي***	
قصة أصحاب الكهف	**(٩-٢٧)**	**(٨٣-٩٩)**	**قصة ذي القرنين**
حث الرسول على الصبر	**(٢٨-٣١)**	**(٦٠-٨٢)**	**قصة موسى والخضر****
قصة أصحاب الجنتين	**(٣٤-٤٤)**	**(٥٠-٥٩)**	**سنة الله في إهلاك الظالمين**
تقرير القيم الحقيقية الباقية	**(٤٥-٤٦)**	**(٤٧-٤٩)**	**من مشاهد يوم القيامة**

***لولا التناظر (التناغم) لما أجزأت آخر الكهف عن أولها في حديث الكهف والعصمة من الدجال.**

****قالَ النبي صلى الله عليه وسلم: "يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا" (متفق عليه).**

الشكل رقم (٣): شبكة التناظر (التناغم) في موضوعات سورة الكهف.

ثالثاً: من صور شبكة التناظر (التناغم) في الآية الواحدة

ومن صور شبكة التناظر في الآية الواحدة، نذكر مثالاً من سورة البقرة: "اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ۖ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" (البقرة: ٢٥٥). يبين الشكل رقم (٤)، التناظر في أعظم آية في القرآن؛ آية الكرسي. وهذا هو الحال في كثير من الآيات الطويلة، خاصة في سورة البقرة، وسنفرد لهذا النوع دراسة كاملة إن شاء الله.

خط التناظر (التناغم)

اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ	وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ
لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ۚ	وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ۖ وَلاَ يؤُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ۗ	يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ۚ
مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ۚ	

الشكل رقم (٤): شبكة التناظر* (التناغم) *في أعظم آية في القرآن؛ آية الكرسي.

وتكون الآية أو الجملة الفردية (التي ليس لها مقابل) في السورة أو الآية، على التوالي؛ آية أو جملة مركزية تتفرد بأهمية خاصة أو معنى متميز، فالآية المركزية في سورة الزخرف مثلاً هي الآية ٤٥: "وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ"، وفي سورة القدر الآية ٣: "لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ". و أما الجملة المركزية في الآية ٢٣٥ من البقرة: "وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ"، و الآية ٢٥٥: "مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ".

٤. النتائج والتوصيات

نستنتج مما سبق أن في القرآن تناسقات عجيبة لا تنتهي، ركزنا في هذا البحث على واحدة منها و أصلّنا لها كنظرية تنطبق على القرآن كله ألا وهي "نظرية شبكة التناظر (التناغم)". وسنؤصل لتناسقات (نظريات) أخرى فتح الله علينا بها، إن شاء الله تعالى. ففي حالةٍ خاصةٍ، كل سورة في النصف الأول في القرآن تقابلها سورة مناظرة لها في النصف الثاني (النوع الأول)، وكذلك في السورة الواحدة، فإن كل آية أو مجموعة من الآيات في النصف الأول من السورة يناظرها آية أو مجموعة من الآيات من النصف الثاني (النوع الثاني) وينطبق هذا على الآية الواحدة كذلك (النوع الثالث). وقد تكشف لنا هذه التناظرات معلومات واستنتاجات إعجازية في مختلف علوم القرآن، وفي التشريع، والمبادئ التربوية، والعقيدة، والمستنبطات الفقهية، والتاريخ، والأخلاق، وأحكام التجويد، والعلوم، وغيرها. وسنقدم في أوراق علمية قادمة تفصيلات و تطبيقات لهذة النظرية في مختلف علوم القرآن و إعجازه.

كلمة شكر و إهداء

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من شجعني على المضي في عملي و أهدي ثواب هذا العمل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي علمنا الخير كله، و والديّ، و ذخراً و علماً لينتفع به لزوجتي و أولادي و لعلماء المسلمين و عامتهم.

٥.المصادر و المراجع

أ.القرآن العظيم.

ب.الأحاديث النبوية.

[١]يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي شَطْرَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ" (رواه مسلم).

[٢]الميداني، عبدالرحمن؛ قواعد التدبر الأمثل، دار القلم، دمشق (١٩٨٠).

[٣]السيوطي، جلال الدين؛ أسرار ترتيب القرآن ، دار الفضيلة، القاهرة (٢٠٠٢).

[٤]الرازي، ابو بكر :أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي (٢٥٠-٣١١ هـ).

[٥]العربي، ابو بكر: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، المشهور بالقاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي المالكي الحافظ عالم أهل الأندلس ومسندهم.

[٦]الزركشي، بدر الدين؛ البرهان في علوم القرآن، وهو (بدر الدين الزركشي أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بهادر بن عب الله الزّرْكَشِيّ المصري، فقيه شافعي، أصولي ومحدث، له مؤلفات في علوم كثيرة (٧٤٥-٧٩٤ هـ).

[٧]القطان، مناع؛ مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة التراث، القاهرة (٢٠٠٠).

[٨]الأنباري، أبو بكر: الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطة بن دعامة أبو بكر الأنباري المقرئ النحوي (٢٧١- ٣٢٨هـ).

[٩]الطبري، الإمام أبو جعفر ؛ تفسير الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري (224- 310هـ).

[١٠]ليون م. ليدرمان وكريستوفر ت. هيل؛ التناظر والكون الجميل، ترجمة: نضال شمعون، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان (ط ٢٠٠٩/١).

[١١]Ramli, S.; Murad, S. Z. A.; Hj Husin, A. F.; Biodiesel in Holy Quran: Lexicography and Modern Science. *Mediterranean Journal of Social Sciences* 5 (2014) 336-342.

الصحة النفسية في القرآن الكريم

(دراسة تحليلية)

"Quran and its Treatment of Mental Health"

م.د. حسن محمود شكر
كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة
Dr. Hasan Mahmood Shukir
College of Imam Kadhim (Peace upon him)

الملخص

القرآن وعلاجه للصحة النفسية

نزل القرآن لهداية البشر وإرشادهم الى السلوك السوي الذي فيه صلاح الفرد والمجتمع وتربية النفس تربية سليمة تؤدي الى بلوغ السعادة والرقي في الدارين.

قال تعالى{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا } الإسراء: ٨٢. للقرآن الكريم طاقة روحية هائلة توثر في النفس الانسانية وتصقلها . وتتفق جميع مدارس العلاج النفسي على أن الإيمان هو المنقذ من كل الأمراض النفسية، فالإيمان بالله يشفي النفوس من أمراضها ويشعرها بالطمأنينة والأيمان . إذا بث في الصغر يعطي مناعة وأمن وطمأنينة، فالإيمان يمد النفس بالأمل والرجاء ويشعر الانسان ان الله معه وراعيه، وهذا الشعور يبعد عنه ما يقلقه ويخوفه.

{إِن الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ(٣١)} فصلت: ٣٠ - ٣١

وقد قسمت البحث إلى :

مقدمة ، وأهمية البحث ، والى ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : الصحة النفسية لغة وإصطلاحاً وعلاقتها بالصحة الجسمية. ومبحث الثاني.والمبحث الثالث: القرآن وتحقيق الصحة النفسية

أهمية البحث

١- تنبع أهمية البحث للأهتمام بالجانب النفسي السلوكي للأنسان.

٢- محاولة البحث دراسة رأي القرآن الكريم في مجال الصحة النفسية، وسبل تحقيقها لما فيه فائدة للناس بدل من الأقتصار على الآراء الغريبة.

٣- معرفة ما كتبه علماء الإسلام في هذا المجال.

مفاهيم قرآنية في الصحة النفسية والجسمية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

النفس عالم رحب، وواسع يتسع لما لا يتسع غيره، والكثير من الآيات المباركات ذكرت النفس، فالقرآن الكريم بحث عنها وعن مدلولاتها من قوة كامنة في الانسان، ووردت كلمة النفس وما يشتق منها ثلاثمائة وثلاثة عشر موضعاً، قال تعالى {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ}الذاريات:٢١.فهي تحث على التفكير في النفس. فالأنسان الناضج يعرف إيجابيات نفسه، ومعرفة الأنسان لنفسه تساعده على ضبطهم هوائها ووقايتها من الغوايه، والانحراف، وتوجيهها الى طريق الإيمان والعمل الصالح والسلوك السليم، مما يوفر للأنسان الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة.

والقرآن الكريم فيه وصف للشخصية الإنسانية وسماتها العامة التي تميز الأنسان عن غيره من مخلوقات الله، وبين لنا أن النفس تمرض كما يمرض الجسد. وكما تعالج أمراض الجسد تعالج امراض النفس فجاء البحث حول الصحة النفسية وعلاقتها بالقرآن الكريم.

الصحة النفسية:

يعرف علماء النفس الصحة النفسية بصفة عامة، بأنها النضج الانفعالي والاجتماعي، وتوافق الفرد مع نفسه مع الآخرين، وقدرته على تحمل الصعاب وحل المشكلات التي يلاقيها في حياته والشعور بالرضا والسعادة.(١)

وعرف الدكتور كمال ابراهيم مرسي الصحة النفسية مسترشداً بالنصوص الإسلامي (الصحة النفسية حالة نفسية يشعر بها الانسان بالرضا والارتياح)(٢) عندما يكون حسن الخلق مع الله، ومع نفسه، ومع الآخرين.

وجاء علماء النفس الغربيون منهم فرويد وبنوا نظرياتهم على الجانب المادي، وأن الانسان حيوان تتحكم به غرائزه، ودوافعه الجنسية والعدوانية وهو أناني وشرير. ثم تغيرت الافكار والآراء المادية، إلا أن قالوا ان الانسان له طبيعة خيرة ولكن لا يؤمنون بالجوانب الروحية والدينية، ولكن حتى اعتبارهم هذا لا يتلائم مع الشرائع السماوية . فالانسان روح وجسد لا يمكن أن يعيش بمعزل عن أحدهما، فهو يجمع بين الأثنين، ولا يعد إلا بهما. فالإيمان مغروس في الجنس البشري، فالدراسات الأثرية وعلماء الآثار يشهدون أنه عندما ينقبون يجدون المعبد بجانب قصر الحكم. لا توجد قرية أو مدينة إلا ولها معبد.

فالإنسان لا يمكن أن يعيش بدون إيمان. ويمكن أن تقول أن صحة الأنسان النفسية أن تعيش قريب من الله سبحانه ومحبة في الناس متبادلة، وسلامة في الجسم لتكمل مشوراك في الحياة.(٣)وعلينا أن لا نهمل الجانب الروحي، ويقتصر إهتمامنا بالجانب المادي فقط، حتى يخلو الانسان من كل الأمراض التي تصيب النفس مثل الإكتئاب والقلق وغيرها .ومن هنا اعطى لذلك الاسلام أهمية كبرى للصحة النفسية وأكدت التعالم الإسلامية أنه كلما زادت ثقة الإنسان بخالقه زادت تفاعله مع المؤمنين، وكل الأعمال التي تشد الأنسان بأخيه الانسان حتى يكون المجتمع متماسكاً قوياً لا تنخره الامراض. وعندما يشعر الانسان بالأمان تطمأن نفسه، وإذا أطمأن يعيش حياة نفسية طبيعية وذلك لأن القلق السبب الرئيسي في الامراض النفسية ولا يمكن التخلص من القلق إلا بالإيمان بالله سبحانه قال تعالى : {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} الأنعام: ٨٢ فالإيمان يعطي المناعة ضد الأمراض النفسية ومنها الهواجس وبه تطمئن النفوس به {أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}الرعد: ٢٨.

المبحث الأول

الصحة النفسية لغة وإصطلاحاً، وتحقيق الصحة النفسية

الصحة لغة: حالة الانسان دون أي مرض أو داء، ويشمل الصحة العقلية والإجتماعية والبدنية، فالإنسان يشعر بسلامة بدنه وجسمه.(٤)

الصحة النفسية إصطلاحاً: بأنها حالة عقلية إنفعالية مركبة دائماً نسبياً في الشعور بأن كل شيء على ما يرام، والشعور بالسعادة مع الذات والآخرين.

والشعور بالرضا والطمأنينية وسلامة العقل، والإقبال على الحياة، مع الشعور بالنشاط والقوة والعافية، ويتحقق في هذه الحالة درجة مرتفعة نسبياً من التوافق النفسي والإجتماعي مع علاقات إجتماعية راضية مرضية. وأنعدام المرض النفسي والاتجاه الى السلوك السوي(٥).

وقد ذكر تعريف آخر أن الصحة النفسية هي التوافق التام بين الوظائف النفسية المختلفة مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية التي تطرأ على الأنسان ثم الإحساس الإيجابي بالسعادة والرضا(٦).

وهناك دراسة تعرف الصحة النفسية بأنها : الحالة التي يتم التوافق النفسي للفرد من خلال اربعة أبعاد رئيسية هي :

١- البعد الديني (الروحي)

٢- البعد النفسي

٣- البعد الاجتماعي

٤- البعد الجسمي (٧)

وعلينا أن نعرف سبب الأختلاف في التعاريف:

أولاً: أن هذا الإختلاف في التعريف والأهتمام بجانب دون آخر يرجع إلى الأختلاف في مواجهات النظر نتيجة ثقافة المعرف ومدرسته.

ثانياً: أن معظم التعاريف تدون حول مفاهيم فهم الصحة النفسية مثل التكيف والتوافق الجسمي والمجتمعي، السعادة والرضا.

الصحة النفسية والجسمية:

هناك علاقة وثيقة بين الصحة الجسمية والصحة النفسية، وهناك إختلاف كبير بينهما . فالأمراض الجسمية ظاهرة للعيان، أما أمراض الصحة النفسية فلا يوجد معيار وشاخص للصحة والمرض كالحسد وغيره. لذا علينا أن نعرف ونحدد المراد من الصحة النفسية وكذلك المرض النفسي.(٨) وهناك وسائل لتحقيق الصحة النفسية وأخرى لتحقيق الصحة البدنية

أهم الوسائل لتحقيق الصحة النفسية :

الإسلام دين الوسطية والإعتدال، فلا يطغى الجانب المادي على الجانب الروحي، ولا يطغى الجانب الروحي على الجانب المادي (الجسم) ويعتمد على أمور منها:

١- الإيمان بالله وتوحيده وعبادته:

إذا اختلطت النفس بالإيمان بالله، ساد فيها الانشراح والرضا والسعادة، يعيش الانسان في حالة عامرة قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} الرعد: ٢٨وقال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} النحل: ٩٧

فالإسلام يدعو الى الحياة الطبيعية ويعيش الانسان حالة نفسية مستقرة، وعندما يصل الى سكينة الايمان، يعطي للنفس الأنسانية الطمأنينة، أو الاستغفار ويوصلنا الى شاطئ السلام، بعيداً عن امواج الهموم والشدائد قال تعالى:{أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} الرعد: ٢٨

وفي القرآن شفاء لما في الصدور، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} يونس: ٥٧

وأي شفاء آخر افضل من القرآن، والذي يقتلع كل مسببات الأمراض النفسية من كآبة، وقلق، وأية راحة نفسية كراحة الرضا بما قسم الله سبحانه عليه، والنفس المطمئنة، بالإيمان نشعر بالراحة والنشاط.(٩)

وأعظم علاج للقلق هو الإيمان، فالإيمان لا بد من توافره لمعاونة المرء على العيش بسعادة، وفقده نذير بالعجز عن معاناة الحياة، فالرجل المتدين عصي على القلق محتفظاً بإتزانه.(١٠)

وتتفق مدارس العلاج النفسي ان الإيمان بالله في شفاء النفس من أمراضها ونشعر بالطمأنينة والإيمان إذا لبث في الصغر فأنه يكسب مناعة ووقاية من الأمراض النفسية {أَلاَ بِذِكْرِ اللهِّ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}الرعد: ٢٨

٢- الشعور بالسعادة :

تعرف السعادة بعدة تعاريف، ويعرفها كل شخص كما يراها من وجهة نظره.

فالسعادة : طاقة من الرضا تقبل الواقع، لأنه إرادة الله سبحانه وتعمل على تحسينه بالأسباب التي خلقها الله لنا لتحسين أوضاعنا في الكون، وبالسعادة تطمئن القلوب وتشرح الصدور ويرتاح البال. وتقسم السعادة الى قسمين: (١١)

أ- السعادة الدنيوية : وتشمل سعادة نفسية، سعادة بدنية، وسعادة خارجية.

ب- السعادة الأخروية: هي بما يجده الانسان نتيجة أعماله في الدنيا {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} النحل: ٩٧ويقطف ثمار عمله الصالح في الآخرة ليسعد بما عمله في الدنيا من اعمال الخير.

وكما بينا سابقاً تختلف السعادة من شخص الى آخر :

الفقراء: الحصول على المال لتمشية أحوالهم في الدنيا وانفاقه في سبيل الله.

المرضى : الشفاء من المرض

العشاق : اللقاء والوصال

الغرباء : العودة الى الوطن

السجناء : تحقيق الحرية

المظلومين : الانصاف والعدل

أما الإسلام فينظر للسعادة القرب من الله سبحانه والعمل للآخرة وصفاء النفس، وطمأنينة القلب ، وبحث عن الموازنة بين الجسد والروح. والراحة الشخصية وراحة الآخرين وإعمال الدنيا ولا ينسى الآخرة. ومن خلال الحرص على الطاعة للخالق سبحانه في أي عمل يكون خالصاً لوجه الله سبحانه يبعث حلاوة في النفس وإنشراحاً في الصدر وسكينة في القلب وترك الذنوب والمعاصي، الحرص على صحبة الصالحين ، وقضاء حوائج المحتاجين ، الحب للناس والحرص على إسعادهم. والتفائل بحدوث ما هو جميل والله سبحانه قال كتابه العزيز {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا }الشرح: ٥ - ٦وبر الوالدين وأغاثة الملهوف ومعاونة الضعيف.

ولا ننسى صلة الارحام تورث السعادة ، فأنت عندما تصل رحمك تشعر أنك حققت عملاً يرضي الله سبحانه.

يقول روجيه دو باكيبة (١٢) : كنت اسأل نفسي لماذا يشعر المسلمون بسعادة تغمر حياتهم رغم فقدهم وتخلفهم ؟ ولماذا يشعر السويدون بالتعاسة والضيق رغم سعة العيش والرفاهية والتقدم الذي يعيشون فيه؟ حتى بلدي سويسراً كنت أشعر فيها بنفس ما شعرت به في السويد، رفم أنها بلد ذات رخاء، ومستوى العيش فيها مرتفع!! وأمام هذا كله وجدت نفسي في حاجة لأن أدرس ديانات الشرق، وبدأت بدراسة الديانة الهندوكية، فلم اقتنع بها كثيراً، حتى بدأت أدرس الدين الإسلامي ، فشدني إليه أنه لا يتعارض مع الديانات الاخرى، بل يتسع لها جميعاً، فهو خاتم الأديان ، وهذه حقيقة بدأت تتضح عندي بإتساع قراءاتي حتى رسخت في ذهني تماماً (١٣). وبما أن النفس الانسانية تنقسم الى ثلاثة أقسام هي : النفس اللوامة ، النفس الأمارة بالسوء، النفس المطمئنة.

فهناك صراع نفسي بين النفس اللوامة والنفس الامارة بالسور يصل إلى تغليب جانب الخير الذي يقود الانسان الى الراحة في الآخرة أن النفس المطمئنة التي ذكرها القرآن الكريم هي هدف يقصده كل إنسان خروجاً من الصراع النفسي الذي يعيشه.

عليه أن السعادة في المنظور القرآني ليست قاصرة على الجانب المادي في الدنيا وإنما تشمل الدنيا والآخرة.

{وَابْتَغِ فِي مَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } القصص: ٧٧والحياة الدنيا إذا عملت بها بما يراد منك تكون وسيلة لدخول الجنة.

فأكثر الامراض النفسية التي تصيب الأنسان لها تأثير على الصحة البدنية، فالمريض الفاقد للسعادة يقل عنده النوم وتتقاذف تفكيره الهموم والمشكلات ويعيش التعاسة ، أما الأنسان السعيد ، فتقل أو تنعدم عنده الهموم والاحزان فينطلي ذلك على نومه، ولم يعاني من إضطرابات النوم ويحس بمشاعر إيجابية ، تبعث فيه الحيوية والنشاط، وتراه يساهم بأي نشاط إجتماعي أو ثقافي أو بدني ومنفتح على المجتمع. ولا نعجب أن مشاعر السعادة تبعد شبح المرض ، فهي تقوي جهاز المناعة عند السعيد(١٤).

٣- التقوى:

هي عنصر فعال في الصحة النفسية ، فإذا عصم الانسان نفسه من غضب الله وعذابه بالإبتعاد عن ارتكاب المعاصي، والالتزام بمنهج الله تعالى الذي رسمه لنا القرآن، وبينه الرسول (ﷺ) فتعمل بما اراد الله، ونبتعد عمن نهانا الله سبحانه ، وهي رديف الايمان بالله سبحانه.

وتشمل التقوى تحكم الإنسان في دوافعه وانفعالاته ، وسيطرته على ميوله وأهوائه. وإذا عمل الأنسان بالتقوى وكان متقياً فأنه يعامل الناس بالحسنى ، وإذا طوى الأنسان طريق التقوى وتهذيب النفس فأنه يرى أسرار العالم، ولن يكون في طريقه قاطع أو مانع وثمرة التقوى قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَّ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللهُّ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} الأنفال: ٢٩ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَّ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُم وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُّ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } الطلاق: ٢. فمن يتقي يجعل له الله سبحانه مخرجاً من ظلمات القلق، والضيق ، والكآبة والحزن والخوف وأي مرض نفسي يصيب الأنسان. فالمتقي أذن مصون من الظلالة ومحفوظ من الغواية، فالتقوى أذن توصل الانسان الى صحة نفسية (١٥). لأنه مرتبط بأكبر قوة كونية هي قوة الله سبحانه.

ولا يتضمن مفهوم التقوى تحكم الانسان في دوافعه وانفعالاته، وسيطرته على ميوله وأهوائه، وإنما يقوم بإشباع دوافعه في الحدود التي يسمح بها الشرع فقط. ولا يتضمن مفهوم التقوى كبت تلك الدوافع الفطرية، بل يتضمن فقط ضبطها والتحكم فيها وإشباعها في الحدود المسموح بها شرعاً. ويتضمن مفهوم التقوى أيضاً أن يتوخى الانسان دائماً في أفعاله : الحق ، العدل ، الأمانة والصدق، وأن يعامل الناس بالحسنى. ويتجنب الظلم والعدوان ، فالتقوى إذن عامل من العوامل الرئيسية التي تؤدي إلى

نضوج الشخصية وتكافلها وإتزانها . وتدفع الانسان الى الارتقاء بذاته متطلعاً الى بلوغ الكمال الأنساني.(١٦)

{وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} الطلاق: ٤

فالمتقي يسعى ألى تحسين ذاته ، وتنمية قدراته ومعلوماته ليؤدي عمله بأحس وجه. فالتقوى بهذا المعنى تصبح طاقة موجه للأنسان نحو السلوك الأفضل والأحسن ونحو نمو الذات ورفعتها ، وتجفف السلوك السيء والمنحرف الشاذ.(١٧)

والمتقي لا يكبح نفسه على ما حرمه الله له والمسموح له شرعاً، كالأشباع الجنسي عن طريق الزواج. ولكن عدم الاسراف في الدوافع التي تضر بالصحة البدنية والنفسية وكذلك السيطرة على الأنفعالات مثل الغضب وغيره، كل ذلك من ثمار التقوى فالاستقامة في السلوك والتربية على الاخلاق الفاضلة والعادات الحسنة . فالصبر من ثمار التقوى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} البقرة: ١٥٣ والأنسان المتقي بعيد عن الكسل والخمول { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} الجمعة: ١٠.

٤- الصحة البدنية :

الإسلام يدعوا الى أن يكون الأنسان سليماً والقول المأثور (العقل السليم في الجسم السليم)(١٨) فالنظافة في المأكل والمشرب وتجنب العدوى والأمراض من أهم ما يدعو له الإسلام (تنظفوا فأن الإسلام نظيف)(١٩) والمبدأ الصحي المعروف (الوقاية خير من العلاج) يتحقق في موارد الصحة النفسية، فالشريعة الإسلامية أهتمت بالدرجة الأولى في مكافحة الأمراض النفسية .

والإسلام يحث على ممارسة الرياضة لما فيها فوائد للبدن ختى الاطباء يوصون مرضاهم بها لعلاج الكثير من الأمراض ، وقد حث ديننا الحنيف على تعلم الرياضة لنا ولأولادنا لما لها فوائد على الصحة وقال رسول الله (ﷺ) : (علموا اولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل)(٢٠)

فالرياضة لها القدرة على تحسين الحالة النفسية يفرز السم أفيونات طبيعية التي تعلو نسبتها في الدم خلال قمة التمارين الرياضية، وهي مسؤولة عن مشاعر السعادة والرضا، ومحاربة الأحباط والشعور بالقلق، وتعزيز الثقة بالنفس ، عندما تكون الصحة البدنية جيدة تشعر بالسعادة بالنشوة والسعادة والتفائل وتحصل على الدعم المعنوي ويزيل التوتر أو الضغط النفسي ويكون قوي الإرادة، ومتسامح ويشعر الإنسان بالأمن وراحة البال.(٢١)

لذلك هناك علاقة بين صحة الجسد وصحة النفس فأنهما وجهان لعملة واحدة، أن حالة الانسان النفسية تؤثر بنسبة ٥٠% على عدم راحة الجسد وإصابته بالأمراض ، فطريقة التفكير ، ومشاكل الحياة كلها تؤثر على الجسم. وكذلك الغذاء الجيد والبيئة النظيفة والرياضة وعدم أضرار النفس كلها تؤدي الى صحة نفسية جيدة (٢٢) يعني أن الصحة النفسية تتأثر بالصحة الجسمية وبالعكس.

ووقاية الأفراد في عدم الأبتلاء الأمراض النفسية والقلبية يقول أستاذ في علم الاخلاق (مسكويه)

طب الابدان ينقسم الى قسمين : أحدهما حفظ الصحة البدنية ويجب الحفاظ عليها وكذلك الصحة النفسية يجب المحافظة عليها(٢٣)ونلخص ما نادآ به (مسكويه) على الفرد أن يراعي :

١- استخدام القوى البدنية والنفسية لما خلقت له.

٢- وضع العقوبات التأديبية على المخالفين للذوق العام.

٣- الأستعداد للعدو المتمثل بالشدة والغضب وساتر ما يزل الانسان عن إطار الفضيلة وهذا ماتنشده الرياضة البدنية.

٤- محاسبة النفس والتفتيش عن عيوبها لأصلاحها قبل الاستفحال.(٢٤)

وعليه يجب التوازن بين احتياجات البدن واحتياجات النفس بما يرضي الله سبحانه فلا تشبع عزيزة على حساب أخرى ، وتجوع الاخرى، فتتفاقم الامور الى ان تصل الى ازمة نفسية. فهناك دوافع يحتاجها البدن علينا أن لا تغفل عنها مثل الحاجات البدنية (الغذاء والهواء ، النوم ، الجنس، واللعب..) وفق ما قررته الشريعة المقدسة.

وهناك حاجات معنوية (كالحاجة الى العبادة وطلب العلم وخدمة المحتاجين)(٢٥) والرياضة تفرز الصفات الشخصية الجيدة مثل التسامح ، التعاون، التفائل، عمل الخير، مساعدة المحتاجين كلها عوامل تنشدها الرياضة البدنية ، والرياضة الروحية.

٥- العبادات :

العبادة في اللغة : الطاعة والخشوع والتذلل ، وهي من أهم الوسائل التي تقوي الرابطة بين صحة البدن وصحة النفس.

واتبع القرآن الكريم في تربية الانسان يغرس عادات تغير سلوكهم بأسلوب العمل ، لذلك فرض الله سبحانه وتعالى العادات السلوكية الجيدة : الصلاة ، الصيام، الزكاة ، الحج ، الصدقات ، وكل أعمال الخير ، فالعمل على طاعة الله سبحانه وإتباع أوامره. فيتعلم الانسان الصبر نتحمل المشاق ، مجاهدة النفس، وكذلك التحكم بالأهواء والشهوات. والعبادات في الإسلام مفهوم واسع لا يقتصر على أركان الاسلام ، بل يشمل النوافل وكل تصرفات الانسان في الحياة . لأن الانسان جسد وروح، ويحتاج كلاهما الى التغذية لكي يستمر ، فغذاء الجسم معروف أما غذاء الروح العبادة والارتباط بالخالق سبحانه {أَلاَ بِذِكْرِ اللهِّ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } الرعد: ٢٨والانسان مجبول على التوجه الى الله إذا أصابه مكروه. ولو أن بعض الناس لا ينظر اليها لأنها غير ملموسة وهذا ما يعاينه الملحدون . فزيادة الانتحار في الدول الغربية ، والأهتمام بالناحية الجسمية وضعف القضايا الروحية ، برغم من زيادة التقدم والرفاهية ، لأبتعاد الانسان عن خالقه .

ومن أهم أركان العبادات:

أ- الصلاة:

الصلاة صلة الانسان بربه، تجعل الانسان يقف بين يدي ربه في خشوع وتضرع أمام الاله العظيم القوي المتحكم في هذا الكون. ففي الصلاة بما فيها من خشوع وتضرع تمد الأنسان بالطاقة الروحية والأطمئنان القلبي ، والأمن النفسي، فكل الجوارح خاضعة خاشعة إذا أديت بشكل صحية فمن شأنها تؤدي الى الاسترخاء ، والهدوء النفسي وتستمر بعد الصلاة فهي علاج نفسي وعبادة.(٢٦) {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة: ٢٧٧

الصلاة علاج ناجح للغضب والتهور ، وتعلم الانسان كيف يكون هادئ ، وكلما كانت الصلاة ممزوجة مع الخشوع يتزود الانسان بطاقة تساعده على التأمل الذي أهم طريقة لمعالجة التوتر العصبي {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)} المؤمنون: ١ - ٢،وقال (ﷺ) (أرحنا بها يا بلال)(٢٧). فالمصلي الواقف بين يدي الله سبحانه عليه أن يتحلى بالأخلاص والصدق والمحبة ومساعدة الغير وكلها عوامل تساعد على الصحة النفسية. فهي وسيلة للتكامل المعنوي للإنسان ، وتربية الفضائل الخلقية عنده.

ب- الدعاء :

الدعاء مخ العبادة، ولذا ورد في فضله من الآيات والاخبار كثيرة والمواظبة عليه وتوجيه صفاء النفس وانشراح الصدر ، والادعية المأثورة كثيرة مذكورة في كتب الأدعية ولا يوجد مطلب من مطالب الدنيا والآخرة إلا وجد في هذه الادعية {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} النمل:٦٢، {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)} طه: ٢٥ - ٢٦، {إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } البقرة: ١٨٦.

فالدعاء الى الله سبحانه هو القوة المحركة لهذا الكون يساعد على حل المشاكل النفسية ويرفع الهم، فمجرد أن يتوجه الأنسان الى خالقه، ويأمل في إستجابة الله تعالى له، يؤدي الإيحاء الذاتي بإحتمال أستجابة الخالق لدعائه يخفف مما هو فيه من مشاكل نفسية فأتصال الانسان بربه يتعرض للفيض الالهي أو المدد الروحي ، ويذكر أننا بالدعاء والصلاة تستطيع أن تلج باب ذخيرة من النشاط العقلي لا تستطيع أن تصل إليها في الظروف العادية.(٢٨)

الدعاء ، الشكوى و الحزن الى الله سبحانه.

{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)} يوسف: ٨٦. حينما تتأزم الأمور ، وتغلق الأبواب وتتعذر الاحوال، وتنقطع السبل ، من يكشف الكربات ، ويكشف البليات غير الله سبحانه ، فهو باب لا يحتاج الى وساطة ، بل هو مفتوح لكل من سأل وبالدعاء يزيل الهم والغم عن القلب. وأنه مجلي للقلب الفرح والسرور، وأنه يورثه المحبة التي هي روح الاسلام وتطيب رحى الدين، ومدار السعادة والنجاة.

ويقول سيد عبد الحميد مرسي(٢٩) ، للدعاء تأثير على النفس الأطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمن حقيقة عميقة يعرفها أهل الدعاء وكيف لا يشعرون بالطمأنينة والسلام وهو متصل بأكبر قوة في الكون (٣٠){أَلاَ بِذِكْرِ اللهِّ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } الرعد: ٢٨

يقول الله سبحانه {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} البقرة: ١٨٦وعلى الانسان ان لا يفارق الدعاء فمه وقلبه فله أثره العميق في نفس الانسان.

فالأنسان بدعائه الى الله سبحانه يعترف بذنوبه وخطاياه، وهو جزء من العلاج النفسي لأنه يحقق الشعور بالذنب

{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَّ يَجِدِ اللهَّ غَفُورًا رَحِيمًا } النساء: ١١٠ فالدعاء يزيل التوتر والقلق والحزن والهم والكآبة والضيق لأن الداعي يحس في قرارة نفسه أنه ملتجأ الى قوة ما بعدها من قوة في هذا الكون وهو القادر على كل شيء الله سبحانه وتعالى.

ج- الأخلاق:

تأثير الأخلاق على صحة النفس.

الأخلاق لغة: هي السجية والطبع والدين ، وهو صورة الأنسان الباطنية.

الاخلاق اصطلاحاً: عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من دون حاجة الى فكر وتروي ، فأما تصدر أفعال محمودة أو مذمومة ، فإذا كانت الأولى كان الخلق حسناً وأن كانت الثانية ، كان الخلق سيئاً.

والصحة النفسية لا تستقيم الا بالتوازن الداخلي والخارجي ، والتوازن يقصد به صحة المشاعر النفسية ، وهي الأستقامة والتوازن النفسي . إلا تتحقق لنا الصحة النفسية ، والهدوء والاستقرار النفسي لا بد أن نحسن اخلاقنا في السر والعلن وأهم شيء نحسن أخلاقنا في داخل أنفسنا كما تحسنها مع الناس. فأسأل الله ان يحسن أخلاقنا مع أنفسنا مع الناس حتى تتحقق لنا الصحة النفسية ونفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة. وتهذيب النفس وتزكيتها ، والتخلق بالأخلاق الحسنة والصفات الفاضلة، أمور أكدت عليها الشريعة المقدسة وقد بيين القرآن الكريم بقوله {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)} الشمس: ٩ - ١٠ .

والاخلاق الفاضلة لها أثرها في الدنيا وفي النفسية فلا حقد ولا حسد ولا غل ولا غيبة ولا نفاق ولا تكبر ولا رياء..... فلو قلنا أن الأخرة ، في الدنيا يحيا حياة الأنشراح والهدوء والسعادة، أما في الآخرة قوله تعالى : {يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (٨٨)إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)} الشعراء: ٨٨ - ٨٩من أين يأتي بالقلب السليم إلا من عاش الصحة القرآن كتاب الاخلاق والاسلام مدرسة الاخلاق لكان كلامنا في محله.(٢٩)

هل هناك علاقة بين المرض النفسي والأخلاقي والعقلي:

علماء النفس لا يذكرون أمراضاً أخلاقية مثل الحسد ، والنميمة ، البخل ، الطمع ، وما شابه ذلك من الرذائل الأخلاقية وكذلك علماء الاخلاق لا يذكرون أمراض نفسية مثل القلق والكآبة المزمنة وما شاكل ذلك.

ولكن الذي أراه أن الطائفين من الأمراض تعد في قائمة ضمن قائمة امراض النفس.

وإذا لاحظنا القرآن الكريم يطلق على الأمراض من النوع الاول بأمراض القلب، وعلماء الأخلاق يسمونها الرذائل الأخلاقية.

ولكي لا تختلط علينا الأسماء ، فالحسد والغيبة والنفاق العين والبخل أمراض قلبية يقابله الأمراض النفسية ، أما الفرق بين الأمراض القلبية والنفسية نلاحظ الآية المباركة {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} البقرة: ١٠

فعلماء الأخلاق أهتموا بذكر الأمراض القلبية وعلاجها لكي تكون خطوة لعلاج سائر الأمراض النفسية، أما علماء النفس يهتموا بعلاج أمراض القلق والكآبة وأبعدوا الدين والأخلاق أهملوا بعدين من ابعاد النفس الأنسانية ، ولهما بعد إجتماعي وبعده روحي أي ما تتصل بالغيب، وركز علماء النفس أبحاثهم على جانب واحد وهي النفس.

وهناك أمراض نفسية تعود الى عدم تحمل المصاب لضغوط المحيط الشديدة وعدم نجاحه في تجاوز الأزمة وعلاجه بالإيمان والدعاء والأخلاق الفاضلة الذي ينتج عنه الإنشراح والسعادة . فالإسلام أمتاز على غيره من المذاهب الإسلامية والأديان السماوية، وهو يرسم للناس القدوة الصالحة في دائرة الصحة النفسية. ويقول للإنسان : إذا أردت أن تتمع بصحة نفسية فعليك أن تكون لك قدوة حسنة في الانبياء والأولياء

والأوصياء(٣٠). وما أستعرضه القرآن من سيرة بعض الملوك العادلة مثل ذي القرنين من صفاته عدم التكبر ونصرة المستضعفين. ولم يهمل القدوة للنساء مثل مريم بن عمرانن وآسيا بنت مزاحم زوجة فرعون، وفاطنة الزهراء (عليها السلام) وهما القدوات للجميع في سوكهم واخلاقهم ، وسيرة وأخلاق النبي (ص) في دائرة الاخلاق، وقد مدحه الله سبحانه وتعالى في قرآنه {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} القلم: ٤. وكذلك فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهما القدوات للجميع في سلوكهم وأخلاقهم.

فمن يتخلق بأخلاق السجايا الفاضلة يرتقي درجة درجة الى الأنسان الكامل ويتعالى ويسمو حتى يكون مصداقاً لقوله:

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } البقرة: ٣٠ فللأنسان كرامة عند الله إذا أحسن أخلاقه وتفاعل مع مجتمعه وأرضى ربه يحصل على سعادة الدارين فهي النعمة العظيمة.

المبحث الثاني

وصايا القرآن بالصحة البدنية والنفسية

أ- الصحة البدنية :

جاء القرآن الكريم بتشريعات ووصايا وأحكام لها آثار مباشرة أو غير مباشرة على سلامة جسم الأنسان ، وله الفضل الكبير. منها عرفه الأقدمون والآن أكتشف حديثاً وسيكتشف تشريعات القرآن في هذا المجال. مع العلم أن نلاحظ أن نزول القرآن كان في زمان ومكان ومجتمع لا وجود لمثل هذه المفاهيم فيه، بل لم تخطر على بال أحد في عظمته وإعجازه العلمي ويمكن أن تشير تلك الآيات بإختصار:

١- الدعوة الى تناول الأغذية النظيفة الطاهرة وأمثالها وعدم الامتناع عن تناولها، قال تعالى
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } البقرة: ١٧٢، وقد وردت آيات أخر في هذا المضمون (٣١). والمراد من الغذاء الطيب هو المحلل الطاهر من النجاسات والأوساخ. وقد أباح الجاهليون على أنفسهم بعض الأطعمة دون دليل(٣٢). حتى أهل الكهف

عندما استيقضوا من نومهم الطويل وبعثوا أحدهم بقولهم: { وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا } الكهف: ١٩

٢- المنع من تناول الخبائث، قال تعالى:

{وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ } الأعراف: ١٥٧. والخبائث : كل ما يكره رداءة وخساسة محسوساً كان أو معقولاً(٣٢). فهذه الخبائث تسبب ضرر للإنسان تنفر الطبيعة البشرية، وقد بحثت فيها كتب الفقه.

٣- المنع من تناول الدم والميتة ولحم الخنزير وغير المذبوح بالطريقة بالطريقة الإسلامية ، قوله تعالى {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ} المائدة: (٣) لما في هذه الفقرات من أمراض فتاكة تصيب الجسم قد أعترف بها العلم الحديث.

٤- تحريم شرب الخمر ، قال سبحانه:

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } البقرة: ٢١٩ فالخمر يفقد الأنسان عقله ويسبب تشمع الكبد، وكثير من المشاكل العائلية والمجتمعية تنتج من شرب الخمور وكثر من المصحات والمستشفيات توصي بعدم شرب الخمور ، فهي تجعل الأنسان في الأخير مهدود القوى خاوي الأعصاب. وكذلك الميسر – القمار- لما فيه من بث العداوات والبغضاء بين أفراد المجتمع.

٥- المنع من الاسراف في الأكل ، قال تعالى {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} الأعراف: ٣١

فيما يتعلق بالنقاط أعلاه نهانا القرآن عن إشباع دوافعنا الفيسولوجية عن الحرام ونهانا عن أكل أنواع معينة من المأكولات لما فيها من أضرار بصحة الإنسان، ولا سيما الأكل والشرب لما فيها من أذية إذا أسرف فيها، فهي تجمع بين الضرار بالصحة البدنية والنفسية.

٦- حرمة الزنا، قال تعالى { وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً } الإسراء: ٣٢فالزنا سبب في قطع الأنساب، وهيجان الفتنة ، وإبطال المواريث ، وصلة الرحم. فالزنا ليس طريقاً طبيعيا خالياً من الخطر ، فهو يلقي بالمجتمع في الاف العادات المنحرفة التي والمكتشف حالياً من عشرات الملايين من مرضى الجنس، ومليارات الدولارات تصرف لمعالجتهم ، وملايين الاطفال اللقطاء.(٣٣)

٧- حرمة الجماع في أيام الحيض والنفاس، قال سبحانه وتعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} البقرة: ٢٢٢إن القرآن لا ينكر الدوافع الفطرية وكبتها، يجنبه الوقوع في الصراع النفسي الذي ينشأ من الكبت ××××× لكنه لا يطلق العنان للإنسان لإشباع دوافعه الفطرية بلا حدود ، ولكنه يدعو إلى تنظيمها، والسيطرة على زمامها (٣٤) ، ولا حرج على الأنسان من التمتع بإشباع دوافعه الفطرية مادام يشبعها عن الطريق الحلال والمسموح به شرعاً.

قال تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} الروم: ٢١ إن الكبت الجنسي يتنج عنه أمراض عصبية ، يجب كبته، والكبت الجنسي تؤمن به المسيحية ، لذلك جاء فرويد يعالج مرضاه بالأمراض العصبية بالجنس وكتب نظرية عن الدافع الجنسي في أفعال الأنسان ، مع ذلك خالفه تلاميذه مثل آدلر وبوند ومن المحللين الآخرين مثل كارن هدرين واريك فروم، خالفوه لإهتمامه الزائد بالناحية الجنسية وأعتبر أن الأمراض ناشئة منها (٣٥).

كل هذه المحرمات على الأنسان جاء القرآن ليحميه من أمراض تصيبه وتهدد حياته وبقاءه. وكل هذا وغيره إشارات ولمحات توضح مدى إهتمام القرآن والسنة بصحة البدن وسلامته إذ لا يخفى مدى أثر هذه الأوامر والنواحي والأرشادات على سلامة بدن الانسان.

وقد خاض العلماء المسلمون في السابق والآن في تبيان معاجز من بينه القرآن ومما حذرتنا منه وكذلك علماء الغرب وأطبائهم حول إعجازات القرآن الطبية في حفظ جسد الأنسان من الأمراض التي لها دور مهم في الصحة النفسية.(٣٦)

ب- القرآن والصحة النفسية

بيننا فيما سبق الأمراض التي تصيب البدن وتحذير القرآن منها . ولكن الأمراض النفسية كما بينا غير واضحة لدى اكثر المصابين، إذ أن آثارها غير ظاهرة ولا محسوسة، وإذا رافقها آلم فإن سببه غير معروف لدى المصاب، مما يؤدي إلى عدم إمكان تشخيص العلاج بسهولة. والمعروف فأن الأمراض النفسية اعتقد وأحضر في أحيان كثيرة من الأمراض البدنية ويؤيد ذلك:

١- إن الأمراض النفسية تكون في كثير من الأحيان سبباً ومقدمة لأمراض البدن.
٢- أن الروح والنفس الأنسانية أهم بمراتب من جسم الإنسان، لأنها تمثل حقيقة الأنسان وإنسانيته، وبها يتكامل الأنسان، ومن أجل ذلك خلق الإنسان فيما يصيب النفس من أمراض، يكون خطراً على مسيرة الإنسان ومنهجه.
٣- إن أمراض النفس يمتد أثرها على الأنسان الى ما بعد الموت – حسب النظرية الإسلامية – أما أمراض البدن وآلامها فأنها تفارقه عند الموت. وبعد الموت تكون سبباً لرفع درجاته خاصة إذا واجهها بالصبر والتسليم.

يقول السيد الخميني (رحمه الله) : (اعلم أيها العزيز أنه مثلما يكون لهذا الجسد صحة ومرض وعلاج ، فأن للنفس الأنسانية أيضاً صحة ومرضاً وسقماً وسلامة ، وعلاجاً ومعالجا. فأن صحة النفس وسلامتها هو الاعتدال في طريق الانسانية ، وأن الأمراض النفسية أشد فتكاً بآلاف المرات من الأمراض الجسمية وذلك أن الأمراض الجسمية تزول عند مفارقة الروح الجسد، ولكنه إذا كان أمراض روحية وأسقام نفسية فأنه ما أن تفارق روحه الجسد وتتوجه إلى ملكوتها الخاص ، حتى تظهر آلامها وأسقامها). (٣٧)

٤- أمراض البدن قد تعالج بمعونة الدواء دون الالتجاء الى الحمية بخلاف أمراض النفس فأن اللازم علاجها التحلية والتحلية أي استخدام الحمية والعلاج معاً. ولكن إذا تغلبت الأمراض على النفس منذ البداية توجهها نحو الفساد والأنحطاط {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} يوسف: ٥٣
٥- أن من الأمراض النفسية ما تسري إلى المجتمع وتؤدي إلى فساده حيث يصعب بل لا يمكن حبسها وتحجيمها في مكان واحد. بخلاف أمراض البدن فأنه يمكن السيطرة عليها والحيلولة دون تسربها للمجتمع. (٣٨)

ومن هنا جاء القرآن الكريم مهتماً بالصحة النفسية أكثر من أهتمامه بالصحة البدنية وأن لا يتركها جزافاً . فالقرآن الكريم يقرر.

أ- إن الأنسان هدف الخلقة لذلك نجد آيات مباركات تخاطب بني آدم (خلق لكم) (خيل لكم) (سخر لكم) وأمثالها.

ب- أن الأنسان مركب من روح وبدن ، قال تعالى {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } الحجر: ٢٩فالبدن هم الجسم المادي المخلوق من تراب والروح هو الموجود المجرد الذي نسبه الله اليه تكريماً.

ج- أن الروح الأنسانية هي حقيقة الأنسان ، وأما البدن فهو أداة وجهاز لتنفيذ أوامر الروح وإرادتها وهناك آيات مباركات تؤثر الى ذلك ، قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣)} المؤمنون: ١٢-١٤

قال السيد الطباطبائي في تفسير الميزان : (وقد أنشأ الله سبحانه هذا النوع ، حينما أنشأ مركباً من جزئين ومؤلفاً من جوهرين ، مادة بدنية وجوهر مجرد هي النفس والروح ، وهما متلازمان ومتصاحبان ما دامت الحياة الدنيوية ثم يموت البدن وتفارقه الروح الحية....) (٣٩)

وهنا قول المنقذ الأنسانية الرسول الأعظم (ص) قوله (ان الله تبارك وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم)(٤٠).

د- إن المرض الذي يصيب النفس الإنسانية يؤثر على تصرفات الانسان ومسيرته وتفاعله مع المجتمع أكثر من المرض البدني . فالنفس السليمة هي التي تصل بصاحبها الى مدارك الكمال والرفعة . لذلك جاء كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) (فأشفوه من ادوائكم واستعينوا به على دنياكم، فأن فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والظلال)(٤١) يعني القرآن الكريم . أما صاحب تفسير الأمثل فيقول (والمقصود من شفاء لما في الصدور، هي تلك التلوثات المعنوية والروحية، كالبخل والحقد والحسد والعين والشرك والنفاق وأمثال ذلك)(٤٢)

الأمراض النفسية :

كما بينا سابقا أن الأمراض النفسية أشد خطراً من الأمراض البدنية ، ومنها الخوف، الغضب، الكره، الغيرة، الحسد ، الندم، الخجل ، الخزي، وسوف نتناول ما جاء في القرآن من هذه الانفعالات:

١- ويسمى الاضطراب وهو حالة من الانفعال المؤلم الغامض مع توقع الخطر من أمر مجهول. وتشبه حالة الخوف، إلا أنه خوف متواصل ولا يعرف مصدره. وهناك فوائد للخوف لا تستعرضها منها الخوف على وقاية الانسان من الاخطار التي تهدد البشرية، والخوف من عقاب الله سبحانه الى تجنب الوقوع في المعاصي(٤٣) قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } الأنفال: ٢. وقد أشار القرآن الكريم في بعض آياته على هذا المرض ، قال تعالى {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَخَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُو نَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣)} النساء: ١٤٢ - ١٤٣. فهذه الآيات تبين مدى القلق وإضطراب هؤلاء الاشخاص الذين لا يهتدون الى سبيل الخلاص. فالقرآن يحدد سبب هذا المرض بالنفاق وله اسباب منها حب الدنيا بما يلحقه من حب الحياة والمال والخوف من الموت ، وسوء التربية من الطفولة.(٤٤)

٢- الكآبة ، وهو أحساس من الحزن السلبي المتواصل في حياة الفرد ، فهناك حزن إيجابي يدفع الإنسان لتعديل انحرافاته وتقويم زيغه ناتج عن شعور بالتقصير واحساس بالذنب.

وهناك حزن سلبي يوقف حركة الانسان التصاعدية أن أكثر حالات الانتحار تقود الى عامل الكآبة المزمنة واليأس من إيجاد طريق للخلاص منها. فقد ورد عن أمير

المؤمنين علي (ع) قوله (الهم نصف الهرم)(٤٥) (ومن كثر همه سقم بدنه) (٤٦) (والغم مرض النفس) (٤٧). ويمكن أن نحلل إجتماعياً عدة أسباب للكآبة ، منها التفكك الأسري ، لذا نجد أنتشار هذا المرض في المجتمعات الغربية التي لا تهتم للروابط الأسرية لذلك تنتشر حالات الانتحار تصل الى ارقام مذهلة.(٤٨) بخلاف المدن الشرقية، وخاصة أصل الأرباب ، لمن لم يصلهم المد الغربي وآثار التغرب ، حيث الشد الأسري والتعاون والتكافل الاجتماعي وسببه التمسك بالعقيدة الإسلامية والأعراف المجتمعية.

وعلاج المرض قرآنياً نجده في آيات كثيرة تعالج جذور هذا المرض بشكل مباشر أو غير مباشر، من خلال التأكيد على الروابط الإجتماعية والأسرية والتحذير من التعلق بالدنيا ، وحب الدنيا هي السبب المسبب لكثير من الأمراض ، وهؤلاء المنتحرون لا يؤمنون بالآخرة لذلك قلوبهم خاوية من الإيمان وهم لا يلتفتوا الى وسائل الصبر والايمان والفرج ، قال رسول الله (ص) (إن الله بحكمته وفضله جعل الروح والفرج في اليقين والرضا، وجعل الهم والشك والسخط)(٤٩).

وهناك أمراض أخرى لا يسع المقال التكلم عنها ، منها: الوسواس ، الهستريا ، ضعف الشخصية.

وهناك أمراض أخلاقية ، منها : النفاق ، الكفر ، الشرك ، وحب الدنيا.

الهوامش

(١) ينظر القرآن وعلم النفس، محمد عثمان بخاتي ، دار الشروق ، ط٥
(٢) ينظر أصول الصحة النفسية ، كمال ابراهيم مرسي، دار العلم للنشر والتوزيع، الكويت.
(٣) ينظر الصحة النفسية في ضوء الإسلام ، محمد عودة ، دار العلم ، الكويت ، ١٩٨٧، ص٦٤
(٤) ينظر أصول الصحة النفسية ، أحمد عبد الخالق ، دار المعرفة الجامعة ، مصر – الاسكندرية
(٥) ينظر دعائم صحة الفرد النفسية ، محمد السيد الهابط، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٨٧
(٦) ينظر الصحة النفسية في ضوء الإسلام، محمد عودة ، دار العلم ، الكويت ، ص٦٤
(٧) دراسة علمية للأستاذ الدكتور صالح بن ابراهيم ال×××××× ، الناشر جامعة الامام محمد بن سمعود ، الرياض
(٨) ينظر النفس إنفعالاتها وأمراضها، د. علي كمال، ص٣٥
(٩) ينظر بحوث فقهية في الصحة ، السيد محمد تقي المدرسي ، مركز العصر للثقافة والنشر ، ط٥، ص٢٧
(١٠) ينظر دع القلق وإبدأ الحياة ، دلل كار تقي ، ترجمة عبد المنعم الريادي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٠، ص٢٨٢-٢٩٢
(١١) ينظر الفتاوى الكبرى ، احمد زين ، مكتبة التراث الإسلامي
(١٢) روجيه دو باكينه : مفكر وصحفي سويسري ولد في فرنسا لأم كاثوليكية وأب ملحد، وكان هاديا للصهيونية ، أستاذ جامعي ، كان شيوعياً ولكنه اعتنق الإسلام ١٩٨٢ وله مؤلفات عن الإسلام منها (وعود الإسلام) (الإسلام سكن مستقبلنا)
(١٣) الاسلام دين السعادة والطمأنينة ، روديه دوباكيته، نقلاً عن كتاب القرآن وعلم النفس ، دكتور محمد عثمان نجاتي، ١٩٨٢.
(١٤) ينظر الصحة النفسية والعلاج النفسي ، حامد عبد السلام زهران ، ط١ ، الناشر الشركة الدولية للطباعة ، ط٤، ج٣، ص١٣-١٥، سنة ٢٠٠٥
(١٥) ينظر العقيدة من خلال الفطرة في القرآن الكريم ، أيه الله جواد أملي، دار الصفوة ، بيروت، ص٢٩٧.
(١٦) القرآن وعلم النفس، دكتور محمد عثمان بجاتي، دار الشروق ، ١٩٨٢، ص٢٥٣
(١٧) القرآن وعلم النفس ، الدكتور محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، ١٩٨٢، ص٢٥٥
(١٨) هي كناية لا تشبيه شهيرة تنسب الى طالبا (Manssanaincorporesano)
(١٩) احياء علوم الدين القراني ، ج١، ص١١١، مؤسسة الريان للطباعة والنشر ، السعودية ، ١٤٣٢هـ
(٢٠) الاسماء والصفات، احمدي الحسين بن علي البيهقي ، مكتبة السوادي ، جدة - المملكة العربية السعودية، ج٤، ص٤٣٧.
(٢١) دورية القافلة الاسبوعية بمناسبة اليوم العالمي للصحة النفسية ، كانون الاول ٢٠١٠، الموضوع (العلاقة بين الصحة النفسية والأمراض الجسمية).
(٢٢) ينظر أكاديمية علم النفس ، قاعدة الدراسات الجامعية والبحث العلمي ، شاكر فهمي ، جدة - المملكة العربية السعودية . ينظر ويكيبيديا ، صحة ، شبكة الانترنت

(٢٣) ينظر تهذيب الأخلاق ، احمدي محمد بن يعقوب ، مسكويه، منشورات الجمل ، تحقيق احمد بن محمد الهلال، ط١، ٢٠١١، ص١٥٢
(٢٤) المصدر نفسه ، ص١٥٧-١٦٠
(٢٥) ينظر الطريق الى الصحة النفسية ، عبد العزيز بن عبد الله الاحمد ، الناشر مدار الوطن
(٢٦) ينظر الاسلام والصحة النفسية ، احمد القبنجي ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، ط٢، ص٤٢-٤٥
(٢٧) الاسلام وأمراض العصر ، إسامة محمد راضي ، ندوة حول علم النفس والاسلام في كلية التربية، الرياض ، ١٩٧٨
(٢٨) سنن أبي داوود ، كتاب الأدب ، باب صلاة ، ٤٩٨٦
(٢٩) علم النفس الديني ، وليم جيمس ، وهو أشهر علماء النفس، ترجمة سمير عبدة ، دمشق، دار الدمشق للطباعة والنشر ، د.ت.
(٣٠)
(٣١) ينظر النفس المطمئنة ، سيد عبد الحميد مرسي ، دار الفضيلة ، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
(٣٢) الدعاء / الطبيب وعالم النفس الشهير اليكسس كاريل ، ط٣١، ترجمة شفيق اسعد فريد ، بيروت : مكتبة المعارف، ١٩٨٠
(٣٣) ينظر دراسات في الاخلاق وشؤون الحكمة العلمية ، الأستاذ الشيخ حسين المظاهري ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ص٢٤
(٣٤) الاسلام والصحة النفسية، أحمد القيانجي ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم المقدسة ، ط٢، ص٤٥.
(٣٥) ينظر تفسير الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ج١، ص٤٨٥، دار جواد الأئمة ، لبنان – بيروت
(٣٦) غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني
(٣٧) ينظر الذنوب الكبيرة ، عبد الحسين دستغيب، دار البلاغة ، بيروت – لبنان ، ج١، ص٢٠٦.
(٣٨) الأنسان بين المادية والإسلام ، محمد قطب ، ص٣١، القاهرة ، الناشر عيسى الباقي الحلبي وشرركاء، ١٩٦٥، ص٨٤-٩١
(٣٩) ينظر القرآن وعلم النفس ، دكتور محمد عثمان نجاتي ، ص٥٥
(٤٠) ينظر الشعور بالنقص بين النظرية القرآنية وعلماء النفس، سيد ليث الحيدري ، منشورات لسان الصادق، قم المقدسة ، ط١، ص٥٠-٥٥
(٤١) الأربعون حديثاً، الأمام الخميني ، ص٢٠١ ،
(٤٢) ينظر الشعور بالنقص بين النظرية القرآنية وعلم النفس، ليث الحيدري ، ص٥٧.
(٤٣) تفسير الميزان ، محمد حسين الطباطبائي ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ج٢، ص١١٤.
(٤٤) آمالي الطوسي ،
(٤٥) نهج البلاغة ،
(٤٦) تفسيرالأمثل ، مكارم ناصر الشيرازي ، ج٦، ص٣٧٩.
(٤٧) ينظر : القرآن وعلم النفس ، محمود عثمان نجاتي ، ص٦٤-٦٥
(٤٨) الإسلام والصحة النفسية ، القبانجي ، ص٤٠
(٤٩) بحار الانوار ، المجلسي ، ج٧، ص٥٣
(٥٠) المصدر نفسه ، ج٦، ص٢٦٠

(٥١) غرر الحكم ودرر الكلم ، عبد الواحد محمد التميمي ، ترتيب وتدقيق عبد الحسين وهبي ، دار الهادي ، بيروت ، لبنان ، ص١٢٥
(٥٢) الامراض النفسية ، د. غريب جة مي كدر د. ديبر، ترجمة السيد ليث الحيدري ، ص٥٥
(٥٣) بحار الأنوار ، المجلسي ، ج٧٤ ، ص٦١

obeikandl.com

الخطاب الوعظي التعليمي

عند جلال الدين الرومي

ا . د حسين عبيد الشمري
م . م ثائر حسن حسن الجبوري
جامعة القادسية / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

Abstract

Jalal Al-Din Al-Roumi shows through his literary writings a milestone that seeks to remove the dust of ignorance from the hearts of the listeners or the disciples. His dialect is sound, moral, educational, speaking of the world of meaning at times and of general public issues that scientists and philosophers warn of before. His speech, however, reflects the tone of the general rhetoric and reflects the rule and the preaching of the public, and sometimes the teaching of a more specific tone, as if showing the demands of Sufis and acquaintances, showing a high skill in the use of stories and proverbs and governance traded in his time in the introduction of his vision and Sufi teachings In the construction and description of the man whom God made his successor in the land, and his preaching speech came in accordance with clear steps and ways through his rich literary blog.

المقدمة :

يظهر جلال الدين الرومي من خلال مؤلفاته الادبية معلماً يسعى الى إزالة غبار الجهل عن قلوب السامعين أو التلاميذ ، فنجد لهجته في الكلام تنبيهاً ، ولونه أخلاقياً تعليمياً ، متحدثاً عن عالم المعنى تارةً وعن مسائل كلية عامة تنبه اليها العلماء والفلاسفة قبله تارةً أخرى ، فمخاطبوه من الخاصّة ومع ذلك يتلون خطابه بلون الخطابة الكليّة وتنعكس فيه الحكم والمواعظ العمومية ، وأحياناً كلام تعليمي ذو صبغة أخص وكأنه يبيّن المطالب للصوفية والعارفين ، مظهراً مهارةً عالية في توظيف القصص والامثال والحكم المتداولة في عصره توظيفاً أدائياً في طرح رؤيته وتعاليمه الصوفية في بناء ووصف الانسان الذي جعله الله خليفته في الارض ، وجاء خطابه الوعظي التعليمي وفق خطوات وطرق واضحة من خلال مدونته الادبية الثرية .

أولا: مفهوم الخطاب

يعد مصطلح الخطاب من المصطلحات المعاصرة في الدراسات النقدية والالسنية، وصار استخدامه واسع النطاق في الدراسات العلمية والبحثية متعددة المجالات.

وفي اللغة: الخطاب مصدر الفعل خطب، يقول ابن فارس: الخاء والطاء والباء اصلان:أحدهما الكلام بين اثنين،يقال: خاطبهُ يُخاطِبه خِطاباً، والخُطْبة من ذلك.

وفي لسان العرب : الخِطابُ والمُخاطَبَة : مُراجَعَة الكَلام ، وقد خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطبَةٌ وخِطاباً ، وهما يَتخاطَبان .

ومن الواضح هنا ان الأصل اللغوي في معنى الخطاب فيه دلالة على عاملية تفاعلية في التواصل بين شخصين بينهما رسالة كلامية ملفوظة، وهو ما تشير اليه كثير من التعريفات الاصطلاحية المتأخرة في مدارس تحليل الخطاب.

ويقترب ذلك مما ذكره الكفوي في كلياته في تعريف الخطاب حيث يقول : " الخطاب : اللفظ المتواضع عليه المقصود به افهام من هو متهيئ لفمه ، احترز (باللفظ) عن الحركات والاشارات المفهمة بالمواضعة ن (وبالتواضع عليه) عن الالفاظ المهملة ، و (بالمقصود به الافهام) عن كلام لم يقصد به افهام المستمع ، فانه لا يسمى خطابا ، وبقوله : (لمن هو متهيئ لفهمه) عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم ، والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع ، وعلى مدلولها القائم بالنفس".

ومن كلام الكفوي يتضح ان الخطاب يقوم على عناصر هي:

- **اللفظ.**
- **المخاطب.**
- **المتكلم / المخاطِب.**
- **القصدية في الافهام.**

وفي تعريفه اخراج لكل وجوه الافهام الأخرى كالإشارات؛ لأنه احترز عنها بكلمة اللفظ، وهي طريقة تتبناها بعض المدارس الحديثة.

وإذاأردنا ان ننقل مفهوم الخطاب في العصر الحاضر عند المدارس التي كانت مهمتها تخليق الخطاب وفق استراتيجيات قرائية،فإننا لن نقف على تحديد دقيق او مجمع عليه بين هذه المدارس، بل ستجد إشكالات في محاور منها:

- **تعريف الخطاب والمقصود به.**
- **التفريق بين مفهوم الخطاب ومفهوم النص.**
- **استراتيجيات وطرق تحليل الخطاب.**

ولان هذه الدراسة لا تعنى بهذه الاختلافات ولكنها تشير اليها من قبيل احاطة القاري بان الدراسة تضع في حسبانها هذه الرؤى وهي تتعامل مع (الخطاب الوعظي) وتدرك جيدا هذه الملابسات وتحاول التعامل والتجاوز .

هذا الاضطراب في مفهوم الخطاب، ثم في مفهوم تحليل الخطاب جعل ميشيل فوكو يقرر انه ينأى بنفسه عن إيجاد تحديد دقيق للمصطلح، ويعتقد ان بُعْدَهُ عن هذه العملية أفضل من السعي فيها.

بدل ان اقلص تدريجيا من كلمة خطاب(discourse) ومالها من اضطراب وتقلب ، اعتقد انني في حقيقة الامر اضفت لها معان أخرى بمعالجتها ، أحيانا كمجال عام لكل العبارات ، واحيانا كمجموعة من العبارات الخاصة واحيانا أخرى كممارسة منظمة تفسر وتبرر العديد من العبارات .

وفوكو هنا يشير الى حد ما يمكن ان نسميه فتح المصطلح وتوسيعه؛ ليشمل ابعادا جديدة مع تعدد الإضافات اليه، وهذا يزيده ثراءً واتساعا وان كان يلقي به في دوامة من الغموض والالتباس.

والخطاب بمفهومه المعاصر يعتني بالبعد الاجتماعي الذي يكسب العبارات والجمل الملفوظة دلالاتها الخاصة ، فيعرفه مايكل شورت بانه " اتصال لغوي يعتبر صفقة بين المتكلم والمستمع ، نشاطا متبادلا بينهما وتتوقف صيغته على غرضه الاجتماعي " .

وتلقى الباحثون والدارسون العرب مصطلح الخطاب في لبوسه الغربي، وادخل ضمن الدراسات النقدية العربية الحديثة، ووقع فيه ما وقع من لبس مماثل في الدراسات الأجنبية.

وفي استخدامنا لمصطلح الخطاب هنا نود ان نشير الى اننا سنستخدمه وفقا لدلالة اوضع من الدلالة اللفظية ؛ لتشمل الدلالة غير اللفظية لتدخله في (علم الدلالة) او ما يطلق عليه السيميولوجيا ، ونقترب كثيرا من التعريف الذي اتخذه صلاح فضل حين قال عنه هو : " مجموعة من المنتجات الفكرية التي يراد ايصالها الى متلق ، عبر نصوص مكتوبة او مسموعة او مرئية ، والتي يقدم موقفا شموليا او جزئيا من قضية او مشكلة قائمة او مفترضة ، أي : ما يقدم من الفكر في وجهة نظر حول موضوع ما" .

وهذا الموضوع لاقى وسيلاقي بعض الاعتراضات عليه، ولكنها اعتراضات لا تعنينا كثيرا في هذه الدراسة التي تركز على البحث في خطاب معين له سمات محددة الى حد ما، يمكن رصدها وتتبعها واكتشاف الثغرات فيها.

وطريقة اختيار هذا النمط من المفهوم لا بأس به ما دام يخدم الغرض او الحقل الذي نسير فيه، على حد قول سعيد يقطين: " لتحديد الخطاب وتحليله التحديد والتحليل المقبولين، علينا ان نحدد الاتجاه الذي ننتمي اليه، والمجال الذي نشتغل فيه، وفق أسئلة أبستمولوجيا محددة، نجيب من خلالها عن هذه الأسئلة: لماذا هذا التعريف؟ وما هي الأدوات والإجراءات المناسبة؟ الى ماذا نبغي الوصول؟وكيف؟ " .

وفي تقديرنا ان هذه الطريقة هي الأنسب للخروج من خلاف المصطلحات التي لا تكاد تخلو منها المعرفة الإنسانية، وما يستتبعها من جهد ووقت واطالة ترهق الكاتب والقارئ دون الوصول الى نتيجة مجمع عليها ومعترف بها.

وما دمنا اخترنا ان الخطاب هو كل انتاج دلالي يقصد منه الافهام باللغة المنطوقة وغير المنطوقة في سياق اجتماعي ، فان الخطابات لا يمكن ان تكون حقلا واحدا بل سنكون حتما بين خطابات متعددة بتعدد الظروف الزمانية والمكانية والسياقات الموضوعية المختلفة ؛ لذلك نحن امام " تنوع وتعدد الخطابات الشفوية والتي تمتد من المخاطبة اليومية الى الخطبة الأكثر صنعة وزخرفة ، والى جانب الخطابات الشفوية نجد أيضا كتلة من الخطابات المكتوبة التي تميد انتاج الخطابات الشفوية ، وتستعير ادوارها ومراميها من المراسلات الى المذكرات والمسموح والكتابات التربوية " .

ومع هذا التنوع والتعدد في الخطابات سواء كانت عفوية او خطابات منظمة، فانه يمكن لنا ان نرصد سمات معينة لكل نوع، بحيث تصبح الخطابات ضمن مساقات لا تنحصر ولكنها تتحدد.

وهذا ما سنحاول ان تقوم بعمله من اجل تحديد سمات الخطاب الوعظي، بحيث يمكن من خلالها التعرف على ملامحه، بتتبع مفهومه ونماذجه تاريخيا.

وبما ان الوعظ هو من ضمن الخطابات المتنوعة في الواقع الإنساني والإسلامي على وجه الخصوص وهو منتج بشري، فانه يعتبر بذلك لغة ودلالة خاضعة للتحليل والتأويل.

وتحليل الخطاب له اتجاهان معروفان: تحليل ينحو نحو النص، ويغفل ملابسات النص الخارجية، واخر يأخذ في حسبانه هدف النص وملابساته الخارجية.

ان تحليل الخطابات بالضرورة تحليل للغة في الاستعمال ؛ لذلك لا يمكن ان نحصره في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيدا عن الأغراض والوظائف التي وضعت هذه الاشكال لتحقيقها بين الاس ، واذا كان بعضهم مهتما بتحديد الخصائص الشكلية للغة ، فان محلل الخطاب ملزم بالبحث فيهما تستعمل تلك اللغة من اجله.

اننا في معالجة الخطاب الوعظي نحاول توسيع دائرة القراءة وتتبع المناحي التي يمكن لها ان تضئ الطريق امام قراءة واعية لواقع الخطاب عند جلال الدين الرومي وما

يمكن ان تحققه هذه القراءة من فهم للخطاب الوعظي عنده على اننا لن نسير كثيرا في الاتجاه الثقافي للخطاب وتتبع انساقه الخفية، بل سنرجع الى الرؤية الشرعية في معالجة ما تراه من ملحوظات تضر بنية الخطاب من جهة، وتضر هذه الخطاب التأثيري، وبقية عناصر الاتجاه.

بطبيعة الخطاب عند جلال الدين الرومي وما يمكن ان تحققه هذه القراءة من فهم لرؤيته في رسم صورة الانسان بوصفه كائن ذو بعدين مادي وروحي ، او كما يقول شريعتي نصفه شيطان والنصف الاخر الاهي.

ثانيا: مفهوم الوعظ

تدور معاني اللغة لمفردة " الوعظ" ومشتقاتها حول دلالات متقاربة تتلخص في التذكير تخويفا او ترغيبا بما يلين القلوب من النصح والحث على الخير والتحذير من البشر.

ففي لسان العرب : " الوعظ والعظة والموعظة : النصح والتذكير بالعواقب ، قال ابن سيده : هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب " .

وفي معجم مقاييس اللغة : الوعظ والتخويف ، وعن الخليل : التذكير بالخير وما يرق له قلبه ، وفي الصباح المنير : " وعظه امره بالطاعة ووصاه بها " .

وهذه المعاني اللغوية هي التي اثرت وانتقلت الى المعاني التي تعرض لها أصحاب التعريفات الاصطلاحية، واستخدمها كذلك المفسرون في تفسير الآيات التي ورد فيها ذكر الوعظ مع مراعاتهم للسياق.فيعرف المناوي الوعظ بقوله : " اهزاز النفس بموعود الجزاء ووعيده "، وفي تعريفات الجرجاني: " الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية ، وتدمع العيون الجامدة ، وتصلح الاعمال الفاسدة " .

وابن الجوزي يعرف الوعظ بانه " تخويف يرق له القلب" ، والنسفي يعرفه بانه " خلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة " .

ومن التعريفات الجيدة للوعظ تعريف محمد رشيد رضا في تفسير المنار : " الوعظ ؛ أي : الوصية بالحق والخير، واجتناب الباطل والشر، بأساليب الترغيب والترهيب التي يرق لها القلب ، فتبعث على الفعل والترك " .

ويمكننا ان نضيف هنا تعريف ابن تيمية للوعظ فقد تكرر هذا التعريف في اراثه كثيرا، يقول منه باختصار وتركيز : الوعظ : هو الامر والنهي ؛ والترغيب والترهيب"، ويتكرر بألفاظ مقاربة في كثير من كتبه ورسائله ومنه اقتبس هذا التعريف ابن القيم كذلك .

وتعريفه للوعظ هو بناء على استخدام القران له فقد ورد بمعنى الامر كما في قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا)؛ أي : ما يأمرون به ، وبمعنى النهي كقوله تعالى : (يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)؛ أي : ينهاكم الله ، اما الوعاظ فانهم ينقلون في وعظهم امر الله ونهيه ، مصحوبا الترغيب والترهيب .

ولو امعنا النظر في هذه السياقات اللغوية او الرؤية الاصطلاحية على تعدد من اسهم فيها امكننا ان نمسك بثلاث سمات أولها اثر والاخران اداتان لغويتان :

١.الخطاب الوعظي خطاب مؤثر (يلين القلوب / يدمع العيون / يهز النفوس ...).

٢.الخطاب الوعظي امر (ترغيب)

٣.الخطاب الوعظي نهي (ترهيب) .

يتكون الخطاب إذا من لغة خاصة تقوم على الامر والنهي (الحث على الفعل او الترك) بأساليب اللغة المباشرة وغير المباشرة في النهي والتحذير والاغراء، وبين الامر والنهي ارتباط وثيق فالأمر يتضمن نهيا، والنهي يتضمن امرا، وينتج عن هذه اللغة أثر على المتلقي من خلال عملية التواصل.

لكن ينبغي ان ندرك هنا ان سمة التأثير –التي أشار اليها كثير من العلماء حتى عدها صاحب أضواء البيان هي ضابط الوعظ حين قال : "ضابط الوعظ : هو الكلام الذي تلين له القلوب " –ليست هي هدف الوعظ وغايته النهائية كما قد يتوهم ، حتى صار هدف كل واعظ هو احداث هذا الأثر فيكون هدف وعظه ابكاء الناس وتخويفهم وتليين قلوبهم دون مراعاة الهدف الغائي الأكبر للوعظ .وحين نريد ان نفتح الأفق بشكل اكبر لفهم طبيعة الوعظ فان عبارة التأثير وتليين القلوب التي تكررت عند الاصطلاحيين في الوعظ ينبغي ان ينظر لها من جانب اخر ، وهو كيفية حدوث هذا التأثير ؟

هل يحدث من خلال الامر والنهي فقط؟ وكيف يمكن ان يكون كذلك مع ان الامر والنهي المجردان لا يحدثان هذا الأثر مالم يصحبهما عوامل أخرى، خاصة انهم لا يعنون بالأمر والنهي او الترغيب والترهيب المفهوم الاصولي او اللغوي المباشر، بل يريدون دلالة اسوع تعني الحث والحض على فعل الشيء او تركه، بغض النظر عن حكمه من حيث الوجوب او الحرمة.

ومن الأسئلة المنطقية هنا لماذا آثر العلماء التعبير بالأثر مع انه فيما يبدو امر خارجي يظهر على مستقبلي الخطاب؟

ويمكننا ان نجيب بأمورمنها:

- راعى العلماء هنا قصدية الخطاب وهو وعي مبكر بهدف ومراد الخطاب هو ما يشكل الان عصب الدراسات التداولية وتحليل الخطاب،وأصبح هدف الخطاب وقصيدته يحدد سياقه والسمات التي يمكن ان يتذرع بها داخليا في تركيبه للوصول الى مبتغاه.

- واستجابة لفكرة القصدية لا يمكن بحال ان نعتبر التأثير (هدف الخطاب) خارجا عن الخطاب ؛ لان الهدف حينها هو الذي سيشكل الخطاب على صورة مخصوصة تميزه عن غيره من الخطابات ، والهدف هنا في صورة مرحلية .

ولم يحدد العلماء الطرق التي يمكن ان تستخدمها لغة الخطاب لإحداث التأثير، وهذا بطبيعة الحال يلقي بالظلال على طبيعة اللغة التي يمكن ان تحدث التأثير في العملية التواصلية اللغوية، وهل مرجع هذا التأثير يعود الى اللغة (الرسالة) فحسب، ام ما يقترن بعملية التواصل بين الواعظ والموعوظ من ملابسات تسهم في احداث هذا الأثر.

ويقودنا هذا بطريقة أخرى الى تصنيفات الخطاب وانواعه ، اذ يصنف بعض علماء اللغة والنقد الخطاب الى : نقدي وادبي ، ويرون ان الخطاب الادبي هو الذي يهدف الى التعبير ، او التأثير ، يقول عبد السلام المسدي : " اذا كانت عملية الاخبار عِلّة الحدث اللساني أساسا ، فان غائية الحدث الادبي تكمن في تجاوز الإبلاغ الى الاثارة".

ان رائد الاسلوبية تشارلز بالي يصنف الواقع اللغوي تصنيفا مغايرا لما سبقه، فيرى للخطاب نوعين: خطابا حاملا لذاته غير مشحون البتة، واخر حاملا للعواطف والخلجات وكل الانفعالات.

يقول تشارلز بالي : " فاللغة في الواقع تكشف في كل مظاهرها وجها فكريا ووجها عاطفيا ، ويتفاوت الوجهان كثافة حسب ما للمتكلم من استعداد فطري ، وحسب وسطه الاجتماعي والحالة التي يكون فيها ".

وفي منطقة التعبير والتأثير يتلاقى الخطاب الادبي والخطاب الوعظي ، رغم اختلافهما في بعض السمات والاليات ، اقول رغم هذه الاختلافات الا ان الخطاب الوعظي يخضع لكثير من أساليب اللغة الأدبية (الصور والاخيلة والمجاز والمبالغات) وغيرها من تقنيات العمل الإبداعي ، ولذلك فان كثيرا من الخطب والمواعظ داخلة ضمن دائرة الأعمال الفنية الأدبية ؛ لما تحمله من سمات العمل الفني ، وقد خضع كثير منها الى دراسات نقدية وتحليله كخطب النبي (ص) ونهج البلاغة المنسوب للإمام علي بن ابي طالب (رض) .

وعليه فان الخطب والمواعظ (البليغة) هي جزء من منظومة الادب الأكثر اتساعا لأنها تتذرع بلغة الادب وتقنياته.

واضافة الى تقنيات اللغة الإبداعية فان الموقف وتأثيراته ذو دور في احداث التأثير الناتج عن الوعظ، خاصة تلك الصفات التي يتمتع بها الواعظ في حسن الالقاء وجودة التعبيرات الجسدية، وحضور القلب والتفاعل مع الخطاب.

وبهذا التقرير حول مفهوم الوعظ وانه خطاب تأثيري مشتمل على الحب على فعل المأمورات وترك المنهيات يتبين خطا من فهم ان الوعظ خطاب عقلي اقناعي كقول بعضهم في تعريفه:

" الحجج الظنية الاقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة " .

ومن خلال المفهوم اللغوي والاصطلاحي والظلال التي تحيط بهما يمكن ان نتلمس القدرة الأدبية الإبداعية العالمية التي وظفها جلال الدين الرومي في خطابه الوعظي، وهو ما يؤشر الامكانية الأدبية والعلمية الكبيرة التي استثمرها الرومي في طرح

منظومته العرفانية والفكرية المنضوية تحت مفهوم العشق الإلهي بوصفه الطريق الى الحق تعالى والسعادة الأبدية.

يظهر جلال الدين الرومي من خلال مؤلفاته الأدبية معلما يسعى لإزالة غبار الجهل عن قلوب السامعين او التلاميذ وازاحة غبار الغفلة من امام ناظريهم، فنجد لهجة الكلام تنبيهاً، ولونه أخلاقيا تعليميا.

في هذه التعاليم يذكر –أحيانا- مسائل كليّة عامة تنبه اليها الحكماء والفلاسفة ، واحيانا يتحدث عن عالم المعنى ويدعوا أرواح المخاطبين للتنبيه الى المعنويات ، فمخاطبوه من الخاصة ومع ذلك يتلون كلامهبلون الخطابة الكلية وتنعكس فيه الحكم والمواعظ العمومية ، واحيانا هو كلام تعليمي ذو صبغة اخصّ وكأنه يبين المطالب للصوفية والعارفين ، ويظهر الرومي مهارة خاصة باستخدامه التمثيلات والقصص والامثال والحكم المتداولة في عصره –خاصة في كتابة فيه ما فيه –ويمكن تصنيف الطرائق التي اتبعها لخدمة هدفه الوعظي والتعليمي بما يأتي :

أولا: الاستدلال المباشر بالآيات والأحاديث

يبدو تأثر الرومي بالقران الكريم واضحا أكثرمن أي شيء آخر، لان مبادئ الصوفية تنسب غالبا للقران،ولم يكن هذا الجو القرآنيالحاكم، ناشئا عن تبحرّه في الفاظ هذا الكتاب المقدس،وآياته، بل هو ناشئ أيضا عن التدبر والاستغراق في لطائفه، فقد نثر الفاظ القران ومعانيه في كل مكان من مؤلفاته تقريبا إما تيمنا وتبركا او من باب التمسك والاستشهاد في اثبات المدّعى باقتضاب حال المخاطب والمتكلم.كذلك ابدى اهتماماًواضحاً بالحديث كون هؤلاء المتصوفة لايتقنون نقل الحديث كثيرا، اذ يعدون اخذه وضبطه من مقولة الاشتغال بعلم القال والعلم الرسمي والبحثي .

وبشكل عام ما يبرر كثرة الاستدلال بالقران والحديث الشريف عند الرومي والاشارة اليهما هو انشغاله الشخصي واسرته بحرفة الوعظ والتذكير فيما مضى ، فانشغاله بالتدريس جعل ذهنه مشغولا على الدوام بمعاني القران الكريم والحديث الشريف فضلا عن ان قراءة القران من قبل القراء الحاضرين الذي كانوا يحضرون عند المنابر كانت من عادات ذلك الزمن ، وبحضور الوعاظ الذين كانوا يواظبون – هم أيضا –على تلاوته وختمه ، مع الاطلاع على تفسير الآيات والاحكام وحكايات الأنبياء التي كان يسالهم عنها الحاضرون في المجلس أحيانا .

كانت المجالس الواعظية مشحونة بـ (قال الله وقال رسول الله) مما كان سببا لازدحام العوام على المجالس ولاسيما ان الواعظ كان في تفسير الآيات ونقل الأحاديث يذكر حكايات السلف والقصص اللطيفة المليئة بالعبر بهذا الشكل بالاستلهام من سؤال السائل مضمون الآيات التي يقرأها القارئ عند المنبر، ويفسر قال الله وقال رسول الله بحكايات طريفة ويزينها بتفاسير لطيفة فيمنح مجلسه هيجانا وحالا، وهذا ما نجده في كتاب (فيه ما فيه)، رغم ان الحاضرين كانوا من الخاصة.

لجأ الرومي الى الاستدلال المباشر بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية لإثبات المفاهيم التي كان يقدمها، ذلك ان كلام الله ورسوله امران يوجبان التسليم التام، ولا شك في صحتهما كالتجربة اليومية وأكثر.

كان الرومي يطرح الاقوال الشبيهة بالمعميات ( )وحلها التي تشغل المستمع وتسحره ، وهي عند اهل المنبر ميراث حلقات المتصارعين والقصاصين القدماء ، ولم يكن مفرطا في طرح هذه المعميات ، ولأنه هو المتكلم وحده كان حين يطرح المعمى يبدا شرحه بالقران او الحديث .

يقول جلال الدين الرومي:((يجب الا نقطع الرجاء من الحق فـ ((انهلا ييأسمن روح الله ...)) فالرجاء راس طريق الامن. فاذا لم تلك الطريق، اجل عليك ان تحتفظ براس الطريق. لاتقل كثر اعوجاجي.استضم، يزول كل انحراف، فالاستقامة عصا موسى، وتلك الاعوجاجات كالأسحار، فان ظهرت الاستقامة لفتها جميعا. ان اسأت فقد اسأت الى نفسك والا فاين بطالة ايفاؤك؟ لو ان كل شيء كان كما يظهر، لما صاح النبي مع نظره الثاقب المنير المنور،ان:(أرني الأشياء كما هي).أنك تظهر الأشياء حسنا وهو في الحقيقة قبيح، وتظهره قبيحا وهو في الحقيقة رائع. فارنا الأشياء على حقيقتها ، حتى لانقع في الحيالة ، وحتى لايدوم ضلالنا))( ).

يستشهد الرومي في هذا النص بقسم من اية قرآنية ( ) . على ان الانسان يجب الا يقطع الامل من الله، والسر في تأكيد هذه المسالة ان الياس يستوجب شقاوة الانسان والمزيد من عصيانه،كما ان الرجاء المطلق والاتكاء على التقوى والعلم هي الأخرى من الكفر، والواجب ان يكون الانسان بين الخوف والرجاء.

ثم يستشهد بـ (ارني الأشياء كما هي) وهو حديث ينسب للنبي الاكرم محمد (ص) ، ولو ان المحققين لم يجدوه بهذه الصورة التي رواه بها الرومي ( )، لكن مضمونه قد ورد في كتب الحديث عن الرسول ، فضلا عن ان اغلب كبار العرفان والادب قد

أشاروا الى مضمونه في اثارهم وفسروه بعبارات مختلفة .( )ومن المستبعد ان ينسبوه جميعا الى النبي دون ان يكون لديهم مستند في ذلك ، وقد افاد الرومي من مضمون هذا الحديث في اكثر من موضع في (المثنوي) ، حتى انه عنون به موضوعا كاملا ، وتحدث عنه بالتفضيل .( )

ويقول في التحذير من الملوك الظالمين وخطرهم استنادا الى الحديث النبوي الشريف(من اعان ظالما سلطه الله عليه) :((ان الخطر في مجالسة الملوك ليس في قطع الراس ، فالراس طائرة اليوم او الغد ، وانما الخطر من حيث انهم اذا تمكنوا وقويت انفاسهم وتمثل التنين فيهم ، فان من صاحبهم وادعى محبتهم وقبل مالهم ، لامفر من ان يتكلم على وفقهم ويستر اراءهم الفاسدة في قلبه ويقبلها فلا يستطيع مخالفتها ، ومن ثم كان الخطر ، لان الضرر سيحيق بالدين ، لأنك اذا عمرت جانبهم فان الجانب الاخر الذي هو الأصل سيصبح غريبا عنك . وعلى قدر ما تتصالح مع اهل الدنيا فانه يغضب منك: (من اعان ظالما سلطه الله عليه). وهذا الذي نتوجه اليه مشمول بهذا الحكم أيضا. فاذا توجهت الى ذلك الطرف فالعاقبة انه يسلطه عليك))( ).

وقد وجدت هذه الفكرة في الادب الفارسي حيث يقول سعدي( ) : انه لا يمكن الاعتماد على صحبة الملوك( ) . ويقول : ان الاقتراب من الملوك كسفر البحر له طرفان : الامل بالذهب والخطر على الراس( ). في حين يقول الرومي ان الخطر على الراس ليس مهما لان الخطر الأكبر ذلك سيؤثر في استقلالية الراي وضعف العقيدة والايمان ويدعم ذلك بالحديث المذكور.( )

ثانيا:تقديم التأويلات العرفانية في ظل النصوص الشرعية

يقدم الرومي أفكاره التعليمية والوعظية العرفانية في تضاعيف النصوص الشرعية ، ولكن بتأويلعرفاني وطرز مأخوذ من المعنى والمفهوم المتعارف عليه ، والقران الكريم – من وجهة نظره –معنى باطن وراء شكله الظاهري ، وهو في معناه يفيد منه الخاص والعام ن ولكل طائفة منهما خطاي مختلف ( )، وبناء عليه يجب عدم النظر الى القران الكريم في ظاهرهفقط لان هذا الطراز من التلقي سبب للعجب والضلالة ، ومن هنا لا فائدة من معرفة الفاظه دون التدبر بمعانيه ، فالقران يفسر بعضه بعضا.()

ولايرى النفوذ في باطن الآية مجوزا للعدول عن ظاهرها ، ومن هنا كان هناك تفاوت بارز بين التأويل الفلسفي والباطني وما في كتبه من تأويل ، فكان يرى حمل نصوص

الآيات على ظاهرها أصلا ، ويراها شاملة دقائق واشارات يكشفها ارباب السلوك ، وحين يحتمل الظاهر معنى كهذا يكون التأويل محمودا ، وبهذا يكون تأويله أسلوب تفسير يستتر فيه الظاهر في حجاب الباطن ويظهر الباطن من وراء ستار الظاهر .

ومن جملة ذلك انه يقول مبينا علامات العالم الحقيقي : ((قال عليه السلام : (شر العلماء من زار الامراء ، وخير الامراء من زار العلماء ، (نعم الأمير على باب الفقير وبئس الفقير على باب الأمير) فهم الناس ظاهر هذا القول على انه لا تنبغي للعالم ان يزور الامير لكي لايكون من شرار العلماء ، وليس معنى هذا القول كما ظنوا ، بل معناه ان شرَّ العلماء من يحصل على مدد من الامراء، ويكون صلاح حاله وسداده بسبب الامراء ، وخوفا منهم وان يكون علمه منذ اول الامر بينة ان يصله الامراء ، ويقدموا له آيات الاحترام، ويخلعوا عليه المناصب، وهكذا فانه بسبب الامراء اصلح نفسه ، وتحول من الجهل الى العلم)).( )

فالعبارة الاولى هي حديث نبوي ورد في كتب الحديث مع شيء من التفاوت، والجملة الثانية من اقوال الاكابر. وهنا يمكن القول ان احدى رسائل مولانا الرومي الأساسية هي تحرر الخلق من خداع الصورة ، وان قسما كبيرا من أقواله يختص بشرح المعاني الباطنية وبيان الاسرار الخفية خلف ستار كلام الأنبياء والاولياء، وفي هذا الحديث المذكور اشارة لان يكون التمسك بالمعنى الظاهري للحديث يفيد نوعا من التواطؤ بين الأمير والعالم على خداع الخلق، فالأمير يتظاهر بالذهاب الى العالم ليقال انه محب للعلم ، والعالم يتظاهر بعدم الذهاب الى الأمير ليسلم له بالتقوى ، فيفسره الرومي بان معيار الحكم يتبدل من الذهاب والإياب الظاهري الى ماذا أراد العالم ، اكان تعلقه بهوى النفس ام بالله .

ويقول:((مؤسف ان يصل الانسان الى البحر ثم يقتنع منه بقليل من الأشياء النفيسة، اما حمل الماء من البحر فأي قيمة له؟ واي فخر للعقلاء في ذلك؟ وماذا يكونوا قد حققوا؟ الحق ان العالم ليس سوى زبد لهذا البحر، وماؤه هو علوم الاولياء، فاين الجوهر بنفسه؟ ليس هذا العالم سوى زبد مملوء بالقش، لكنه بدوران تلك الأمواج والجيشان المتناغم للبحر والحركة المستمرة للأمواج يكتسب ذلك الزبد قدرا من الجمال.((زُيِّنَ للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الدنيا)) ولان الله قال (زُيِّنَ) فإنها ليست جميلة حقا ، بل ان الجمال فيها مستعار ، واتٍ من مكان اخر، عمله زائفة مطلية بالذهب ، أي ان هذه

الدنيا اليت هي فقاعة زبد ، عملة زائفة لاقدر لها ولاقيمة ، لكننا نحن الذين طلبناها بالذهب فزينت للناس.( )

ففسر الرومي الآية((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))( )، بانه لما زين الدنيا في عين الادميين فهي في ذاتها لاجمال لها ولاقدر او منزلة ، بل هي مثل حباب الزبد على بحر الرحمة الإلهية تبهر عيون الصغار ، والدليل على ان نعمن الدنيا حباب انها تمحي في البحر وتزول في لمح البصر ، وكما هو معلوم ، انه رغم ان بعض المفسرين قالوا ان نائب الفاعل للفاعل (زُيِّنَ) المبني للمجهول ، هو الشيطان ، فان الرومي قد نسب فعل الزينة الى الحق تعالى.( )

ويقول (قَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللهُ) ( ). الناس جميعا يقولون:(سندخل الكعبة). بعضهم يقول:((ان شاء الله سندخل). هؤلاء الذين يستثنون هم عشاق للحق.ذلك لان العاشق لايرى نفسه قادرا ومختارا، يعد القادر والمسؤول انما هو المعشوق، ومن هنا يقول:(ان شاء المعشوق فسأدخل)).والان فان المسجد الحرام عند اهل الظاهر هو تلك الكعبة التي يتجمع حولها الخلق، اما عند العاشقين والخاصة فان المسجد الحرام هو وصال الحق.

وهكذا يقولون:(ان شاء الحق سنصل اليه فنتشرف برؤيته).اما ان يقول المعشوق:(ان شاء الله) فنادر انها حكاية ذلك الغريب، ويجب على الغريب ان يسمع، وان يكون قادرا على السماع، حكاية الغريب. ان لله عبادا معشوقين ومحبوبين، والحق تعالى طالب بهم، وكل وظيفة للعاشق يؤديها من اجلهم ويظهرها لهم. ومثلما ان العاشق سيقول:(ان شاء الله سأصل)) يقول الحق تعالى نيابة عن ذلك الغريب:((ان شاء الله)).

وإذا ما شغلت نفسي بشرح تلك الدقيقة، فانه حتى الاولياء الواصلون سيفقدون راس خيط الحديث، فكيف يمكن اذن التحدث عن مثل هذه الاسرار والاحوال الى الخلق وصل القلم الى هذا الحد، فانكسر راسه. من لايرى الجمل فوق المئذنة ، كيف يرى خيط شعر في فم الجمل؟( )

ينطلق الرومي من جزء من اية قرآنية لشرح ما يسمى لدى الصوفية ((الاستثناء)) والمقصودبه قول المؤمن (ان شاء الله) دائما عند الاخبار عما يأملون تحققه ، ودليل ذلك في الآية (٢٣) من سورة الكهف ، ويعد الرومي الاستثناء وعي القلب لغلبة المشيئة الإلهية على التدابير الخلقية سواء اجرت على اللسان ام لم تجر ( )،وقول

العاشق (ان شاء الله) ليس من قبيل الخوف بل شاهد على العشق ودليل على فناء إرادة العاشق في إرادة المعشوق ، ثم يؤول الآية التي بدأ بها بان ((المسجد الحرام)) لدى العاشقين هو وصال الحق ، ويعد العشق بين الله والادميين عقدا متقابلا ، الجذب من جهة المعشوق والجهد من جهة العاشق.

ثالثا:استخدام التمثيل والحكاية

لم يكن تصوف مولانا مبنيا على طريقة علمية او ايدولوجية معينة ، بل كان التصوف – من جهة نظرة – عبارة عن تكامل في عالم الحقيقة والعرفان والعشق والجذبة يعطي تحققه في حياة الفرد رؤية بعيدة واسعة ، ويضع وحدة البشر هدفا له ، او ان العرفان عنده نظام أخلاقي يجعل القبائح والمفاسد كلها معدومة ويحل محلها المحاسن.( )

لم يلجأ الرومي الى أي نوع من الأدلة المنطقية والنظريات الفلسفية ، ولايمكن ان نعثر في اثاره على أي نوع من المصطلحات التي استعملت في اثار المتصوفة بأشكال عقيمة وأصبحت علة مزمنة بين المتصوفة ، وكان يرى الاصطلاحات لاتتوافق مع روح العامة وفكرهم وبذلك فهي تعقيد لا توضيح .( )

كان الرومي في اثاره جميعا أستاذا في فن الحكاية ، وكان يسقي هذه الحكايات من الامثال والحكم ، وكليلة ودمنة ، واثار شعراء حكماء ومتصوفة كسنائي والعطار وسعدي ، وكلام الصوفية وقصصهم الرائجة بين العامة ، وقصص التوراة والقران ، وكذلك عن مشاهداته اليومية.( )

كان يستخدم بعض الحكايات النابية او البذيئة أحيانا، وببيان حكاية كهذه يجعل العامة مخاطبا له؛فقد كان قبل كل شيء مربيّا ومعلما للأخلاق، لم يكن يتفنن في عمله مطلقا، وقد كانت هذه الميزة عنده ثمرة اعتراضه على الفلسفة والفلاسفة رغم ان تأثير والده وبرهان الدين وشمس تبريزي فيه لا يقبل الانكار.

كان استخدام التمثيل والحكاية دليل اهتمامه البالغ بتجربة حياة الناس والارتباط مع طبقاتهم المختلفة مما يجعل مؤلفاته مصدرا من مصادر ثقافة العامة او كتب الحكاية ومصدرا لحياة الناس في ذلك العصر يحكي عن نظرة واقعية، وهذه محاولة ناجحة عن الرومي كي تبقى اثاره عند مستوى إدراك أكثرأصحابه. فالبلاغة المنبرية تقتضي

ان يحاول الوعّاظ والمذكرّون حفظ التفاهم مع المستمع الى اقصى حد ممكن ، واختفاء الصبغة الواقعية على المجالس .( )

احتوى النتاج الادبي لجلال الدين الرومي كم كبير جدا من الحكايات ، بعضها تتعلق بأحوال الأنبياء ، كالنبي الاكرم محمد (ص) ( ) ، وعيسى (ع)( ) ، ويوسف (ع)( )، او الخلفاء كعمر بن الخطاب ( ) ، وعثمان بن عفان .( ) وغيرهم ممن لم يذكر أسمائهم ( ) ، وهذه الحكايات لها اصل تاريخي وتتضمن عبرا ومواعظ ، ومنها ما يتعلق بشخصيات تاريخية معاصرة او قريبة من عصره كالسلطان محمود الغنوي( )، وبرهان الدين المحقق الترمذي ( ) ، ومجد الدين اتابك( )، والشيخ إبراهيم احد مريدي شمس( ) ، او تتعلق بالمتصوفة وتعاليمهم وآدابهم ممن كان لهم وجود تاريخي مثل بايزيد البسطامي( ) ، وإبراهيم بن الادهم( )، والشيخ محمد سرزي( ) وغيرهم.

أكثر هذه الروايات منقولة من روايات عامة الصوفية،وهي عنده وسيلة لاستحضار اذواقه ومواجيده ولاسيما ما حصل له من ارتباطه بشمس الدين التبريزي، وما يهم فيها ليس ظاهر القصة بل ما تحمل من محمولات باطنية ورمزية تناسب أهدافه الصوفية الروحية العميقة.

وهناك عدد كبير –أيضا –من الحكايات عن دراويش( ) ، او اشخاص مجهولين ( )، وهي على الاغلب –مأخوذة عن اخبار القصاصين والأسواق ، وتتضمن لطائف انتقادية حول عادات الخلق ورسومهم ، او طرز تفكير العامة وقصر نظرهم .

وفيما يلي بعض الأمثلة على توظيف الرومي للحكاية في ادبه الوعظي والتعليمي:

- يذكر الرومي حكايات وتشبيهات كثيرة لإيضاح وجوب اخذ الغايات وترك المبادئ كانه يريد القول : اعتبار بالنهايات والنتاج ولاتهتم بالحواشي والمقدمات ، فعلى سبيل المثال اذا نظم شاعر قصير النظر قصيدة طويلة في مدح امير حتى يفوز بمكافاة ثمينة ، فان المعلوم دون قراءتها ان جميع ابياتها تعني طلب الدينار ، سيان اكان عربيا ام فارسيا ، وعلى هذا القياس ، اذا تعلم شخص العرفان لا يقصد الوصول الى المعروف ، وانما الوصول الى المقام والشهرة وجذب المريدين ، فان معلوماته واقواله وافعاله كلها من اجل الاسم والشهرة ، وأخيرا يكون المعلوم ان جميع رياضاته واكتسابه العلوم وغير ذلك كانت للمصلحة ، وعليه ، وكما قال الرومي : الأصل هو المقصود .

- يقول: ((وفد شاعر على ملك، وكان الملك تركيا، ولايعرف الفارسية أيضا. ونظم الشاعر فيه قصيدة غراء بالعربية، وكان الملك جالسا على العرش وكان اهل الديوان والامراء والوزراء وكل في مكانه حسب المراتب، ووقف الشاعر وبدا في انشاد قصيدته، فكان الملك يهز راسه لكل مقام يقتضي الاستحسان، ويدهش لكل مقام يقتضي التعجب، ويلتفت حيث يكون المقام مملا للتواضع، فأحتار اهل الديوان: ان ملكنا لايعرف كلمة عربية، فكيف صدرت عنه حركة رأسه المناسبة في المجلس، اللهّم إلا ان يكون عالما بالعربية وقد اخفى ذلك عنا سنين، فيا ويلنا، لو كانت قد صدرت منا قلّة الأدب بالعربية. وكان للملك غلام خاص. فاجتمع اهل الديوان واعطوه حصانا وبغلا ومالا وتعهدوا له أشياء أخرى بعد قولهم: هذا لكي تخبرنا بهذه الحالة،وهل الملك يعرف العربية ام لا،فاذا لم يكن يعرف كيف كان يحرك راسه في المحل المناسب؟اهو من الكرامات؟ ام هو من الالهام؟ ووجد الغلام فرصته اثناء الصيد عندما رأى الملك سعيدا بما قنص من صيد كثير فسأله. ضحك الملك وقال : اني والله لا اعرف العربية ، اما ما كان من اهتزاز راسي للاستحسان فلأن قصد الشاعر من هذه القصيدة معروف ... وهكذا علم ان الأصل هو المقصود ، وتلك القصيدة كانت فرعا على المقصود ، بحيث اذا لم يكن ذلك المقصود ، لم تقل هذه القصيدة)).( )

وفي موضع اخر يريد الرومي القول ان تنخُّل العلوم الذي عبَّر عنه بالفارسية بشق الشعرة، الذي لاينتهي بمعرفة مقام الانسان ودوره في العالم، دليل على عدم الاكتراث بالدين وانه يورث الغرور والانخداع؛ فيقول: ((قيل ان ملكا سلم ابنه لجماعة من اهل الفن ليعلموه علم النجوم والرّمل وما الى ذلك حتى يصير أستاذا، مع كونه في غاية البلاهة والبلادة، واراد الملك يوما ان يختبر ابنه، فأطبق يده على خاتم وقال له: تعال، نبئني بما في يدي.

قال: ان ما معك مستدير أصغر، مجوف.

قال: ما دمت قد ذكرت اوصافه صحيحة، فاحكم أي شيء هو.

قال: ينبغي ان يكون غربالا.

قال:إذا كنت نظرا لقوة التحصيل والعلم قد ذكرت هذه الاوصاف الدقيقة المحيرة كلها، فكيف يغيب عنك ان الغربال لايحتوي في اليد؟ والان أيضا، فان علماء الزمان قد تنخلوا العلوم وحذقوا من غيرها مالا يتعلق بهم وتمت لهم الإحاطة الكلية بذلك، ام

المهم والاقرب الى العالم من غيره، وهو نفسه فانه لايعرف نفسه،وانه يحكم على كل شيء بالحل والحرمة، ويجيز هذا ولايجيز ذلك ويحرم هذا ويحلل ذلك. ولاخبر له عن نفسه اهي حلال ام حرام ، جائزة ام غير جائزة ، طاهرة ام غير طاهرة)) .( )

ويقول مبينا أحوال الذين يعدون الطاعات والعبادات متاعا للبيع وسلعة يعرضونها على الحق مساومة لتحقيق مطالبهم فيمنون على الله بها ويفتخرون على الخلق بذلك ، مع أن المنّة لله في ان وفقهم الى الطاعة حيث يقول:((لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)).( )

أضاع احدهم حمارا فصام ثلاثة أيام على نية ان يجد الحمار ، وبعد مضي ثلاثة أيام وجد حماره ميتا ، فتألموفي تألمه رفع راسه الى السماء وقال : اذا انا لم افطر ستة أيام من رمضان عوضا عن هذه الايام الثلاثة التي صمتها ، فلست رجلا ، لن تستفيد مني)) .( )

وكما سبق القول،قد تكون الحكاية حقيقية كما جاء في قوله:

(ذهب درويش الى ملك،فقال له الملك: يا أيها الزاهد ...

قال: انما الزاهد انت.

قال:كيف أكون زاهدا والدنيا جميعها لي؟

قال: كلا أنك ترى العكس. فالدنيا والأخرى والمملكة جميعها لي وقد اخذت العالم ، اما انت فقد منعت بلقمة وخرقة).( )

فهذا الدرويش بحسب بعض الروايات هو الفضيل بن عياض ، من اكابر الصوفية المشهورين بالزهد والتقوى ، وكان معاصرا لهارون الرشيد ، وعندما قدموه الى الخليفة بوصفه ازهد الناس، سأله الخليفة : اهناك في الدنيا ازهد منك ؟ قال : نعم ؛ الخليفة ازهد مني ، فقال الخليفة : كيف يكون هذا ؟ قال : لأنني زهدت في الدنيا وانت زهدت في الأخرة مع ان الدنيا فانية والأخرة باقية ، وقيل ان هارون الرشيد تأثر بهذا الكلام وبكى ، ولم يتجاوز تأثره اكثر من ذلك ، وقد روى بعضهم مثل سنائي هذه الحكاية مع قليل من الاختلاف في اثارهم .( )

حاول الرومي من خلال الحكاية تطبيق مقالات الصوفية مع معاني القران مما يجعلنا ندرك ان الكاتب ليس ملتزما فقط ببيان حقائق تعاليم الصوفية العملية واسرارها وتفسير رموزها التصوف العملي، بل ان الرومي استعمله لمعنى خاص او جديد ليكون هذا التصوف خاليا من الصعوبة عند المستمع غير المطلع؛ فالاستدلال بمضمون اخبار الصوفية ورواياتهم وماجاء به من بعض الاخبار والاقوال مرتبطا بنحو ما مع حديث الرسول (ص).

رابعا: استخدام التشبيه والقياس العقلي

استعمل الرومي التمثيل والقياس وهما من خصائص السبك المنبري الذي يحتاج اليه الواعظ في اقناع العوام وارشاد الأشخاص الذين يتعامل معهم وايضاح للأفكار المجردة في اذهانهم ، ويفصل الرومي هذه القياسات التمثيلية عن الظاهر والهيئة التعليمية ، ويخرجها بصورة يجعل فيها المخاطب يرى مصداق هذه التمثيلات بوضوح ويخطئ ما يتوهمه ويصل الى مراد المتكلم دون ان يتنبه الى ان المتكلم قد يرفض معتقده ، والوسيلة الأساسية التي تجعل المتكلم ينجح في تحقيق امر كهذا هي ذكر الامثال والاتيان بالأشباه والنظائر التي تجعل المخاطب يرى ما يظنه صعب التصور او لا يطاق قريبا من الذهن وممكنا ومحتملا ويرفع كل شك او تردد في ذهنه، ومن المعلوم ان هذا النوع من البيان يقدم فيه المتكلم للمستمع امثالا قد لا تكون واقعية تماما لكنها تعطي تصورا على ان وقوع هذا الامر ممكن في العالم الخارجي وان تصوره ليس بالأمر المستحيل ، فضلا عن ان المخاطب والمستمع يرغبان في كشف الحقيقة.( )

والاستدلال الذي يقوم على أساس التمثيل والقياسات الخطابية هو من لوازم البلاغة المنبرية ، ومن الأساليب الخاصة بمجالس الوعظ والتذكير ، فالمتكلم يتحدث عن امر ما يبدو وقوعه ووجوده بعيدا او ممتنعا بالنسبة الى المخاطب ، وبذكر النظائر والاشباه يبدو ممكن التصور .

يقول: ((جاء ثقيل وجلس فوق يد عظيم، وقال:لا تفاوت بالنسبة له. فالمصابيح سواء في الفوق او التحت مصابيح، وانما يطلب المصباح الأكبر الفوق لا لنفسه، بل لمنفعة الاخرين حتى يكون لهم حظ من نوره، والا حينما كان المصباح سيان في الأعلى او في الأسفل، فهو مصباح وشمس ابدية.فاذا طلبوا جاء الدينا ورفعتها ، فغرضهم – لان

الخلق لا يتمتعون بالنظر الذي يشاهدون به علوهم – ان يتصيدوا اهل الدنيا بحبالة الدنيا ، حتى يهتدوا الى طريق رفعة الأخرى ويقعوا في حبالة الاخرة .( )

الثقيل في اصطلاح العرفاء تقال لمن تثقل بجسمه التعلقات الدنيوية حتى يقترب من الأرض ، وبحسب تعبير القران ((اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ))( ) ، ويرمز الرومي الى ذلك بانخساف قارون في الأرض ، ومثل هذا الشمس حتى لو كان عالما ، فلان نظره متوجها الى نفسه ، فعلمه عبء عليه ، بخلاف علم اهل القلوب .

ويقول:((ان لك طيبا في داخلك، هو مزاجك الذي يرفع ويقبل.ولهذا، فان طبيب الخارج يسأله عما اكل: كيف كان؟ اكان خفيفا؟ اكان ثقيلا؟ ونومك كيف كان. ويحكم الطبيب الخارج حسب ما يخبر طبيب الداخل. وعليه، فالأصل في ذلك هو طبيب الداخل الذي هو المزاج، فاذا ضعف هذا الطبيب وفسد المزاج رأى الأشياء على عكسها، وأعطى امارات معوجة فيقول: السكر مر والخل حلو.واذاك يحتاج الى الطبيب الخارجي ليعينه حتى يعود المزاج الى وضعه الأول ، ثم يعرض بعد ذلك على طبيبه ويستغيثه ، وللآدمي مثل هذا المزاج من حيث المعنى ، فاذا ضعف كان كل ما تراه حواسه الباطنة وكل ما تقوله على الخلاف ، والاولياء أطباء يساعدونه حتى يستقيم مزاجه ويقوى قلبه ودينه : ارني الأشياء كما هي)).( )

يعتقد الرومي ان سلامة الجسم والروح هي الأصل ، فقد صنعا حسب الفطرة الإلهية ، وقد وضع الله في كل منها تمييز الشخص مصالحه ومضاره ، فيميز الجسم المفيد من المضر وتميز الروح الخير من الشر ، ولكن نظرا الى ان هذه الفطرة التي يعبر عنها أحيانا بالمزاج تعرض لأسباب مختلفة، منها غلبة العادات على الفطرة ، فان هذا التمييز ينعدم ، ويعجز الادمي عن ادراك حقيقة الأشياء كما يحدث في مرض الصفراء حيث يرى العسل مرا ، وفي ابتلائه بصفراء الحرص على الدنيا يبدا بالقول : ان الحقيقة مرة ، فهو اذا محتاج في مزاجه الجسماني الى طبيب بدون حتى يقف على حدود انحرافات المزاج عن الفطرة ويعيد المري الى مزاجه الأول . وفي مزاجه الروحاني هو محتاج الى الأنبياء والاولياء، ليكتسب المدد حتى يعود الى فطرته الإلهية.

وتشبيه الأنبياء والاولياء بالطبيب من الموضوعات التي تكررت الإشارة اليها في اثار جلال الدين الرومي:((يمكن ان الحق تعالى قال: ياعبدي لقد عرفت حاجتك بسرعة حال الدعاء والتضرع، اما من حيث الإجابة فستتأخررجاء مزيد من الضراعة فقد

اعجبني لحنك وتضرعك. هذا كما لو ان – على سبيل المثال- جاء شحاذان الى باب احد الاشخاص، احدهما مطلوب ومحبوب والأخر مبغوض جدا ، فيقول رب الدار لغلامه : اسرع واعط المبغوض كسرة من الخبز ولا تتوارى حتى يعجل بالانصراف عن بابنا، اما الاخر فيستلهمه بوعد:انهم لم يخبزوا بعد فاصبر حتى ينضج الخبز))( ).

والمسالة هنا ان العبد المؤمن حين يشكو الى الحضرة الإلهية بإخلاص ولاتحقق حاجته يكون السبب حب الله لشكواه ويمثل ذلك بسائلين يقصدان دارا.

ويقول:((احضروا فيلا الى راس عين ليشرب فكان كلما رأى نفسه في الماء فر ولم يشرب، كان يتصور انه يفر من اخر، لم يكن يعلم انه يفر من نفسه. والأخلاق السيئة من الظلم والحسد والحرص والقسوة والكبر كلها لأنها فيك ، فانك لا تتألم، حتى اذا ما رايتها في غيرك تفك وتتألم)).( )

الرومي ينظر الى الخلق على انهم كالماء الصافي الزلال، وبتعبير أكمل: فان عالم الظاهر انعكاس لعالم الباطن، فهو يعد ان العالم الظاهر ظهور العالم الباطن.

ويقول: ((سأل: ما السبب في عدم الشكر .... وما الذي يمنع من الشكر؟فأجاب الشيخ: مانع الشكر هو الطمع الصرف. وان طمع (الطامع) كان أكثر مما وصل اليه. هذا الطمع الساذج يصل به الى الاعتقاد بانه:مادام وصل اليه اقل مما رغب به قلبه، فهو موجب لعدم الشكر، غافل عن عيبه، انه غافل عن عيب ما تقدم به وعن زينة.ولا شكان الطمع الخام كأكل الفاكهة الفجّة والخبز غير الناضج واللحم النيء مستوجب ولا شك العلة وعدم الشكر. والواجب وقد علم بأنه اكل مضرا ان يستفرغ. لقد ابتلاه الحق تعالى بعدم الشكر حتى يستفرغ ويفرغ هذا الظن الفاسد ، وحتى لا تنشأ من هذه العلة الواحدة مئة علة)) .( )

يعد الرومي الشكر أفضل النعم، لان النعمة إذالم تحقق الهداية للمنعم عليه،فهي موجبة للغفلة، والغفلة موجبة لنزول البلاء.

استعمل مولانا جلال الدين الرومي في اغلب خطاباته لغة قريبة من العامية في الغالب ، ويرى الباحث ان الرومي ساير سعة ادراك الحضور المتلقين والفوارق الفردية الحاضرة بلاشك في مجالسه الوعظية والتعليمية ، إضافة الى استخدام الحوار القائم على السؤال والجواب في كثير من المواضيع مما يعطي لآثاره صبغة المحاورة السقراطية في ساحة الفكر الصوفي ، والطريف ان السؤال والجواب يتخذان في بعض

الأحيان صورة القصة التي ليس فيها حدث ولاحركة فيكون ذلك وسيلة طرح المسائل وحلها . هذا الطراز من البحث يعطي كلام المتكلم هيجانا وتحركا بشكل بارز في الوقت نفسه يشرك المخاطب والمستمع أيضا بنحو ما في بحث المتكلم وتقريره، وهكذا ليصبح الكلام أكثرحيوية. هذه الأمور – الى حد ما- أمور ناشئة عن البلاغة المنبرية، ويمكن ان نعد الأسلوب الوعظي التعليمي الذي استعمله الرومي في اثاره المختلفة استمرارا لدعوة الأنبياء والصالحين. حيث قال فيه الشاعر عبد الرحمن الجامي:

ماذا أقول في وصف ذاك العالي الجناب

ليـــــس نبيـــاً لكُنه ذو كتـــاب

وهذه الشذرات الصوفية المتناثرة ما هي الا أجزاء لصورة الانسان في بعديه الروحي والجسدي بوصفه أكرم ما خلق الله سبحانه وهو خليفته –سبحانه- في ارضه وحامل لأمانته العظيمة.

الهوامش :

معجم مقاييس اللغة لابن فارس، بيروت، دار الفكر، ٢/ ١٩٨.
لسان العرب لابن منظور، بيروت، دار صادر، ١/٣٦٠.
الكليات، الكفوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص٤.
للمزيد حول مفهوم الخطاب وتحليله وما يتعلق به من مفاهيم دلالية يمكن مطالعة معجم تحليل الخطاب من منشورات المركز الوطني للترجمة، تونس. وينظر: بنية المتخيل في نص الف ليلة وليلة : ص ١٥٣ . وينظر: تحليل الخطاب الادبي ، عبد القادر شرشاب : ص ٤١ . وينظر : الادب وفنونه ، عز الدين اسماعيل : ص ٢١ .
الخطاب: ميلز، سارة، ترجمة: يوسف بغول، جامعة متنوري قسنطينة، منشورات مخبر الترجمة في الادب واللسانيات، ٢٠٠٤، ص٥. وينظر : في نظرية الادب : عثمان موافي : ص ٣٥ . وينظر : الاسلوبية وتحليل الخطاب : رابح بو حوش :ص ٩١ .
المصدر نفسه، ص٣. وينظر : نقد الشعر في المغرب الحديث ، عبد الجليل ناظم : ص ١٣ . وينظر: المنهج البنيوي ، الزاوي بغورة : ص ٢٠٨ . وينظر : خطاب النهضة في الرواية العربية المعاصرة ، محمود ابراهيم وزران : ص ١٧ .
بلاغة الخطاب وعلم النص، فضل، صلاح (١٩٩٦)، القاهرة، الشركة المصرية العالمية (لونجمان)، ص٣١٩. وينظر : قضية الادب بين اللفظ والمعنى، احمد محمد عنبر : ص ٣٩ . وينظر : في الادب وفنونه : علي بو ملحم : ص ٢١ .

تحليل الخطاب الروائي، يقطين، سعيد (٢٠٠٥)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص٢٦.
المصدر نفسه، ص٣.
تحليل الخطاب، ج.ب. براون (١٩٩٧)، ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، الرياض، جامعة الملك سعود، ص١٠.
ينظر: الانسان والاسلام، علي، شريعتي، ت: عباس الترجمان، دار الامير للثقافة والعلوم، ش.م.م، ط٢، ٢٠٠٧: ١٨.
لسان العرب لابن منظور، ٤٦٦/٧.
معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٩٦/٦.
المصباح المنير للفيومي، بيروت، مكتبة لبنان، ٢/ ٦٦٥.
التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، محمد عبد الرؤوف، بيروت، دار الفكر، ١/ ٧٢٨.
التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد، بيروت، دار الكتاب العربي، ١/ ٣٠٥.
كتاب القصاص والمذكرين، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، بيروت، المكتب الإسلامي، ص١٦٢.
تفسير النسفي للنفسي، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢/ ٢٧٦.
تفسير المنار، رضا، محمد رشيد، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١١/ ٣٢٨.
مجموع الفتاوي لابن تيمية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠/ ٤٥.
مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، بيروت دار الكتاب العربي، ١٥٧/٣.
سورة النساء: ٦٦
سورة النور :١٧
للاستزادة من هذه التعريفات يمكن مراجعة:
- منهج السلف في الوعظ لسليمان العربي، ص٥٠ وما بعدها.
- التربية بالموعظة الحسنة، لحجازي، عصام حسن، رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة ام القرى.
- الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة الى الله، للمورعي، احمد، رسالة علمية غير منشورة بجامعة ام القرى.
اضواء البيان للشنقيطي، بيروت، دار الفكر، ٣/ ٣٤٩.
ينظر: الخطاب الوعظي مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه، عبد الله بن رفود السفياني، مركز انحاء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٤: ٣٣.
الاسلوبيات وتحليل الخطاب، بوحوش، ص٨٨.
الاسلوب والاسلوبية، المسدي، بيروت، الدار العربية للكتاب، ص٣٥.
الاسلوب والاسلوبية، مصدر سابق، ص٤٠.
اختلف فيمن جمع هذه الخطب ونسبها لعلي (ع) والمشهور انه الشريف المرتضى وقيل: بل الشريف الرضي، انظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٧/ ٥٨٩، والقنوجي، ابجد العلوم، ٦٧/٣.
نقله الشوكاني في فتح القدير بصيغة التمريض:

- فتح القدير للشوكاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ٣/ ٢٠٣.

ينظر: الخطاب التعليمي عند مولوي، الدكتورة ندى حسون، مجلة جامعة دمشق، مج: ٢٩، ٤ :٣، ٢٠١٣.

ينظر: الرومي ماضياً وحاضراً شرقاً وغرباً: ٥٣٤.

( )المعميات: وهي مرتبة من مراتب العماء المطلق او الخيال المطلق وهو تعبير انطولوجي / معرفي وهي تمثل الوسيط بين الوجود المطلق الكلي والعدم المطلق وهي تقابل مرتبة مفهوم الهيولانية عند الفلاسفة. ينظر: هكذا تكلم ابن عربي: ٢١٦.

( )فيه ما فيه، جلال الدين الرومي: ٣٧٥-

( )سورة يوسف، الآية: ٨٧.

( )ينظر: الخطاب التعليمي عند مولوي: ٨٠.

( )ينظر على سبيل المثال:

( )ينظر: فيه ما فيه، جلال الدين الرومي: ٨٢ وما بعدها.

( )ينظر: فيه ما فيه، الرومي، ٣٨.

( )ينظر: كلستان، سعد الشيرازي، تر: غلام محسن يوسفي، ط٤، الخوارزمي: ١٧١.

( )ينظر: نفسه: ١٧٢.

( )ينظر: نفسه، ١٧٢.

( )ينظر: فيه ما فيه، جلال الدين الرومي: ٣٩.

( )ينظر: الخطاب التعليمي عند مولوي: ٨٢.

( )ينظر: المثنوي، جلال الدين الرومي: ١.

ينظر: الخطاب التعليمي عند مولوي: ٨٣.

( )فيه ما فيه، جلال الدين الرومي :١.

( )فيه ما فيه، جلال الدين الرومي: ٣٨.

( )سورة ال عمران، الآية ١٤.

( )ينظر: الخطاب التعليمي عند مولوي: ٨٤.

( )سورة الفتح، الآية ٢٧.

( )فيه ما فيه، جلال الدين الرومي: ١٥٥-١٥٦.

سورة الصفات، الآية ١٠٢.

( )المثنوي، جلال الدين الرومي: ٥/١.

ينظر: الشمس المنتصرة: ٧٤.

( )ينظر: الخطاب التعليمي عند مولوي :٨١

( )ينظر: نفسه: ٨٦

( )ينظر: الرومي ماضيا وحاضرا وشرقا وغربا: ٥٦٩.

( )ينظر: نفسه: ٦١٦.

( )ينظر فيه ما فيه: ١١٣، ١١٤، ١٤٢.

( )ينظر نفسه: ٤١، ٢٤٢.

( )ينظر نفسه: ١٨٦.
( )ينظر نفسه: ١٦٢، ٢١٨.
( )ينظر نفسه: ١٢٨.
( )ينظر نفسه: ٣٤١.
( )ينظر نفسه: ٨٥.
( )ينظر نفسه: ١٥.
( )ينظر نفسه: ٢٨.
( )ينظر نفسه: ٦٢، ١٧٦.
( )ينظر نفسه: ١٤٨، ١٨٢.
( )ينظر نفسه: ١٦١، ١٦٢.
( )ينظر نفسه: ٤٠.
( )ينظر نفسه: ١٢١ ،١٧٣.
( )ينظر فيه ما فيه: ٣١، ٣٢، ٣٨، ٨٢، ١٠٥، ١٨٣.
( )فيه ما فيه، جلال الدين الرومي: ٢٢.
( )فيه ما فيه: ١٧.
( )سورة ال عمران، الآية ١٦٤.
( )فيه ما فيه: ١١٣.
( )فيه ما فيه: ١٩
( )ينظر: الخطاب التعليمي عند مولوي: ٩١.
ينظر: ادبية النص الصوفي بين الابلاغ النفعي والابداع الفني، محمد زايد، عالم الكتب الحديث، الاردن، ط١ ، ٢٠١١: ٧٦.
( )بنظر: الخطاب التعليمي عند مولوي :٢٩
ينظر: أدبية النص الصوفي: ٥٦.
( )فيه ما فيه، جلال الدين الرومي: ٢٥.
( )سورة التوبة: الآية ٣٨.
( )فيه ما فيه، جلال الدين الرومي: ٩٠- ٩١.
( )فيه ما فيه، جلال الدين الرومي: ٧٥.
( )نفسه :١٣٧.
( )فيه ما فيه، جلال الدين الرومي: ١٨١.

obeikandl.com

obeikandl.com

An Assessment of Oral English Communication Strategies Employed by Iraqi EFL College Students

تقييم ستراتيجيات التواصل الشفوي المستخدمة من قبل طلبة الجامعة العراقية لدارسي اللغة الانكليزية (لغة أجنبية)

Asst. Inst: Rana Salem obeed
Ministry of Education
م.م. رنا سالم عبيد
وزارة التربية

Abstract

This present study reports on an investigation into the oral communication strategies (henceforth OCSs) used by EFL College English students in Iraq. These students are a large group who are studying in English and need to use OCSs to facilitate their communication because they do not have sufficient exposure to English in daily life. All of the subjects are first-year bachelor students from College of Education Ibn Rushd. The data were collected by mean of questionnaire.

obeikandl.com

The results indicate that students of first year employed the following strategies: Approximation, circumlocution, word coinage, mime, literal translation, language switch, and appeal for assistance. While they do not employ avoidance strategies like: topic avoidance and message abandonment .Other finding which is that females use more strategies then males, females useseven strategies out of nine namely: approximation, word coinage, circumlocution, literal translation , language switch, appeal for assistance, and mime. While males use only six strategies out of nine namely: approximation, word coinage, circumlocution, literal translation, language switch, and appeal for assistance.

These findings suggested that OCSs help students over come difficulties in oral English communication. By enhancing students' strategic competence, their communicative competence could be improved.

The results of this study could be great help in the teaching of English to Iraqi EFL learners by making them aware of CSs already in their repertoire and by encouraging them to use OCSs more frequently.

المستخلص:

الدراسة الحالية هي محاولة لمعرفة ستراتيجيات التواصل الشفهي المستعملة من قبل طلبة الجامعة العراقيين دارسي اللغة الانكليزية (لغة اجنبية). وهولاء الطلبة

obeikandi.com

يعدون شريحة واسعة ممن يستخدون تلك الستراتيجيات والذين يحتاجونها في تواصلهم كونهم لا يملكون التعرض الكافي لاستخدام اللغة في حياتهم اليومية. جميع افراد العينة هم طلبة المرحلة الاولى في كلية التربية ابن رشد. وقد تم جمع البيانات من خلال استخدام اداة الاستبيان.

النتائج اظهرت بان طلبة المرحلة الاولى يستخدمون الستراتيجيات الاتية: التقريب، اعادة الصياغة وتكوين الكلمات والاشارة والترجمة الحرفية وتغيير اللغة وطلب المساعدة. بينما لم يستخدموا ستراتيجيات التجنب مثل: التجنب وترك الرسالة. وكذلك توصلت الدراسة الى ان الاناث يستخدمن ستراتيجيات التواصل اكثر من الذكور، في حين استخدمت الاناث سبع ستراتيجيات من اصل تسع.

ان هذه النتائج اوضحت بان استخدام ستراتيجيات التواصل يمكنها ان تساعد الطلبة على تجاوز صعوبات التواصل الشفهي كونها تسهم وبشكل كبير في تطوير كفاءة اللغة والكفاءة التواصلية. وتعد تلك النتائج ذات فائدة كبيرة في تدريس اللغة الانكليزية في العراق من خلال زيادة الوعي بتلك الستراتيجيات والتي تشجعهم على التواصل الشفهي بشكل افضل.

1. Introduction

1.1 Background to the Study

Success in language communication relies on what is called communicativecompetence. As described by Canale and Swain (1980), communicative competence includes: (1) knowledge and ability regarding vocabulary, pronunciation, grammatical structures and word forms; (2) sociocultural rules for using language appropriately;(3) discourse rules for linking parts of a language text coherently and cohesively; and (4) verbal and non-verbal strategies which can compensate for communication breakdowns due to a lack of linguistic resources. Similar to

Canale and Swain,Færch et al. (1984) proposed a model of communicative competence in whichthe most important component is pragmatic competence , i.e., the ability to carry outa broad range of speech acts. This competence includes linguistic competence ,covering pronunciation, syntax and lexis. Whenever the learner experiences a problem because of restricted linguistic resources, he/she may use his/her strategic competence. When a speech act is automatized, it is delivered with a certain degree offluency (Chanawong, 2007: 7)

However, in carrying out communication, there seems to be no perfect languagerepertoire for an individual speaker. To make communication smooth, a speaker mustfind some effective ways to communicate their thoughts. Both non-native and native speakers, as Faucette (2001) mentioned, sometimes struggle to communicat etheir thoughts by trying to find appropriate expressions or grammatical constructions to convey their intended meaning. This is probably because of a lack of linguistic ,sociolinguistic, or strategic competence in a language.The ways in which an individual speaker manages to compensate for the gaps (Bialystok, 1990) between what he/she wishes to communicate and his / hercompetence in the target language are known as "OCSs." The term "OCSs" has been defined in different ways .Some researchers (e.g., Tarone, 1980; Tarone and Yule, 1989) consider OCSs to include all attempts at meaning-negotiation ,where as other researchers (e.g., Cook, 1993; Færch and Kasper, 1984)restrict their definitions to cases in which a speaker attempts to overcome difficult iesdue to a lack of linguistic resources (Rababah, 2002: 15).

Even though researchers are still not in complete agreement about the definition of OCSs,

one widelyaccepted definition is“OCSs are potentially conscious plans for solving what to an individual present sitself as a problem in reaching a particular communicative goal” (Færch and Kasper,1984, p. 47). This definition is influential in the field of communication strategy studies because it provides an adequate coverage for relevant phenomenain an individual’s communication (Bialystok, 1990; Canale, 1983; and Dörnyei, 1995).Although the use of OCSsoccurs naturally in the first language, second language (L2) learners do not necessarily transfer these strategies toL2 communication. This is because of linguistic and affective constraints(Si-Qing, 1990). With a deficiency in the target language, L2 learners findL2 communication problematic. OCSs are,therefore, used as devices to deal with difficulties and breakdowns in communication.These verbal and non-verbal strategies include, for example, using simpleexplanations, paraphrases, cognates from their first language, gestures, and mime. Sometimes, learners solve communication difficulties by asking forinterlocutors’ help or by avoiding topics if they cannot find any way to cope with these difficulties (Tarone, 1977: 23).

However, each L2 learner may employ different types of OCSs. Tarone(1977) suggested that the choice of OCSsis related to the level of target language proficiency. The possible differences between the uses of OCSs by learners at different proficiency levels can besummarized into two main aspects (Ellis, 1984: 23). First, fewer OCSsare used in performance that is fluent, situationally appropriate, economic, and elegantthan in performance that is not. That is, when speakers have substantial linguistic resources, they need to compensate less than when they have few. Therefore,

learnersat a low proficiency level may employ OCSs more frequently thanthose at a high proficiency level do. This implies that there are quantitative differences between OCS used by learnersat different proficiency levels. Second, low proficiencylearners may also differ from high proficiency learnersin terms of the types of OCSs employed. In particular, it seemspossible that learners at a high proficiency level employ more 'achievement strategies'(Færch and Kasper, 1983), such as paraphrase, and fewer 'reduction strategies' (Færch and Kasper, 1983), such as avoidance than learners at a low proficiency leveldo. Thus, the second possibility is that there are qualitative differences between the uses of OCSs by learners at different proficiency levels.A study of L2 learners' use of OCSs provides enormous practical implications for understanding problem-management in L2 communication and trends in L2 learners' communication phenomena. These phenomena reveal factsabout L2 learners' ability to use their restricted inter language (Selinker, 1972: 34)in such a way as to transcend its limitations. Importantly, an investigation ofL2 learners' OCSs seems to be useful for L2 teaching and learningin terms of helping refine models of L2 learning and use (Dörnyei and Scott, 1997;Si-Qing, 1990).

Some studies have been carried out on the OCSs ofL2 learners (e.g., Bongaerts and Poulisse, 1989; Ellis, 1984; Si-Qing, 1990;and Ton, 1989); however, there are still gaps in those previous studies. That is becausemost studies have just examined some types of OCSs usingone single method (e.g., a concrete picture description task, a concept-identificationtask, or a story-telling task).The evidence from this study is useful for making

pedagogical decisions anddeveloping curricula to help Iraqi learners become more skillful in oral English communication.

2- Study Objectives

This study has two aims:

1) to identify CSs used by first year students,
2) to identify differences in OCSs between male and female of first year students

3- Review of Related literature

3-1 Definitions of CSs

For most people, the main goal of learning a foreign language is to be able to communicate. It is through communication that people send and receive messages effectively and negotiate meaning. Nowadays, how to communicate effectively in Foreign Language Learning becomes much more important than reading and writing. As a result, OCSs have turned into a crucial topic for all foreign language learners and teachers(Rubin & Thompson,1994: 30).

Considerable research has been done on OCSs, for example, Bialystok (1990), who comprehensively analyzes OCSs for second language use; and Dornyei (1995 cited in Brown, 2000), who outlines an explicit classification of OCSs. According to Bialystok (1990: 1), "the familiar ease and fluency with which we sail from one idea to the next in our first language is constantly shattered by some gap in our knowledge of a second language". The forms of these gaps can be a word, a structure, a phrase, a tense marker or an idiom. The attempts to overcome these gaps are described as OCSs. Wenden and Rubin (1987: 109) state that learners who emphasize the importance of using the language often utilize OCSs. Besides, O'Malley and Chamot (1990: 43) assert that OCSs are particularly important "in negotiating

meaning where either linguistic structures or sociolinguistic rules are not shared between a second language learner and a speaker of the target language". For this reason, OCSs, which involve both listening and speaking, can contribute greatly to FLL.

In Bialystok's book OCSs, she cites four definitions relating to the strategies ofsecond-language learners (Bialystok, 1990: 3):

(1) a systematic technique employed by a speaker to express his meaning when faced with some difficulty; (Corder, 1977)

(2) a mutual attempt of two interlocutors to agree on a meaning in situations where requisite meaning structures are not shared; (Tarone, 1980)

(3) potentially conscious plans for solving what to an individual presents itself as a problem in reaching a particular communicative goal; (Faerch& Kasper, 1983a)

(4) techniques of coping with difficulties in communicating in an imperfectly known second language.(Stern, 1983)

All the above definitions reveal the same purpose of CSs, namely, to solve an emergedcommunication problem by applying some kinds of techniques. Among these, Corder's (1977) explanation seemsto be more visual and pellucid from the viewpoint of a non-native speaker ofEnglish. The definitions from Faerch and Kasper (1983a) and Stern (1983) also provide us specific and precise descriptions for CSs, which refer to the employed techniques when speakers have problems in expressing themselves.

3-2 Taxonomies of CSsand Foreign Language Learning

Having considered definitions of OCSs, the next section will examine Dornyei's Taxonomy (1997) and Tarone's (1977) of OCSs, which is also cited by Brown (2000:128) as good

examples.The two branches given by Dornyei (1997) reveal two opposite directions in communication. One is avoidingand the other is compensating. Avoidance strategies can be further broken down into several subtypes, such asphonological avoidance, syntactic or lexical avoidance and topic avoidance (Brown, 2000: 128). These strategiesmay be an effective way but not a beneficial way for FLL students to learn a foreign language. Among these, topicavoidance may be the most frequent means that students have ever employed. When asked a specific question, thestudent who does not know the answer will just keep silent about it and lead to the occurrence of topic avoidance.In my experience, most students can hardly express their ideas or answers in a flexible way; that is to say, theypresumably have not learned to think over a foreign language simultaneously while they are speaking it. Thereason tends to be that they have not acquired basic knowledge of English and they seldom practice it.

Compensatory strategies, on the other hand, involve "compensation for missing knowledge" (Brown, 2000: 129).Dornyei outlines eleven types of compensatorystrategies in a very comprehensive way, whichinclude circumlocution, word coinage, prefabricated patterns, appealing for help and stalling or time-gaining strategies, etc (Dornyei, 1995 cited in Brown, 2000: 128). Some of them happen in a high frequency, while othersmay seldom occur. Consider the example of "foreignizing", which refers to "using a L1 word by adjusting it to L2phonology and/or morphology" Brown, 2000: 128. Whereas, many other types of compensatory strategies are perceived to be commonly applied. When students are taking an oralexamination, the most popular compensatory strategy is to "use fillers or hesitation devices to fill pauses and togain time to think" (Brown, 2000: 130). By using

fillers such as "well" or "let me think",students can gain a little time to thinkbefore they speak. Thus, they will appear to be more fluent instead of stammering and as a result, a higher mark isexpected to be given. Another common type is appealing for help. Dornyei states that people can ask for helpdirectly or indirectly, such as using a rising intonation or a pause (Brown, 2000: 129). Learners willdirectly ask the native speaker about an unknown word, for example, "What do you call this…? With respect to circumlocution, it can be ranged to paraphrase strategy because it indicates "describing orexemplifying the target object of action" (Brown, 2000: 128). Non linguistic signals apparently mean using sound imitation andpostures, such as mime, gesture, and facial expression. On occasion, speakers will adopt circumlocution as well as non linguistic signals at the same time. Word coinage is usually producedunwittingly. Dornyeiclaims that a speaker will simply create a non-existing L2 word when he does not know theexact one. A learnercould use phrase "electrical line" instead of "electrical wire" to expresshis meaning. The coinage of a single word may not be as common as the invention of a phrase by the speaker.Through the combination of two possible words which can jointly create a new meaning, a non-existing phrasecan be invented. Lastly, prefabricated patterns are described as the memorized stock phrases or sentences forsurvival purposes. They are generally adopted by those studious and diligent language learners. It is verycommon to notice that students rehearse typical sentences on a bus or in a park. Prefabricated patterns can assistlearners to reach their basis communication goal, such as asking for directions or shopping (Nakatani, 2006: 78).

This description supports the idea that CSs can be viewed from two perspectives. According to Færch & Kasper (1983),

cited as a central source in Kasper and Kellerman (1997) CSs are "potentially conscious plans for solving what to an individual presents itself as a problem in reaching a particular communicative goal." This "intra-individual view" locates CSs in models of speech production (e.g. Dechert, 1983; Færch& Kasper, 1983) or cognitive organization and processing (Bialystok, 1990). In early work, most notions of CSs restricted the concept to problem-solving activity. Færch & Kasper‟s definition of CSs relates to the learner, or more precisely, to the problems experienced by the learner, in speech reception and in the planning and execution of speech production. The definition conceives of CSs as mental plans implemented by the L2 learner in response to an internal signal of an imminent problem, a form of self-help that did not have to engage the inte rlocutor‟s support for resolution. This implies that the learner may make use of a communication strategy without signaling to his interlocutor that he is experiencing a communication problem and consequently, that the presence of a repair on the part of the interlocutor is not a necessary condition for the identification of a OCSs (Færch& Kasper, 1983: 36).

From an interactional view or social strategies, Tarone (1977) provides three main categories of CSs: paraphrase, avoidance, and conscious transfer.

With paraphrase, the learner uses these strategies to compensate for an L2/FL word that is known by three subcategories: approximation, word coinage and circumlocution. According to Tarone (1980), approximation occurs when the learner uses "a single target language vocabulary item or structure, which the learner knows, is not correct, but shares enough semantic features in common with the desired item to satisfy the

speaker." Word coinage is employed when "the learner makes up a new word in order to communicate a desired concept." For circumlocution, "the learner describes the characteristics or elements of the object or an action instead of using the appropriate target language structure" (Tarone, 1977: 429). Conscious transfer involves literal translation, language switch, appeal for assistance and mime. For literal translation, the learner translates word by word from the native language. With language switch, the learner uses the native language term without bothering to translate. In appeal for assistance, the learner asks for the correct term or structure. The next strategy is mime which occurs when the learner uses nonverbal strategies in place of a meaning structure. In avoidance strategies, the learner avoids the communication by using topic avoidance or message abandonment. Topic avoidance occurs "when the learner simply does not talk about concepts for which the vocabulary or other meaning structure is not known" while message abandonment occurs "when the learner begins to talk about a concept but is unable to continue due to lack of meaning structure, and stops in mid-utterance" (Kongsom, 2009: 35-37).

obeikandi.com

Table 1: Definitions of OCSs

(Based on Tarone's Taxonomy)

Name of Strategy		*Description*
Paraphrase	Approximation	Use of single target language vocabulary item or structure, which the learner knows is not correct, but which shares enough semantic features in common with the desired item to satisfy the speaker (e.g, pipe for water pipe)
	Word coinage	The learner makes up a new word in order to communicate a desired concept (e.g. airball for balloon)
	Circumlocution	The learner describes the characteristics or elements of the object or action instead of using the appropriate target language item or structure
Conscious transfer	Literal translation	The learner translation word for from the native language (e.g. He invites him to drink, for they toast one another)
	Language switch	The learner uses the native language (NL) term without bothering to translate (e.g. balon for balloon,)
	Appeal for assistance	The learner asks for the correct term (e.g. What is this ? what called ?)
	Mime	The learner uses non-verbal strategies in place of lexical item or action (e.g. clapping one's hands to illustrate applause)
Avoidance	Topic avoidance	The learner simply tries not to talk about concepts for which the TL item or structure is not known.
	Message abandonment	The learner begins to talk about concept but is unable to continue and stops in mid-utterance.

4- Research Design

The subjects of the present study include 50EFL college students, first year from College of Education Ibn Rushd in Baghdad University. They were 25 of males and 25 of females. The researcher selects a randomly samples to meet the purpose of the present research. The sample represents 25% of the population of students in first year which is 200 students.

The present study used a questionnaire, as an instrument of research, is one of the inquiring forms that "*includes data gathering instruments through which respondents answer questions or respond to statements in writing* (Best 1981: 167).

The type of questionnaire used in the present study is to elicit OCSs of students is restricted or closed form which calls for ticking.

The present questionnaire items have been constructed depending on several literature and studies such as Nakatani, (2006); Lam, (2006); Chang, (2005) and Kongsom (2009).

The form of question naire is divided into two parts, listening and speaking. Items of listening strategies include 18 items while items of speaking strategies include 20 items. Items in questionnaire are also related to a strategy of OCSs based on taxonomy of Tarone(1977) because of its more practical, easy to administer and its boundaries are clear. Students were asked to tick one out of five options (always, sometimes, often, rarely and never) (see appendixI).

5- Results and Discussions

In order to identify the OCSs used by first year, a questionnaire has been built and administered to the sample of the present study. The results are computed in respect to the two specified parts of the questionnaire.

5-1 Results Related to the First Aim

In order to identify the OCSs used by first year college students, a questionnaire has been built and administered to the sample of the present study. The results computed in respect to the two specified parts of the questionnaire (listening and speaking).

The weighted mean of listening is 2.68, while the weighted percentile is 53.70 with a standard deviation of 19.61. This shows that listening part gets rank number one. The weighted mean of speaking is 2.52, while the weighted percentile is 50.41 with standard deviation 22.62 (see table 2).

Table 2: Weighted Mean, Weighted Percentile, and Rank Order of the Two Parts of the Questionnaire.

Part	*Weighted Mean*	*Weighted Percentile*	*s.d.*	*Rank*
Listening	2.78	54.70	18.72	1
Speaking	2.62	51.41	23.59	2

Table 3: Weighted Mean & WeightedPercentile of OCSs Used by Students

No.	*Strategy*	*Weighted Mean*	*Weighted Percentile*
1	Approximation	2.85	57
2	Language switch	2.83	56.5
3	Mime	2.77	55.4
4	Word coinage	2.76	55.2
5	Literal translation	2.64	52.8

6	Circumlocution	2.60	52.1
7	Appeal for Assistance	2.53	50.6
8	Topic Avoidance	2.28	45.6
9	Message Abandonment	1.92	38.4

Table 3 shows that the strategy of Approximation gets the highest weighted percentile of 57, with weighted mean of 2.53. The second strategy is Language Switch with 56.5 weighted percentile and 2.83 weighted mean. The third strategy is Mime with 55.4 weighted percentile and 2.77 weighted mean. The fourth strategy is Word Coinage with55.2weighted percentile and 2.76.weighted mean. The fifth strategy is Literal Translation with 52.8 weighted percentile and2.64 weighted mean. The sixth strategy is Circumlocution with 52.1 weighted percentile and 2.60 weighted mean. The seventh strategy is Appeal for Assistance with 50.6 weighted percentile and 2.53 weighted mean. The eighth strategy is Topic Avoidance with 45.6 weighted percentile and 2.28 weighted mean. The last strategy, which is the ninth one, is Message Abandonment with 38.4 weighted percentile and1.92 weighted mean.

5-2 Results Related to Second Aim

Table 4: Weighted Mean, Weighted Percentile, and Rank Order of the Males and Females of the Questionnaire.

Gender	*Weighted Mean*	*Weighted Percentile*	*s.d.*	*Rank*
Female	3.44	41.11	17.89	1
Male	2.26	32.75	16.51	2

Table 4 shows that the weighted mean of female is 3.44, while the weighted percentile is 41.11 with a standard deviation of 17.89. This shows that female gets rank number one. The weighted mean of male is 2.26, while the weighted percentile is 32.75 with standard deviation 16.51.

Results of question naire regarding answers of both genders (males and females) show that females use more OCSs strategies than do males, they use seven strategies out of nine namely: approximation, word coinage, circumlocution, literal translation, language switch, appeal for assistance, and mime, while the strategies of topic avoidance and message abandonment are not employed. While males use only six strategies out of nine namely: approximation, word coinage, circumlocution, literal translation, language switch, and appeal for assistance, while strategies of mime, topic avoidance, and message abandonment are not employed by males.

6- Bibliography

Best, J.B. (1986). CognitivePsychology. 2nd ed. St. Paul, Mn.: West Publishing Company.

Bialystok, E. (1990). *Communication Strategies: A Psychological Analysis of Second Language Use*. London: Blackwell.

Brown, J. D. (2000). *Promoting fluency in EFL classrooms*. Paper presented at the JALT National Conference. Nagoya, Japan. University of Hawai'i at Manoa, Proceedings of the 2nd Annual JALT Pan-SIG Conference.

Chamot, A.U. (1990). LearningStrategies in SecondLanguageAcquisition. Cambridge: CUP

Chanawong, Sirinit (2007). *Oral English OCSs Employed by First-year Medical Students, Mahidol University*. Thesis. (Applied Linguistic).

Chang, H. (2005). Motivators that do not motivate: The case of Chinese EFL learners and the influence of culture on motivation. *TESOL Quarterly,*

Corder, S.P. (1977). *Language learner language*. In J.C. Richards (Ed.), Understanding second and foreign language learning. Issues and approaches, Rowley, Mass.: Newbury House.

Ellis, R.(1984). *Task-Based Language Learning and Teaching. Oxford,*

Faerch, C., & Kasper, G. (1983). Plans and strategies in foreign language communication. In C. Faerch& G. Kasper (Eds.), *Strategies in inter language communication*. London: Longman.

Faerch, C., & Kasper, G. (1984). Two ways of defining communication strategies. *Language Learning* 34(1).

Kongson, Tiwaporn. (2009). *The Effects of Teaching Communication Strategies to Thai Learners of English*. Thesis for degree of doctor in Philosophy. University of Southampton.

obeikandi.com

Lam, Wendy Y.K. (2006). Gauging the Effects of ESL Oral Communication Strategy Teaching: A Multi-method Approach. *Electronic Journal of Foreign Language Teaching*. Vol. 3, No.2.

Nakatani, Yasuo (2006). *Developing an Oral Communication Strategy Inventory*. Nakamura Gakuen University. Japan.

Rababah, Ghaleb (2002). *Second Language Communication Strategies: Definitions, Taxonomies, Date Elicitation Methodology and Teachability Issues*. Educational Resources Information Centre (ERIC).

Rubin, J. & Thompson, I. (1994). *How to Be a More Successful Language Learner*. New York: Heinle & Heinle.

Selinker, L. (1972). *Inter language*. IRAL, 10(3).

Stern, H.H. (1983). *Fundamental Concepts of Language Teaching*. London: Oxford University Press.

Tarone, E. (1977). Conscious communication in inter language: A progress report. In H. D. Brown, C. A. Yorio & R. C. Crymes (Eds.), *On TESOL'77*. Washington, D.C.: TESOL.

Tarone, E. (1980). Communication strategies, foreigner talk and repair in inter language. *Language Learning*. 30(2).

Wenden, A. and Rubin, J. (1987). Learnerstrategies in languagelearning. London: Prentice Hall.

obeikandl.com

Sociolinguistics in Mark Twain's the Adventure of Huckleberry Finn

اللغويات الادبية في رواية مارك توين

(Huckleberry Finn)

م.م. حيدر كاظم جري
كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة / فرع العلوم التطبيقية
assistant teacher : hayder kadhim jerri

Sociolinguistic is a basis onto social, cultural, and ethnic structure, by which as a tool to examine the language, therefore, any language may demonstrate on the sociolinguistic in order to understanding the various disciplines such as regional, class and so on within the language itself. Sociolinguists seek to describe the domain in the context of social aspects included the differentiation of society, culture, dialogue and gender. Therefore, sociolinguistic does not have any sort of restriction to interact with another domain such as literature, by which sociolinguist uses is as a tool to scrutinize the language which we use it in the social context for comminuting as known as a 'study of variation' , variation approaches to adapt in this subfield in order to offer access for the researcher to study a variation of linguistic: phonology(deal with the pronunciation), and Syntax (deal with the variables

obeikandl.com

of dialect, although syntax is offering a good opportunity to the sociolinguistics to race the differ dialect in the same language). Sociolinguistic has existed to characterize the social facts, Baker says that "Certain kinds of work combined insights from how the identity of person or social group relates to the way that they use language", (Baker) it's also a crucial studies to be concentrated in the context between language and society. We try to prove that speech and social behavior the intrinsic fact on the sociolinguistics "According Trudgill, certain kinds of work combine insights from sociology and linguistics. Examples of such work are attempts to deal with structure of discourse and conversation". (Wardhaugh) "in reaction to the contention among many linguists working in a broadly Chomsky an framework that language can be dissociated from its social functions" (*Key Thinkers in Linguistics and the Philosophy of Language, 2005).*

Sociolinguistics and sociology of language based on certain aspects regarding to sociolinguistics is concerning with study of language and examined the relationship between the language and society, structure of language remained the main task of sociolinguistics and also the emphasis on the Culture, gender, ethnicity, etc within the particular society. Sociolinguistics is also called the Micro-linguistics. Linguists said that "A sociolinguistic perspective requires exploring how language is used to establish a social context while simultaneously exploring how the social context influences language use and the communication of meaning" (Baker)

Sociology of Language is also called Micro-linguistics, sociology focused on certain language, by which concentrates in the social or community facts. Therefore, sociolinguistics would be stronger demonstrative device in the variables dialects. For instance, India has many languages within the same region so we must distinguish the general concept between the language which is used by same tribe or community for their communications in their daily life. However, sociology focused on the structure of particular language by certain groups of people. Sociology language will examine the structure of language in order to identify the different social class of the particular tribe or community. The priority of social approaches to the linguistics will also be recognized by the linguistics itself, what I mean to explain that the sociology remained the preliminary attention to the linguistics studies in generally. Some assumptions argued that there is no relation between linguistics structure and social structure: certain cultures and languages should be understood by their own terms, contexts and culture. It is Important to realize and underline that it is not correct to directly apply a certain concept to examine the forms and aspects of the social and linguistic life. However, social structure and linguistic structure which considered as integral part on the other.

Chomsky's notions regarding to competence and performance are more visible "Chomsky as based upon competence but also following principles such as attention, perception, and memory which don't need to be invoked for the notion of competence as the abstract knowledge speakers have independent of their use of language"

(Duranti) Chomsky emphasized that the competence is a use of linguistic system and the knowledge of language. Competence is part of utterance language dealing with speaker what they wanted and expectations, while the performance is dealing with actual use of the language, performance comprised of third or four part of activities or a domain of, verbal , human action. Performance based on Folklore, poetics and other sort of actions including display, reciting story or poem, and any sort of verbal discussions or debates “To describe to and focus on this other notion of performance is more than the recognition of the fact that in speaking there is always an aesthetic dimension, understood as an attention to the form of what is being said” (Duranti) so the dimension is divided into competence and performance: competence is used in the wrong while the speaker attempt to say something, performance is a dramatic dimension concerning with the verbal action. Chomsky made prominent distinction:

We have …to account for the fact that a normal child acquires

Knowledge of sentences, not only a grammatical, but also as Appropriate. He or She acquired competence as to when to speak, When not, and as to what to talk about with whom, when, where in What manner. In short, a child becomes able to accomplished a Repertoire of speech acts to take part in speech events, and to Evaluate their accomplishment by others. This competence, Moreover, is integral with attitude towards, values and motivations concerning language. It feature and uses. And integral with

Competence for, and attitude toward, the interrelation of language with the other code of communicative conduct. (Hymes)

The notion of communications is profoundly evidenced by the interaction and competence part for any speaker in the certain language. We could not divest the language from the cultural and regional roots. The verbal part of language or performance is essential integral part of any communication acts, what Hymes attempted to expose to the reader that grammatical part is not existed at the any learner or speaker to the native/ foreign language. However, i assumed of performance activity is inherited to social realism, interpretation any language will come from the repertoire of words which could be pronounced. There is strong connection between Sociolinguistic and Anthropology, and we could not isolate the fundamental element or roles from my research. Evidently Chomsky emphasized on the distinctive between competence and performance to the dialect which use the competence by the native speaker and performance 'the actual use of language'. Brook noted "So, too, is the use of dialect as humorous device, whether in spoken English, dialect jokes, or in longer texts". (Brooks) Phenomenon of Dialect Studies scientifically emanated from different motivations and emotions nonetheless it is reality, however, dialect is considered as humor device. Volatile dialect existed within comedian actives and writers who utilized the dialect humor in the artistic acts. Barret emphasized on "within the past thirty years, the English language has spread globally and become nativized by other countries. As a result, the focus in the language

variety shifted from micro/dialectal view to that of more macro/varietal one" (Barret) overwhelming of English language found a vast cultural and regional dialect, speaker of the second language insisted to use a certain jokes or dialect in their native language, so the micro/dialectal is concentrated with the regional issues, and social variations. Kachru exposes that English is the elitist identity and the dominance of language which could use as a tool of communication "English does have one clear advantage, attitudinally and linguistically; it has acquired a neutrality in a linguistic context where native language, dialects and styles sometimes have acquired undesirable connotations" (Kachru)

Samuel Clemens as known Mark Twain

Mark Twain is a great American writer in the history, his contributions have recognized as humorist writer, for his work has used different literary style on Adventure of Huckleberry Finn by adapting speech into writing pattern, it has inadequate linguistic aspect for limitation on syntax and lexical structures. Audience will comprehend his literary works from other writers for creating narrative mode to associate with some issues, he attempts to evoke the conscious of the audience to condemn inequality and reform the society. Twain has different technique by using local dialect; vernacular mixed with the humor to expose his main aim in his writing the novel, society had witnessed racism, segregation and equality.

The purpose of writing this paper to explore the existence of Dialect Humor, Humor seemed to be as a part of linguistic reality which could be used as language device as everyday language in the literature. My research paper will rely on

Mark Twain's Humor as theoretical linguistic studies. Twain contributions as humorist plethora of scientific studies, various dialect encourage the scholars to concentrate in this subdiscipline field of linguistic, dialectology considers one of the most an importance area of linguistic as we as phonetics, semantics, morphology and syntax. Some argument accused the dialect as pejorative studies, but we could realize that there is many dialect imbued with various connotations which use by social and regional in the particular English language, for instance the different dialect between American and British English.

Undoubtedly, dialect has a massive evidence affected emotional, societal and political factors among the speakers to determine a certain stereotype of dialectal norm, it's also included large number of vernaculars which influenced in the regional stigma particularly English language, dialect and vernacular considered sub discipline in the linguistic field, therefore, dialect inherent to the regional and boundary stem especially in the United States of America. Optimality theory, perhaps, interested with dialectal studies to become knowledge of the social reality and also emphasized that dialect is more acceptable with syntax (in the old English dealt with dialect, syntax and morphology) more than other subdiscipline. However, dialectology sought to analysis the shifts on the pronun-ciations and lexicon-semantic. There was a strong inherent about the root of dialect which could not eliminate it from cultural and regional stem by the linguists said that "the study of dialect is not the just scientifically pristine investigation from phonology to semantics, it is also rooted with often problematic and indiscernible human element of language" (Barret) sociolinguists went out of all these argument and assumed

that we ought deal with language as it used or the way of articulation by the regional or community, indeed, dialect used as a means of communication and social reality which inherited from their cultural and regional roots.

Linguistic is an inevitable tool to analysis the artistry and literary works, although to examine the rhetorical aspect in any language "As an exercise in applied linguistics it yields interesting information about lexical-syntactic relations in English, about the various options authors have available in structuring fictional dialogue and inner speech, and about the ways in which language can be made to reflect a different modes of perception. It also contributes to an understanding of how structural features of dialogue and inner speech further, and in part, constitute narrative characterization". (CLINES) Linguistic is an essential domain to interpret the fictional and inner meaning of the any literary or artistic work, the fundamental elements of linguistic 'syntax, lexical and phonology' to explore the literary features on the text.

Dialectal studies became inevitable sub discipline in the linguistic field to prolifically prevail in the language, humor was the overwhelming derived from the dialect, literature was always affected by the dialect of the writer him/herself "Mark Twain is lauded as being the man to give America its literary voice through his short stories and through characters such as *Huckleberry Finn* and *Tom Sawyer'* (Barret) Twain insisted to portray the American society through the literature, he made significant contributions to concentrate with the humanitarian issues through the dialect of humor, nowadays people entertainment through TV to watch and mimic various dialect instead to read as in the 19th century. Brett Butler, Max Weinhold and a number of British comics utilized the effects of dialect and what this paper focused on dialect mixing which the humor derived

from its affections. Victor Raskin the editor of the International Journal and Humor Research:

"The last decade has been seen an unprecedented growth of humor research and The growing perception of humor as an important and universal human faculty… The study of humor is undertaken by scholars from a large variety of disciplines from two points of view. Some see in humor a convenient and interesting groun for texting the methods and theories of their respective fields. Others expect the study of humor to verify some concepts and theories in other fields and help to gain insight into some more problems in those fields. Still others combine the two interests". (Raskin) to trace the track of Plato and Aristotle will find the real source of Humoristic or Humorology roots, humor officially considered as an academic field in 1988 since the first issue of International Journal of Humor Research which recognized it as a discipline as any another field. He found the basic role of humor that is called the theory of humor as a form of text which inclusively considered linguistic aspects, generally humor dealt with domain of the 'disparagement, release/relief and incongruity' of jokes in form of 'verbal humor'. Incongruity humor is seriously distinguished as a joke as "Freud's version works on the principle that certain events create expressed sexual and/ or aggressive energy, and when that tension is undone in dramatic way (suddenly or surprisingly), rather than gradually, the nervous energy is released, and relief ensues in the form of humor" (Matthew M. Hurley) according to the Hurley's theory of released had been proved that the mental sensor stimulated the nerve system to flow the suppressed out from the mind with way

of laughter, mirth and pleasure. However, this theory lost its popularity for many reasons: suppressed and repressed (about the emotions or desire released [un]conscious) and generally because physical energies. Relief is a norm of mental relaxation of the tension and anxiety from the mind, in another word, mind inevitably acquired to get rid of tension and anxiety from the mind through the relief. In contrary, the disparagement is a different norm of others as a 'harmful aspect', it's a kind of humiliation and insulation the other by mirth or laughter, for only to make a fun of other. Regardless of the humor elements (incongruity, released/relief, and disparagement) its linguistically theory, Raskin and Chomsky had different points of view regarding Chomsky's competence, and performance and Raskin's Humor elements. Raskin emphasized that: "is evoked by a sound, a word and an utterance which is pronounced or used differently from the it is normally done in the language or dialect in which the joke is told. Language distortion the jokes are based on the simple opposition of language identity vs. language difference and nothing else". (Raskin 181)

Dialect, Humor, and other variation of linguistics profoundly subdiscipline of Linguistics, Barret defined the dialect is "dialectology has been regard alternately as an important area of language variation in which such traditional heretical subfields as phonology, morphology, syntax and semantic are most relevant" (Barret) therefore, dialect seems to be the most volatile subject, variation of the dialect with or within the same language or area made the field is essential for the linguists who concentrated on their studies the different dialects, accents and vernaculars in this certain

language. Although the linguistic stigma focused on the speaking part of the language from particular regional dialect, for instance differences between American, Australian and so on from British English. Humor is a basic part of linguistic whether in the written forum or verbal, generally human therein lied in the mimicry performance way which could not isolate from the dialect. Humor without dialect was inherent and coherent as complementary device to proffer sub discipline of the linguistic area.

My research paper focused on the "America Humor" Mark Twain's phenomenon as a humoristic writer who solely contributed humor, dialect and other roles in his literary society. "A character in a writer's head, unwritten, remains a possession; his thoughts recur to it constantly, and while his imagination gradually enriches it he enjoys the singular pleasure o f feeling that there, in his mind, someone is living a varied and tremulous life, obedient to his fancy and yet in a queer, willful way independent o f him". (Maugham) We illustrated that importance role of dialect implied the humor, dialect had played intrinsic value to the Western literature, dialect also had diachronic study of language as well as in "linguistic study with regard to a number of important linguistic issues such as the existence of spoken variations which differ from the writing standards, their effects on the writings and speech of the day, and important phonological, and lexical characteristics of such dialects", in spite the linguistic defines of language, but still not intelligible and determined. In western literature language is determined by prominent writers started from Chaucer, Shakespeare, and other writers from 19th century like Dickens, Hardy, Twain and others who implement the humor, satire, regional dialect and vernacular in their novels or stories, later on the new literary norm had emerged to be called vaudeville and burlesque which were derived from 'ethnic comedy' as an entertainment norm. Charles Dickens utilized the satire to

criticize the capitalism and aroused the conscious against arithmetical societies, while Mark Twain purposely adapted the dialect and vernacular region to be constructed humor. The accurate study of dialect concerned in the domain of sociolinguistic which was unfamiliar to the 'realm of linguistics', writers who adapted the genre only for one purpose to evoke and raising some political issues through literature. Dialect as genre generally distinguished between American/British English which both included various vernaculars within the same country itself. Although it's essentially to continue to use an appropriate term of dialect to examining variety of language, social as well as regional dialect. Twain's artistic works were linguistically opted with humor, especially in the Huckleberry Finn to show his talent and ability to manifesting about social issues such as slavery and racism at that time.

Humor and Twain's literature is a vivid case in the literature of the Nineteenth Century, Twain mixed the Humor with local dialect, as a new social aspect regardless on the pejorative quality of many aspects, the linguists interested for further studies. Chomsky's notions of the competence and performance are most visible " Chomsky as based upon competence but also following principles such as attention, perception, and memory which do not need knowledge for the notion of competence as the abstract knowledge speakers have independent of their use of language" (Duranti) the real concept of the competence is the actual used of the language, while the performance remained the intrinsic value of the language though different activies such as the artistic work, folklore, display and so on. However, competence is the basic element of the speaker to performance the language in different and variant dialects.

Sociolinguistic is dedicated to focus on the varieties of dialects among the speakers of certain language in order to understand those people within different dialects, the debate is essentially to underline the stereotypes among the speakers, to study phonology and semantic are not the only efficient without study of humor to understand the people, it's true that language is the vehicle of communication, but we should realize different dialects among the own language. Dialect seem to me cultural, emotional and regional root "So, too, is the use of dialect as a humorous device, whether in spoken English, dialect jokes, or in long texts". (Barret) Humor is based on various dialects; many scholars considered Dialect Humor including the writing of comedian is a new phenomenon (field) in the realm of linguistic.

Sociolinguistic has focused on the particularly issues of the, social realism, micro dialects. It has acquired a neutrality to comprehend the emotional connotations within a certain linguistic context, however, dialect humor is found to illuminate the linguistic studies. The interaction between the speakers has provided a plethora of essentiality to overwhelming in certain the linguistic issues (whether in the form of written or verbally). These issues are overtly pejorative and divest the term dialect from the field. I should make my illustration to study sociolinguistic in the literary studies in particular with Mark Twain.

Definitely my paper will be evident in citations as well as many other underlying assumptions which will guide my analysis. These facts have profound and distinct impact on

the literature. In particular, to the Mark Twain who attributed to the several kinds of linguistic variety: grammatical, dialects, humor and so on. Mark Twain does not only the poets or understanding the language as shallow, but he wants to concern the mediation between individual and objects. My paper assumptions focus on the sociolinguistics and literary theory. Hence Mark Twain confrontations between grammatical and ungrammatical English, yet the connection by the grammarians drew between language and morality which was not barren, “What impressed Mark Twain most about language was its diversity. Moving from West to East and on to Europe, living among the boatmen, skaves, miners, journilsts and aristocrats”. (R.Sewell) My paper will focus on the issue with Twain’s language as beliefs and criticism which brought to him the reputation and stylistically literary works. The trivial works in twain was overtly shown here:

“The largest component of Twain’s literary criticism was] his lifelong preoccupation with the grammar. How many essays and speeches, introductions and extravagances by Twain turn upon some question whose interest is purely or mainly verbal! . . . It is the latter –perfection of Howells that dazzles him; they want of it he considers a sufficient reason for saying ‘you re another’ to Matthew Arnold and tripping him up over some imaginary verbal gaucherie…. Foreign languages never ceased to be ludicrous to him because they were not English. These are all signs of the schoolboy who has begun to take pride in his compositions and has become suddenly aware of words; and I suggested that

Mark Twain never reached the point of being more at home in the language of Civilization than that".[1]

Many American scholars including Emerson considered Mark Twain as the great philosopher of language, therefore, his metaphor possessed in the Twain's grasp which was concentrated in the transcendentalism era to seem to be radical at the odds within the Twain himself. His work was highly involved with the debatable judgments; nonetheless, the word implies a warmer respect than notoriety, the transition of Mark Twain's career from Humorist into comic and series made prominent phase of his life, endeavor to become the most humanistic figure at his time through his patience and further reading. "The crux was the promised exoneration after those demanding the banning of Huckleberry Finn during the past several decades charged that this avatar-author or book- of the best American qualities is racist in attitude or else in effect" (G.Robinson) the novel could consider the most great book written ever in the America, the events of this novel is about the boy who was motherless and abused from his father. He sailed to the Mississippi River with Jim to escape from his misery life, regarding to the sociolinguistic and structure the novel was written with many grammatical mistakes as well as inappropriate or inelegant expressions as "slave, servant" which was as subtitle in the novel. The language of the book stirred the emotional and conscious of the public, the arguments were based on the language of the book which

[1] Van Wyck Brooks, The Ordeal of Mark Twain, new and rev. ed. (London:J.M.Dent,1934),pp.199-200.

was intermingle with the south dialectal language, for instance he used the “nigger” to refer to the Jim and other African-American characters in the book. The distinction of language was sometimes disappointing because of the vocabulary did not relevant to his time, invented a new expression never existed at the nineteenth century.

Adventure of Huckleberry Finn

Mark Twain’s experience as a public writer who intentionally used the humor to help him and directly confronted the problem of combining casually (straight) speech, utilizing the speech of the ‘vernacular characters’ whom Twain preferred to adapted those characters to bring the reader’s attentions with common nature of writing, while in ‘linguistic terms’ it’s also emanated another code of ‘discourse analysis’ by making literary language lesser than formally language wherein lied in the ‘resources of colloquial’ English. Twain won and honored as the best American literary writer in the history, many of greatest twentieth-century as ‘Hemingway and Faulkner’ gave testimony and acknowledged his significant contributions to the American literature, his artistic talents and versatility made him to choose him as a literary phenomenon in the 20th century. In particular, the best novel *Adventure of Huckleberry Finn* “If Joyce’s Ulysses and Faulkner’s The Sound and the Fury leave the reader with the impression of diversified discourse styles appropriately suited to the diversified personality types of the characters, in The Adventures of Huckleberry Finn Mark Twain creates quite the opposite effect This novel, which Twain scholars generally agree is Clemen’s best
achievement seems to derive is significance from the lack of diversity—or to look at it from another perspective—from its stylistic consistency. ” (CLINES 111) Huck Finn was not

ordinary character to depict the situation of his life to the reader or audience, to portray the humiliation and abused from father, the intellectuality and artistic quality of Twain to make the scene and the language of the 'vernacular or colloquial American English' in order to show the audience the innocent and naïve of the main character of the novel, on the other words, Twain used the local language which reflected on the novel to enlightening the point of the naïve Hero in the novel as uneducated figure.

Huckleberry Finn considered as revolutionary novel against the racism and slavery which could recognized as innovation literary works in the American literature, "Huck possesses the ability to adapt to almost any situation through deceit. He is playful but practical, inventive but logical, compassionate but realistic, and these traits allow him to survive the abuse of Pap, the violence of a feud, and the wiles of river con men. To persevere in these situations, Huck lies, cheats, steals, and defrauds his way down the river. These traits are part of the reason that *Huck Finn* was viewed as a book not acceptable for children, yet they are also traits that allow Huck to survive his surroundings and, in the conclusion, make the right decision". (Bruce) Huck believed that the morel ethics of the society just cruel and abused the week ones, tried to condemn the bad habits by portraying himself as a 'traitor and villain' for acting against them, Huck insisted to help Jim to escape from his slavery and sailing on the Mississippi river to unknown island, he was thinking that he will suffer due to assist Jim to escape feom his slavery, especially Huck declared 'all right, then, I'll go to hell' here Huck realized the critical result which would reflect badly for him, nonetheless, Huck revolted against his society and culture, also refused their fundamental ethics toward the certain issues, Huck made decisive decision to consolidate with Jim which yielded Huck as a heroic figure.

The language of the novel, portrayed by the Huck as uneducated boy with fourteen years old, manifested the nonliterary form in the literary work. Audience as well as the reader never examined the syntax and lexical structure accomplished in the *Adventure of the Huckleberry Finn*, in British and American fiction there were several style and differences, for instance first person narrator s. Wayne Booth discussed some issues potentially to be option of the novelist in the *Rhetoric of fiction*, he argued that whether First or Third person omniscient , but choice one practically nothing:

“To decide on first-person narration settles only a part of one’s problem, perhaps the easiest part. What kind of first person? How fully characterized? How much aware of himself as narrator? How reliable? How much confined to realistic inference; how far privileged to go beyond realism. At what points shall he speak truth and at what points utter no judgment or even utter falsehood. These questions can be answered only in reference to the potentialities and necessities o f particular works, not by reference to fiction in general or the novel”. (Booth)

Booth technically diagnosed the narrative form in this Huck Finn in order to expose them of many critical issues among the American society, Huck Finn belonged to the same class of narrators, he implement the author’s thoughts regarding social issues, although tried to tell the audience or reader about their own personal history in a particular manner. “In the eighteenth and early nineteenth centuries the first-person narrator, whether author or fictional persona, often drew attention to his activity as a storyteller by addressing and implicating the reader directly” (Tristram Sandy) Steme highly ‘dramatized writer narrator’, she decisively explained and distinguished what did the personal pronounces mean: writer often used first person pronoun to draw the reader’s attentions to his purposes by

addressing the readers or audiences directly. Although its attempts to examine all the techniques of discourse of the tone or voice which used by the narrators “A third way o f organizing a first-person narration is by having the narrator claim to be the real author and not some fictitious figure, to impersonate as it were his creator”. (Fitzgerald) In case of Twain who wrote in the pronoun [I] constantly to assert the intonations of the spoken voice, it meant to address the reader or audience directly. The pronoun [you] used as rhetorical question and imperative to concentrate on the dialogues between the writer and reader. Finally [we] applied to general community, all these techniques were used by Twain in the Huckleberry Finn in order to manifest the events or cases which already happened to have witnessed or heard.

A work of such as *Huckleberry Finn* by Mark Twain was a natural employed the person who was intrersted in the relationship of spoken and written discourse, from linguistic aspect Twain preoccupation the value to place the spoken language as well as he was presenting the novel orally, he constantly presented his writing form as its orally, he wrote to his sister that “1 can’t send you my Message. It was written to be spoken—to write it so that it would read well, would be too much trouble, & I shall probably never publish it” (Berkeley 145) there were many assumptions assumed that Huck’s function was based on the way of narrative or speaking mode, Huck was profoundly employed the colloquial language more than literary writings. As Albert Stone says in The Innocent Eve, “the vernacular language. . . in Huckleberry Finn strikes the ear with the freshness o f a real boy talking out loud” (Stone Innocent Eve) Twain purposely intent to transfer the message by speaking in the wrote ones, twain’s artistic skills implemented the most sophisticated which was not possible to interchangeable speaking on writing forum, he also explained how it was

difficult to write in the vernacular mode, he wrote a note to Edward Bok explained how much difficulties he faced to capture the effects in the vernacular writings as he said “Spoken speech is one thing, written speech is quite another. Prim is the proper vehicle for the latter, but it isn’t for the former. The moment “talk” is put into print you recognize that it is not what it was when you heard it; you perceive that an immense something has disappeared from it That is its soul” (Pascal Covka) its not easy to achieve solely the spirit and animation in different technique (speech in writing) without linguistic aspect.

Methodology

To determine any artistic style, particularly in the Huckleberry Finn will precisely examine the role of the narrator Huck Finn which was beyond all the expectations: the tone or the voice was fascinating and attractive the reader’s attentions, speech in the writing forum was another technique to build strong authentication among the readers, humor was enough utilized to concentrate on the vernacular tone at his time. As a matter of fact, the pivotal elements of any book or novel the basic discussion or argument which about structure or theme not to undermine that book but for valuable information, it meant that linguistic aspect never alienated from literary works. The device of Twain to use the dialogue more than the structure narrative, readers might intuitively percept of the various tones or dialogue accents in the novel, but dialogues were ‘frequently vague and impressionistic’ for the reader’s perceptive. Lexical and syntactic were predominant in first chapter of the novel, while punctuations and spelling were accurately written as in phonology aspects.

Walter Blair compared two descriptions and analysis which shown below:

Tom Sawyer	Huck Finn
(two squirrels) “scurry along…to inspect couple of squirrels set on a limb and and to chatter at the boys”	“a jabbered at me very friendly”
“all the nature was awake and stilling, now”	“I could see the sun out one or two holes”
“long lances of sunlight pierced down Through the dense foliage far and near”	“ it was big trees all about and gloomy in there…there was freckled places on the Ground where the light sifted down through the leaves” (Blair)

My primarily purpose to examine the novel from linguistic aspects including the variations of dialogues as well as vernacular voices. Structurally *Adventure of the Huckleberry Finn* was written in fantastic style as a masterpiece of the American Literature. However, Blair made comparative studies to analysis the text; he evidently proved that there was no third-person omniscient in the novel, the brilliant and charming writing of the Victorian era was implemented by Twain to bring the interaction between linguistic with literary text, from the comparative studies between Tom Sawyer

and Huck Finn realized the charming mode of artistic works, Huck was overwhelming to use the third-person pronoun which had imposed in the novel.

My hypothesis that I was used to examine the effects of diverse linguistic in the narrative by different characters, there was no different pattern regarding to the structure of the first person narrator Huck, also there were no sophisticated in the lexical and syntactic terms , the method of impression speech of Huck was the dominant voice at the novel, indeed, beside other various dialogue of the other characters. Uniquely Twain had effected the novel of the impact of the author's conscious and feelings, obviously twain used different technique in this novel as a dialogue(it's also called pronunciation) pattern which was very distinguished in the all the American literature, " eye dialect in the fictional dialogue, employ eccentric spelling to indicate pronunciation offends some readers" (Hurst) in a manner characteristic of his unusually pattern of spelling, the used of apostrophe and nonstandard grammar. Notice how the use of eye dialect diminishes as Twain writes dialogue for a characters who are progressively more educated." (Barret 109)

Jim: "my heart wuz mos' broke bekase you wuz los' en I didn' k'yer no mo' what became er me." (Clemens 72)

Pap: "Oh, yes, this is a wonderful govment, wonderful. Why, looky here. . . . that ain't the wust. . . It was 'lection day, and I was just about to go and vote, myself, if I warm's too drunk to get there." (Clemens 26-27)

Huck: "If I get away, I sha'nt be here to prove these rapscallions ain't your uncles, and I couldn't do it if I was here." (Clemens 150)

Tom: "Wed, then, if you're bound to go, I'll tell you the way to do when you get to the village. Shut the door, and

blindfold the doctor tight and fast, and make him swear to be silent as the grave." (Clemens 216)

Duck: "My great-grandfather, eldest son o f the Duke of Bridgewater, fled to this country about the end o f the last century, to breathe the pure air o f freedom; married here, and died, leaving a son, his own father dying about the same time." (Clemens 100)

Apparently, we noted from the above conversation lines from different character that Jim used the eye dialect by using unusually pattern of spelling to draw the attention of the readers, Jim's voice was more effected on the novel, while the Huck and Duke were less sophisticate in the context of syntax measurement, Duke intentionally made consistent tendency to use long sentence with simple and accurate grammar, obviously the purpose of eye dialect was only to effect the attention, empathy and compassionate of the audience. The eye dialect aesthetic was designed by using abnormal spelling and ungrammatical structure to be widely imaginative and dramatic fictional world, the novel by any measurement could be considered as the best literary works ever written at the history of the American literature.

Interpretation of the Adventure of Huckleberry Finn

To interpret the efforts in the writing about Huck Finn who was only fourteen years old not easy task for the Twain, indeed, he had to overcome all the difficulties by using several aspects: different dialect, vernacular, colloquial and structural syntax in the literary pattern. Twain emphasized to portray various characters from different background and level of educations. The tone of the Huck Finn was audible and empathetic to touch the conscious of the audience,

Twain insisted to inform the audience about Huck Finn in the first page of the novel:

"You don't know about me without you have read a book by the name of The
Adventure of Tom Sawyer, but that ain't no matter. That book was made by Mr.
Mark Twain, and he told the truth, mainly. There was things which he stretched,
but mainly he told the truth. That is nohing. I never seen anybody but lied one time or
another, without it was Aunt Polly, or the widow, or maybe Marry. Aunt Polly-
Tom's Aunt Polly, she is-and Mary, and the widow Douglas is all told about in that
book, which is mostly a true book with some stretcher as I said before." (Clemens 1)

Evidently, Twain revealed about the main Character Huck Finn from the first paragraph to arouse the certain issues in the novel, Twain technically established the functional elements between audience, Huck and writer. Huck was not only the narrator but also the protagonist, our illustration that Twain successfully introduced Huck's background and tones, Huck deliberately selected for this role to convey the theme and the purpose of writing this novel, Huck represented the social voice in the novel because of his honesty and truth storyteller, Huck confidently revealed about himself whether the audience known him or no. Twain granted the protagonist a lot of freedom and power in order to convince the audience about certain issues which affected the social tissue and structure at his time, from the first paragraph Huck stroked the audience for only one purpose to attack and roused the conscious of the audience, he launched his speech to agitate the inner feelings and evoked the imagination of the audience.

Grammatical devastations in the first paragraph were much found throughout the novel. For instance, (“there was things”) and (“Aunt Polly… and Mary, and the widow Doughlas is”) Huck substituted ‘seen’ fir ‘saw’ instead of using past tense that he used past participle (“I have seen anybody”). Although he used (“ain’t for isn’t”), using without to substitute unless for twice at the same paragraph. Twain created for his fictional character such as uneducated and unself-conscious to communicate with his audience by the naïve and simple narrator, he also committed many grammatical error as well as syntax structure: he used (“that ain’t no matter”) instead of saying (‘it does not matter if we don’t know about Huck because we haven’t read Tom Sawyer’). The novel had apparently repetition not only in the single paragraph but throughout the novel; Huck was distinguished with less repertoire and limitation of the vocabulary. Twain manifested about Passive voice to refer to Tom Sawyer, although passive voice could refer to the negative relation with “Aunt Polly- Tom’s Aunt Polly, she is- and Mary, and the widow Douglas is all told about in that book, which is mostly a true book with some stretcher as I said before.” Certainly the novel contained with many subordinate clauses, grammatical error and syntax to expose the rhetorical speech in the written pattern.

To navigate in the linguistic pattern which used by Mark Twain’s the Adventure of Huckleberry Finn immediately associated with variation of dialogues and the theme of work, spontaneously linguistic style was used in the speech pattern which was not easy task for the writer to adapt vernacular tone in writing pattern, although the variation of character’s speech from different background and education levels. Twain had faced serious issues to adequate description of the Huck’s linguistic pattern including syntax and lexical limitations, in the chapter nine Huck and Jim fled

to the Jacklson's island, they observed the birds that where had a shelter into cave from the rain:

"We spread the blankets inside for a carpet, and eat our dinner in there. We put all the other things handy at the back of the cavern. Pretty soon it darkened up and begun to thunder and lighten; so the birds was right about it. Directly it begun to rain, and it rained like all fury, too, and I never see the wind blow so. It was one these regular summer storms. It would get so dark that it looked all blue-black outside, and lovely; and the rain would thrash along by so thick that the trees off a little ways looked dim and spider-webby; and here would come a blast of wind that would bend the trees down and turn up the pale underside o f the leaves; and then a perfect ripper of gust would follow along and set the branches to tossing their arms as if they was just wild; and next, when it was just about the bluest and blackest—fst! it was as bright as glory, and you'd have a little glimpse of tree-tops a-plunging about away off yonder in the storm, hundreds of yards further than you could see before; dark as sin again in a second, and now you'd hear the thunder let go with an awful crash, and then go rumbling, grumbling, tumbling, down the sky towards the underside of the world, like rolling empty barrels down-stairs—where it's long stairs and they bounce a good deal, you know." (Clemens 67-68)

Huck's narrative started simply and gradually shifted the audience' attentions to the storm which Huck and Jim learnt to the alarm from the birds when the culminate 'soon it darkened up and begun to thunder and lighten' to have a shelter from the intensive storm, here Huck used variation of clause structure which technically associated with literary such as "onomatopoeia, rhythm, metaphor, and alliteration." Twain deliberately wrote the passage to give the impression to the audience that Huck used more literary language with

'casual, lexical and syntax constructions.' Twain insistently described this paragraph with poetic uniqueness in order to draw the attention into vivid scenario of the nature, storm and birds. The paragraph included onomatopoeia, for instance, 'rumble, grumble, tumbling, fst, ripper.' Huck revealed many linguistic ungrammatical form as well as ellipses: Huck said "We put all the other things handy at the back of the cavern." Handy here meant the explicit phrase to be "where they would be handy", he used "fst" to mean forest which indicated the colloquial language used by Huck. He also manipulated the symbolic syntax in order to cover the verbal sophistications as the main narrator in this novel, obviously the novel was exposed several grammatical pattern such as complex, compound complex to implicit the sophistication of language by using vernacular or verbal speech to manifest of the social challenges regarding racism, segregation and equality for American Society.

Conclusion

Sociolinguistic domain remained vital and interacted with language, race, culture and other social issues. Sociolinguistic factors which I had examined in the Adventure of Huckleberry Finn to expose the unique and artistic talent of Mark Twain, Twain adequately assimilated the vernacular or Verbal in the writing pattern. I traced this literary work from linguistic perspective to determine the main purpose of Twain to evoke the social issues at his time, Adventure of Huckleberry Finn implied on linguistic sophisticated by adapting the narrative's dialogues to bring

the audience attention for peculiar issues regarding Slavery and equality.

Sociolinguistic devise was successfully associated with affected of the characters, literary language which used by Twain was not adequate in the context of linguistic aspect. However, Adventure of Huckleberry Finn considered as the American literary masterpiece in the 19th century, it designed by Twain to address the conscious of the people or society. Twain magically described the crucial issues with mode of the narrative who influenced to show that the inaccurate syntax and lexical structure.

Twain employed distinguished technique by adapting the local voice or tone in the writing style, using onomatopoeia, alliteration and although the ellipses of the syllables. Adventure of Huckleberry Finn remained the clue writing pattern throughout the history.

Bibliography

Baker, Paul. Sociolinguistics and Corpus Linguistics. Edenburgh: Edenburgh University PressLtd, 2010.

Barret, Jeanelle. Dialect, Stereotype, and Humor. USA: bELL& hOELL INFORMATION AND LEARNING COMPANY, 2000.

Berkeley, Henry Nash Smith. "Mark Twain of the Enterprise." University of California Press (1957): 145.

Blair, Walter. Mark Twain &Hock Finn. USA: University of Califoria Press, 1960.

Booth, Wayne. Rhetoric of Fiction. Chicago: University Chicago Press, 1961.

Brashear, Minnie M. Mark Twain Son of Missouri. USA: University of North Carolina Press,, 1934.

Brooks, Van Mych. Ordeal of the Mark Twain. New York: Summon & Schuster, 1920.

Bruce, Robert. Cliffs Notes on Twain's the Adventure of the Hucleberry Finn. USA: Bruce Robert, 2000.

Charles, Neider. The Autobiography of Mark Twain. USA: Harper&Row, 1975.

Clemens, Samuel Langboroe. Adventure of Huckleberry Finn. New York: Norton & co, 1979.
CLINES, RAYMOND H. A DESCRIPTIVE ANALYSIS OF DIALOGUE AND INNER SPEECH. USA: UNIVERSITY OF RHODE ISLAND, 1988.
Duranti, Alessandro. Linguistic Anthropology. UK: Cambridge University Press, 1997.
Fitzgerald, F. Scott. The Great Gatsby. UK: Wsworth Editions Ltd, 1993.
G.Robinson, Forest. Mark Twain. USA: Cambridge University Press, 1995.
Hogeland, Ronald W. Women and Womanhood in America. USA: Lexington, Mass, 1973.
Hurst, Mary Jane. The Voice of the Child in American Literature. USA: University press of Kentucky, 1990.
Hymes, Dell. Reinventing Anthrolopology. USA: Pantheon Books, 1972.
June, Sochen. Herstory. USA: Alfred , 1974.
Kachru, Braj B. The Alchemy of English. New York: Pergamon Press, 1990.
Kenneth, Andrews. Nook Farm: Mark Twain's Hartford. USA: Harvard University Press,, 1950.
Matthew M. Hurley, Daniel C. Dennett and Reginald B. Adam, jr. Use the Humor to Reverse-Engineer the Mind. England: MIT Press, 2011.
Maugham, William Somerset. Cakes and Ale. USA: Doubleday, Doran & Company, 1930.
Pascal Covka, Jr. Letters. USA: Southwest, 1960.
Petersen, Svend. Mark Twain and the Government. Idaho, USA: Caxton Printers, 1960.
R.Sewell, David. Darieties of Language in the Writing of Mark Twain. USA: University Microfilms International, 1984.
Raskin, Victor. international Journal of Humor research. USA: international Journal of Humor research, 1988.

Richard, Chase. The American Novel and Its Tradition. USA: Doubleday and Company, 1957.

ROARK, JARROD. BENEATH MARK TWAIN: JUSTICE AND GENDER IN. Kansas City, Missouri: ProQuest LLC, 2013.

Stem, Laurence. Tristram Sandy. Boston: Houghton Mifflin Co., 1965.

Stone, Albert E. Innocent Eyes. New York: Archon Books, 1970.

—. The Innocent Eye:Childhood in Mark Twain's imagination . USA: Archon Book, 1970.

THORESON, TRYGVE RICHARD. WOMEN IN THE WRITINGS OF MARK TWAIN. Illinois, USA: Xerox University Microfilms , Ann Arbor, Michigan , 1976.

Wardhaugh, Ronald. An Introduction to Sociolinguistics. UK: BlackWell Publisher Ltd, 2010.

Wecter, Dixon. Mark Twain to Mrs. Fairbanks. San Marino, USA: Huntington Library, 1949.

—. Sam Clemens of Hannibal. usa: (Boston:, 1961.

—. The Love Letters of Mark Twain. New York: Harper & Brothers Publishers, 1947.

سيمياءُ القصيدة

الحزنُ علامةٌ شعريةٌ دالّةٌ

ا.م. د. فيصل صالح القصيري
معهد الفنون الجميلة
المديرية العامة لتربية نينوى
Assistant Prof. Dr.. Faisal Saleh Al-Qasiri
Institute of Fine Arts
Directorate General of Education/ Nineveh

ملخّص البحث

السيمياء مفهوم واسع وشامل ومتعدد ومتطور بحيث يؤلف عالما قائما بذاته، ويشتغل عالم السيمياء - بمنظوماته النظريّة والاصطلاحيّة والمفهوميّة – بالدرجة الأولى على عنصر اللغة وخصوصيتها التعبيريّة وحمولتها الدلاليّة، وحين يدخل فضاء القصيدة يتحوّل إلى حامل علامي ثريّ يغني القصيدة ويسهم في تطوير بنيتها ورؤيتها معاً. وتعدّ علامة الحزن إحدى أهمّ العلامات السيميائية في الشعرية العربية القديمة والحديثة.

الشاعر محمد مردان أحد أبرز الشعراء المعاصرين الذين تفاعلوا شعريا مع موضوع الحزن بوصفها دالاً سيميائيا أصيلا، إذ استطاع أن يوظف طاقة الحزن توظيفياً شعرياً لافتاً لعين القراءة على مستوى الصورة واللغة والفاعلية الشعرية العامة والخاصة، من خلال تجربة ثرة لها حزنها الخاص الذي يتوفر على نكهة خاصة ومزاج خاص ووعي نوعي خاص، وغالباً ما ارتبطت علامة الحزن عنده بمشروع الحب الذي هيمن هيمنة تكاد تكون مطلقة على شعرية دواوينه كلها، وثمة علاقة وطيدة بين الحب والحزن في

الجوهر العميق للعلامة الشعرية التي يسعى الشاعر محمد مردان على نحو خاص إلى إنتاجها.

أما الشاعر عيسى الشيخ حسن يحول الحزن المتشظي في أعماقه، وفي واقعه، إلى حالة شعرية خاصة عبر لغة منزاحة تتسم مفرداتها بالأناقة، وتراكيبها بغنى المعطيات الجمالية والدلالية والإيقاعية. ولعل عناية الشاعر بلغته تعبر عن وعيه بأهمية السياق اللغوي في أنتاج شعرية التجربة، وذلك لما يمثله هذا السياق في عملية الخلق الإبداعي، فهو مصدر الرئيس لاستمرار البث الشعري. وإذا كانت اللغة تستجيب لرؤى وهواجس ومكابدات الشاعر، فتنقلها من مكامنها المستترة إلى فضاء الكتابة والرحب، فإنها تستجيب على نحو أفضل لتجربة الحزن بصفها تجربة نفسية –وجدانية ذات بعد أنساني، وتمثل على نحو ما فلسفة حياة بطريقة شعرية.

Abstract

Semantics is an immense and comprehensive concept with its multiple and developed functions. It constitutes a world of its own. The semantologist is working with his theoretical and conceptual systems, and he is primarily concerned with the element of language, its expressive specificity and its semantic load, and when this element enters the space of the poem, it becomes a rich material carrier that enriches the poem and contributes to the development of its structure and vision together. The sign of sadness is one of the most important signs of semiotics in ancient and modern Arabic poetics.

The poet, Mohammad Mardan, is one of the most prominent modern poets who have interacted poetically with the theme of grief as an authentic signifier. as he was able to employ the energy of grief by employing poetry, pointing to the eye of reading at the level of image, language, specific and general poetic effectiveness, through a rich

experienceand a special temperament and special awareness. His sadness was often associated with the love project, which absolutely dominated almost the poetics of all his writings. There is a strong relationship between love and sorrow in the deep essence of the poetic sign that poet Mohammed Mardan seeks in particular to produce.

The poet Issa Sheikh Hassan transforms the splintering sadness in his depths and reality, into a specific poetic state, especially through the language of displacement which is characterized by its elegance, and its structures rich in aesthetic, semantic and rhythmic data. Perhaps the attention of the poet in his language expresses his awareness of the importance of the linguistic context in the production of the poetics of experience, because of the representation of this context in the process of creative creation, it is the major source for the transmission of poetry. If the language responds to the poet's perceptions, concerns and preoccupations, then moves them from hidden sources to the extensive space of writing, they respond better to the experience of grief as a psychological-emotional experience with a human dimension. It resembles somehow a poetic philosophy of life.

مدخل: في مفهوم السيمياء

مفهوم السيمياء واسع وشامل ومتعدد ومتطور بحيث يؤلف عالما قائما بذاته، ويشتغل عالم السيمياء - بمنظوماته النظريّة والاصطلاحيّة والمفهوميّة – بالدرجة الأولى على عنصر اللغة وخصوصيتها التعبيريّة وحمولتها الدلاليّة، إذ إنّ ((نظام اللغة هو المركز المحور في الحقل السيميولوجي))(١) الذي يستنطق البعد العلامي الجوهري في هذا النظام ويستكشفه ويشغّله، في إطار دلالي رمزي يدعم فكرة التصور اللغوي للدوال

في وضعها المفرد وفي وضعها السياقي داخل المنظومة النصية. وعلى الرغم من ((أن السيمياء تنطلق من الشكل، في فهم الإنسان، ولا تطمح إلى أكثر من وصف الوجود))(٢)، إلا أنها بعملها هذا تصل إلى جوهر النظام اللغوي في قدرته على التعبير وإنتاجه للمعنى النوعي المخصوص، ولاسيما حين يتصل الأمر بالأدب في أجناسه المختلفة وأنواعه المتعددة، فقد انشغلت السيميائية التي قاربت النصوص الأدبية خاصةً بدراسة الأدب ونظمه وتشكيلاته ووسائل التعبير الخاصة بالنص الأدبي وتجلياته العلامية اللسانية في مقاربات جديدة مُنتِجة(٣).

من هذا المنطق وعلى هذا المستوى يمكننا القول إن الدراسات السيميائية للنص الأدبي تتميز بحرصها الشديد على فهم العلامة الأدبية وتجلياتها ورؤياتها، في مستوى العلاقة الجدلية بين النص الأدبي والمجالات الثقافية الاخرى(٤)، على النحو الذي يتحول فيه النص الأدبي إلى حضانة فكرية شعورية للجمال الثقافي الذي تولد فيه تجربة الأديب وتتشكّل وتنمو نصياً وقرائياً في آنٍ معاً، فلا بدّ من وجود علاقة وطيدة بين النص والقارىء من أجل إيجاد قاعدة مشتركة للفهم والتحليل والرؤية، يمكن من خلالها التوصل إلى إدراك قيمة العلامة السيميائية في منطقها الدلالي النابع من عمق تجربة النص.

بمعنى أن الفضاء السيميائي للدراسة النقدية يتحرّك في منطقة القراءة من أجل كشف أعمق لحيوية النص الأدبي وجوهر عمله، إذ ((إن المنهج السيميائي يعطي دوراً رئيساً للقارئ/الناقد، فالقارئ السيميائي قارئ نوعي ومتميز على الأصعدة كافة، له القدرة على تفسير الرموز التي يتلقاها في ضوء الرموز التي اكتسبها، أي أنه يفك الرموز التي يتلقاها في ضوء الرموز التي يمتلكها في ذهنه، وليس شرطاً أن يكون تحليله مطابقاً لرموز الكاتب))(٥)، لأن قراءته هي حصيلة ثقافته ورؤيته المختلفة بطبيعة الحال عن ثقافة ورؤية الكاتب، كما أن تجربته تختلف أيضاً عن تجربة الكاتب.

الصورة المنهجية التي يجري معاينة النص من خلالها في ضوء المنهج السيميائي تتركز أكثر في المنطقة الإجرائية التطبيقية، على أساس ((إن الإجراء المنهجي هو عبارة عن تفاعل معرفي مع المقروء))(٦)، يسهم في إنتاج نظام قرائي يكشف عن دواخل النص الأدبي بحسب قراءة القارئ الناقد، عبر نوع من الجدل القرائي بين ثقافة الكاتب وثقافة النص وثقافة القارئ الناقد، داخل عملية تفاعلية على أعلى مستوى، وهي لا تتوقف عند حد معين يشعر القارىء فيه بالكفاية الدلالية في فهم النص، بل

تمضي في تعدد القراءة حتى يشعر القارىء بحالة من الإشباع القرائي يمكنه فيها إدراك كل التجليات السيميائية لدوال النص.

تنهض الفعالية القرائية للقارئ الناقد على متابعة حركة الدوال وتجلياتها في النص، لاستكناه المدلولات والقضايا والقيم والثيمات، والوصول إلى قيمة العلامة وفاعليتها وجوهرها في النص والأثر الدلالي الذي تحدث فيه(٧)، على النحو الذي ينتج نوعاً متفرداً من القراءة يسهم في بعث حياة جديدة للنص المقروء، فالكشف المستمر عن علامية الدوال داخل النص يعدّ بمثابة منح حياة جديدة له في سياق قرائي يسهم في إعادة ولادة النص.

تتم دراسة النص الأدبي على هذا الصعيد من داخله (طبقاته وجيوبه وظلاله ومستوياته التعبيرية) من خلال تحديد ميكانزماته وفعالياتها في توجيه الخطاب وتأسيسه(٨)، إذ إن الخطاب الأدبي يتكون من خلال تفاعل النص مع القارئ بحيث ينتج قراءة فاعلة لها محصلات واضحة في ميدان القراءة .

إن الدراسات السيميائية التي تناولت الخطاب الأدبي عبر هذا الفهمِ المنهجي الحديث أسهمت في إثراء النص، و ((قدمت هذه الأبعاد منهجاً للفهم الدلالي للنص من منظور سيميائي، وعملت بوصفها آليات لتحليل البنى المكونة للخطاب النصي))(٩)، وكشفت الأبعاد العلامية المولفة لشفرات النص من خلال هذا الجسر القرائي الذي يستجيب فيه النص لتدخلات القارئ عبر حضور مفهوم الخطاب.

يكشف المستوى السيميائي للقراءة النقدية بوضوح ودقة وعمق عن العبقرية الهندسية للشاعر، وقدرته على خلق أدوات للفكر تزيد رهافة ونفاذاً من يوم لاخر انطلاقاً من حدود التجربة الشعرية نفسها، فالشاعر يتحرك – من دون أن يدرك – في نظام من العلاقات والعلامات والتحولات، ولا يتلقى أو يطارد منها إلا هذا التأثير العفوي الخاص الذي يفصل بحالة معينة من عملياته الحميمية(١٠)، على النحو الذي يجسد رؤيته وحساسيته وأسلوبيته في التعبير والتصوير والتدليل ضمن فعالية متبادلة في الفهم والإدراك.

يعيش الحدث الشعري عند الشاعر مخاضاً وتجربة ورؤية، ويختلط عنده الحلم بالوعي، والخيال بالواقع، واللامرئي بالمرئي، فتستحيل عنده اللغة لعباً بالكلمات فيتحرر الدال من ضغط المدلول، في تشكيل عفوي يرمي إلى تمثيل عالم قيد البناء

وتنقلب الكلمات إلى شفرة جمالية(١١)، يكون بوسعها التعبير عن حساسية هذا الحدث النوعي في تشكيله وتعبيره وقدرته على التواصل مع مجتمع القراءة والتلقي.

كثافة الدالّ وسيمياء الرؤيا:

سيمياء القصيدة العربية الحديثة لا تقف عند حدّ في تلوّنها على صعيد كثافة الدال وسيمياء الرؤيا، ويمكن النظر في هذا السياق إلى سيمياء الحزن في الشعر العربي ومنذ أقدم عصوره بوصفه علامة شعرية مميزة وأساسية وجوهرية تشير إلى طبيعة الانكسار النفسي والوجداني للإنسان العربي، في ظل واقع بائس وإشكالي أفرز بنى سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية هشة ومتخلفة وملتبسة، حرضت الشاعر العربي على مرّ العصور على التوغل العميق في فلسفة هذه الظاهرة، والسعي للتعبير عن جوهرها برؤية شعرية كانت علامة سيميائية على كثافة هذه التجربة وضرورتها، وتكشفها عن قيمة عاطفية وإنسانية وغنائية عالية ومتجددة تعمّق الدلالة مثلما تثري اللغة والصورة والإيقاع في سياق تخصيب التشكيل الشعري على مختلف المستويات.

وكان على الشاعر في هذا المضمار أن يحول حزنه إلى مادة شعرية شديدة الخصوبة والفعالية والتأثير، فلا يكتفي بما تمنحه حالة الحزن على مستوى الموضوع الشعري بآلياته الوجدانية والعاطفية والانفعالية المجرّدة ذات الطبيعة الوصفية، بل يغوص في فلسفة التجربة ويتعامل مع فكرة الحزن على أنها فكرة فلسفية عامة تتحول إلى رؤية شعرية داخل حاضنة التشكيل الشعري، وتحرّض الشاعر على تمثيل الفكرة شعريا وتحويلها إلى صورة قادرة على تطوير آلية الفعل الشعري حتى يتحول من موضوع خارجي عام إلى موضوع شعري داخلي خاص، يصبح علامة شعرية بارزة في تجربة الشاعر.

الشاعر محمد مردان أحد أبرز الشعراء المعاصرين الذين تفاعلوا شعريا مع موضوع الحزن بوصفها دالاً سيميائيا أصيلا، إذ استطاع أن يوظف طاقة الحزن توظيفياً شعرياً لافتاً لعين القراءة على مستوى الصورة واللغة والفاعلية الشعرية العامة والخاصة، من خلال تجربة ثرة لها حزنها الخاص الذي يتوفر على نكهة خاصة ومزاج خاص ووعي نوعي خاص، وغالباً ما ارتبطت علامة الحزن عنده بمشروع الحب الذي هيمن هيمنة تكاد تكون مطلقة على شعرية دواوينه كلها، وثمة علاقة وطيدة بين الحب والحزن في الجوهر العميق للعلامة الشعرية التي يسعى الشاعر محمد مردان على نحو خاص إلى إنتاجها.

في أعماله الشعرية الكاملة نجد نماذج شعرية لا حصر لها لهذا التوظيف، ترسم صورة هذه العلامة الشعرية بوصفها عنصراً أصيلاً من عناصر تجربته الشعرية، وليست مجرد عاطفة عابرة وزائلة، على النحو الذي لا يمكن فيه فهم مستويات التجربة الشعرية عنده دون النظر المعمق في حزنه الشعري، فأول ما يطالعنا قوله:

يا نافذة

الفرح الجذلان

أنا وحدي

مستودع أحزان العالم (١٢)

إنه على وفق هذه الرؤية إذن حزن رومانسي فردي بدلالة ((أنا وحدي))، وهو بذلك يلغي أي فرصة للفرح الشخصي الذي يمكن أن يتجلى في حاضرة الذات، لكن الشاعر ما يلبث أن يتجاوز حزنه الخاص إلى الحزن العام الشامل ((أحزان العالم))، ليؤكد لنا أن الشاعر ليس متفرجاً على حالة الحزن وإنما هو حامل شعلتها ومفجرها، وهو الصورة البؤرية التي تنتهي إليها مصائر البشر في هذا الكون جميعاً.

أنها تشكل استناداً إلى قيمة هذا التصور مصيراً وملاذاً ورؤية وفلسفة متجذرة في صميم التجربة، وحاوية لمساراتها ومرجعياتها وإحالاتها ورؤيتها، إذ يحقق الراوي الذاتي الشعري في حواريته الندائية مع ((نافذة الفرح الجذلان)) جدلاً ومفارقة بين الذات والاخر، الداخل والخارج، الأنا والعالم.

في قصيدة ((حالة نزيف حاد))(١٣) وهي قصيدة تنطوي على حكاية شعرية نلمح فيها هاجس الأسى بوضوح، ولاسيما عبر عتبة العنونة وسيميائيتها المعبرة عن تجربة يتحدث العنوان فيها عن جوهر الحال الشعري بأسلوب عالي التكثيف والبلاغة، من خلال الوضع اللساني لمفردات العنونة وهي تتجه نحو الاختزال الإسمي ذي الإيقاع المأساوي المثقل بالإيحاء الذي يتموضع في باطن الحكاية وجوهرها:

الحزن قدّاس الفقير..

حين يجوع

هنا يتخذ الحزن طابعاً رومانسياً مقدساً لدى الفقراء الجائعين الذين يبحثون عن مصير في تجربتهم القاسية، فهو خبزهم وقداسهم لأنهم لا يملكون سواه، وهو يتحول من لحظة إلى ممارسة ذات طابع ديني مؤسطر ترتفع بالعلامة الشعرية إلى مستوى تعبيري تزدحم فيه الدلالة وتتفجر وتتعالى نحو شعرية خاصة.

ويرتبط الحزن بالمطر في قصيدة ((من ينفخ في الصور))(١٤)، مستلهماً فيه كل العلاقات العلامية التناصية مع الديني والشعري والأسطوري، ضمن رؤية شعرية تسعى إلى جمع كل الممكنات الشعرية المتاحة لضخ التجربة الشعرية بقيمة سيميائية ذات زخم تعبيري وتشكيلي عالي المستوى، تتقاطع فيه الرؤى والقيم والأفكار:

اسأل البحار عن

أي نزيف يولد الهجير

ينشج المطر

فكلاهما نزيف، إلا أن الأول داخلي إنساني، والثاني خارجي طبيعي، في حركية انفتاح حر على الطبيعة وهي تتمثل عناصرها المتنوعة ((البحار/الهجير/المطر))، في تشكيل شعري حزني يحيل على حزن السياب ومطره.

ويقرن الشاعر حزنه بحزن الخنساء التي تحولت إلى رمز حزنيّ في الشعرية العربية ضارب في علامته ودلالته ومعناه، عبر مونولوج داخلي يخاطب فيها ذاته الشعرية المأزومة وهي تجرب الفاعل الشعري الحزني بقوته السيميائية المستمدة من وحي الشاعرة العربية الخنساء، وهي توقف شعرها كله لصالح حزنها:

أو تدري أيّ حزن أنطق الخنساء شعراً

أشعل الحرائق- الطاعون في مملكة الحرف

أباح الوجع النابت في سفر وجوه

أدمنتْ دربَ الرحيل

طاقة الحزن هنا هي مصدر شعر الخنساء مثلما هي مصدر شعر محمد مردان، حزن مدمر في ظاهرهِ، ومبدع خلاق في جوهرهِ، والشاعر في كثير من أمثلته التي تشتغل على الحزن يفيد من التجربة الشعرية للشاعر الرائد بدر شاكر السياب، فهو شاعر رائد على صعيد تجربة الشعرية العربية الحديثة ورائد في مجال شعرنة الحزن، ولكنّ الشاعر مردان يتفاعل مع شعرية السياب هذه بطريقة ذكية تجعل فضاء الحزن فضاء خاصاً به وحده، إلا أن تمثل تجربة السياب والخنساء وشعراء الحزن الاخرين تشكل حافزاً شعرياً علامياً على تخصيب التجربة وتكثيف رؤيتها، سعياً وراء ضخ التعبير الشعري بأكبر طاقة ممكنة على التأثير والفعل في منطقة التلقي.

وفي قصيدة ((في حضرة امرئ القيس))(١٥) يستعيد الشاعر حزن امرئ القيس والخنساء ويوسف وجمهور المتصوفة وشكسبير، تمهيداً لاستدعاء كل أحزان العالم إلى مائدة حزنه، حزن ينبع من الدين والأسطوره والواقع والتجربة الشخصية والفضاء والذاكرة والحلم والزمن والمكان والتاريخ والطبيعة:

آه ((بنلوب)) تدور بي الطرقات

يجلسنا جب الأحزان

أترجم ما في الرمل

وأكظم غيضي

لكني منشطر أصطاد وصايا الريح

وأعقر للأمنيات شجوتي

ويضيف في آخر القصيدة على شكل خلاصة تتكثف فيها تجربة القصيدة لتقدم مقولتها التي تزاوج بين معاناة الذات الشاعرة ومعاناة الطبيعة:

قيامي يجلو حزن النخل..

وحزني

هكذا هو إذ يعي الشاعر حقيقة أن قيامه يفضي إلى حال جديدة يتلاشى معها الحزن، والطريف أنه قدم حزن النخل على حزنه، لأن النخل رمز وطني كبير يستحق مثل

هذا التقديم لأهميته، فضلاً على رمزيته التاريخية والدينية والثقافية التي يجتهد الشاعر هنا في أنسنتها وشخصنتها الاستعارية .

في قصيدة ((هكذا تكلم المطر))(١٦) يجوب الشاعر مرة أخرى في أروقة الماضي باحثاً عن مصادر حزنه التي غارت في الأشياء وتلاقحت مع الأحزان الكونية لكبار الشعراء الحزانى الذين عرفتهم البشرية وتقبّلت تجاربهم الخصبة الناضجة، من خلال أسلوب الرفض والإدانة ضد نماذج سلبية عاشت في الماضي وواصلت حضورها في الحاضر عبر صور سلبية معاصره، ترسم حساسية الحال الشعرية من خلال الأسماء فقط وهي تتجلى بكل طاقاته السيميائية في الإحالة على التاريخ والدين والأسطورة والفكرة والثقافة:

لا يا قابيل

لا يا ابن الأيهم

لا يا أخوة يوسف

وفي قصيدة ((الدماء تنادم بعضها))(١٧) ينبع الحزن ربما من الجفاف العاطفي الذي تعانيه الأنا الشاعرة ، على النحو الذي تُختزل فيه التجربة اختزالاً مرعباً في عتبة العنوان حيث لا يتبقى منها سوى الدماء، وهي تتأنسن إلى الدرجة التي تتمكن فيها من منادمة بعضها في إشارة إلى عبور منطقة الحزن:

ولأني مثل سهيلِ

غادره العشبُ

فقد توّجت فصولي

وغادرت محطاتي

وفي قصيدة مقطعية بعنوان ((طفولة))(١٨) يتدفّق الحزن من مصدرين هما النهر وأنا الشاعر، فكلاهما ذو طفولة حزينة، والنهر هنا صديق الشاعر الذي يشترك معه في الإحساس بالحزن نتيجة لضياع الطفولة، إذ تتمّ استعادة الصور والأحلام والرؤى الطفولية عبر المكان والزمن، من أجل استثارة الذاكرة المشحونة بطاقة حزن أبدي لتقارب الراهن الشعري للشاعر وتحكي أزمته في تجربة الحزن العاطفية، وتنتمي هذه

العلاقة السائلة بين النهر وأنا الشاعر إلى منجم الطفولة الشعري الذي يغذّي كليهما بالعاطفة والرؤيا:

استوقفني النهر طويلاً

قال:

تكلّم عن نشأتك الأولى

لكني حين هممتُ

بكى النهر طفولته

وبكيتُ

فطفولة الإنسان تساوي طفولة النهر، وتتماهى معها عبر علاقة جدلية بين الإنسان والمكان الحيوي-النهر-المؤنسن، أساسية هذا التبادل الحميم لعاطفة الحزن، وحالة البكاء المهيمنة على لحظة التذكّر الشعري تحيط النهر بعلامته المائية المقترنة بالدمع أحاطه بالغة الحساسية في تثوير شعرية اللغة، وضخّها بشبكة عميقة من الدلالات التي تحكي سيرة الشاعر/الطفل وهو يستعيد صورة غافية في أحضان العاطفة.

في قصيدة ((ثلاث حالات للشجر))(١٩) نجد حزناً من نوع آخر وهو حزن الحروف بوصفها علامات خطيّة معبّرة عن أصوات ومشاهد وصور وأشكال، تلك التي تشكّل لغات الشاعر بوصفها جسوراً تفضي إلى الاخر وتحاول إقامة حوار معه، للوصول إلى معادل عاطفي وروحي يخصّب التجربة ويثريها:

مبتسماً

أغرز في القلب

حروفي

وأشيع مراراً في الحزن

لغاتي

وأقول

obeikandl.com

لأمّي هزّي

جذع النخلة

إني آنس ناراً

فلعلّ أبي عاد

بصيراً

إن ثنائية الأم التي تنتظر(الثمرة)، والأب الذي ينتظر عودة البصر إلى عينيه تنتج حزناً يحكي قصة مزدوجة مستعادة وموظفّة من قصص القران الكريم، لتحظى تجربة الانا الشعرية هنا بأكبر قدر ممكن من تمثيل تجربة الحزن في علاماتها الدينية والأسطورية والتاريخية، وبكلّ ما تنطوي عليه من حضور وقوّة في التدليل والتصوير والسرد، إذ إن القصتين اللتين تتناص معهما تجربة القصيدة ((قصة مريم وقصة يوسف)) تحفلان بتجربة حزن عميقة ذات دلالات متشظيّة، على صعيد كل قصة من جهة، وعلى صعيد تمثيل التجربتين معاً في سياق واحد من جهة أخرى، بما يضيف طاقة وزخماً ورؤية تصعد بالتجربة إلى أعلى مستوياتها، كي تتجلّى لغةً وصورةً وإيقاعاً في تشكيل شعري متعالٍ.

بهذا يحقق الشاعر محمد مردان تجربة شعرية تنطلق من علامة الحزن الغائرة في أعماق التاريخ والأسطورة والرمز والتجربة والخصوصية الفردية البارزة، من خلال قدرته على احتواء فكرة الحزن بوصفها ممولا شعريا فذا تجاوز الحالة العاطفية الوجدانية في نموذجها الانفعالي المجرد، وانفتح على بعد سيميائي خصب استقطب كل ما تنطوي عليه تجربة الحزن من قيمة ومعنى ودلالة وحوّلها إلى كلام شعري عميق.

في قصيدة ((يوميات))(٢٠) يسعى الشاعر إلى أسطرة حزنه وتحويله إلى حالةٍ تضارع الطبيعة في حضورها ووجودها وهيمنتها:

وماذا لو لم يهطل المطر

ففي ذاكرتي

قارت باذخة منك

تعصمني

من كلّ السنوات العجاف

التي لم تاتِ

حتى السفن تغرق في حزني

فلتترجّل عن تلك الوجبات التي

تقطتها الموقد

والتركض فيك الطرقات'حافية

حدّ الهذيان

إن عبارة ((حتى السفن تغرق في حزني)) إنما تثير في المشهد الشعري حساسية الأسطرة التي يتحول حزن الشاعر فيها إلى بحار، ولا شك في أن هذه المائية التي يلحّ عليها الشاعر في مقاربة تشكيله الحزني الشعري، تحيل على مصادر عديدة في التاريخ والأسطورة والدين والعاطفة والمكان، وتسعى من خلالها إلى أن تؤكد مائية الحزن وسيولته وحركيته وديموته وطراوته وقدرته على بعث الحياة أيضاً.

إذا ما عدنا عودة محورية إلى أولى قصائد الشاعر العشقية ولاسيما قصيدة ((ملامح من العشق الذي لا ينتهي)) في ديوانه ((دوائر التكوين))، حيث بدأنا مقاربتنا النقدية منها لاكتشافنا أن الشاعر ينهي قصيدته بخطاب يوجهه إلى الحبيبة التي ما تنفك تتردد في طول تجربته الشعرية وعرضها، مستعرضة هيمنتها على كل شئ فيه ذاكرة وحاضرا ومستقبلا، وهي تتماهى مع حزنه وقد تحوّل إلى معادل موضوعي ونفسي وعاطفي وعلامي لتجربة الحب، إذ تنتهي هذه القصيدة وهي تعبّر عن عشق لا ينتهي يتردّد على شكل ملامح قارّة كما تتجلّى في عتبة العنوان (ملامح من العشق الذي لا ينتهي)، عبر مقاربة سرد - شعرية يتألق فيها الزمن والمكان والرؤية على النحو الاتي:

من أجلكِ

جبتُ بحاراً لم تركب

وزرعت عيوناً لم تغمض في كلّ المنعطفات

رابطتُ سنيناً

أرقب ثغر محطات

الكون،

مطارات المعمورة صارت

تعرفني

أفنيتُ

العمر الفاني

بوابات المسقى منفى

تسكنني

أتسكّع

تحت الأسوار

لكني

أسقط محروماً من فرط الإعياء

محروماً

من قطرة عشق

تحرقني ناري

وهجير صحاري

obeikandl.com

تتوسدني

قبل التكوين

وأموت

بداءِ الحبّ

شهيداً

لعلّ علامة الحرمان التي تتجلّى في كل صوت وحرف وخط وعبارة وصورة ومشهد وحالة ولقطة وإشارة وعلامة ، في هذا الحفل اللغوي المترامي المنتشر على مساحة بياض باذخة وحرّة ومنفتحة على المدى ، الذي يجسّد تجربة العشق المردانية المقرونة دائماً بتجربة الحزن ، تنتهي منذ البدء وحتى الخاتمة بصورة حاشدة ومكتظّة تقطّر حزناً وأسىً ولوعة ((وأموت/بداء الحبّ/شهيداً)).

إذ إن الموت شهيداً بداء الحب يتوفر على علامة سيميائية تحكي قصة حزن بالغ العمق والخصب والحيوية، فتحوّل الحب إلى داء في مدوّنة القصيدة يحيل على الإصرار القاتل مع عدم الوصال بحيث يتحول إلى مرض، بدل أن يكون أنموذجاً للسعادة واللذّة والبهجة والفرح كما هي حال الحب دائماً.

وهنا تندرج تجربة محمد مردان الشعرية في مجال العلامة السيميائية للحزن ضمن الفضاء العام لتجربة الشعراء العرب العذريين، الذي تحفل معاني تجربته بصورهم وأطروحتهم و مقولتهم العاطفية وهي تجري هذا المجرى.

أن تجربة الحزن المردانية بمعطاها السيميائي الجدلي العميق تعدّ واحدة من أنضج تجارب المدوّنة الشعرية للشاعر محمد مردان ، وربما لا يمكن فهم تجربته على نحو مثالي وصحيح من دون استيعاب طاقة الحزن الكبيرة والمثمرة والخصبة في هذه التجربة ، وعلى مستوياتها المتنوعة والمتعددة كافة.

ولا تتوقف هذه التجربة عند حدود البكاء والدموع والنجوى والتشيؤ والضياع واللاجدوى بمعانيها المجردة الظاهرة، بل هي تتدخّل في عمق التجربة الشعرية العامة، وهي على هذا المستوى مفتاح أصيل وحيوي وجمالي من مفاتيحها، إذ ترتبط بتجربة الحب والعشق والحرمان والولع على نحو عميق ومتجدّر، تتصدّر فيه أبرز

مستويات التجربة الشعرية المردانية، وتوغل في المعنى والدلالة والعلامة والقيمة بحيث تشكّل ثقلاً تشكيلياً وتعبيرياً مركزياً وأساسياً في أعماله الشعرية.

تشظّيات الحزن الشعري: الإيقاع والدلالة

يحول الشاعر عيسى الشيخ حسن الحزن المتشظي في أعماقه، وفي واقعه، إلى حالة شعرية خاصة عبر لغة منزاحة تتسم مفرداتها بالأناقة، وتراكيبها بغنى المعطيات الجمالية والدلالية والإيقاعية. ولعل عناية الشاعر بلغته تعبر عن وعيه بأهمية السياق اللغوي في أنتاج شعرية التجربة، وذلك لما يمثله هذا السياق في عملية الخلق الإبداعي، فهو مصدر الرئيس لاستمرار البث الشعري. وإذا كانت اللغة تستجيب لرؤى وهواجس ومكابدات الشاعر، فتنقلها من مكامنها المستترة إلى فضاء الكتابة والرحب، فإنها تستجيب على نحو أفضل لتجربة الحزن بصفها تجربة نفسية –وجدانية ذات بعد أنساني، وتمثل على نحو ما فلسفة حياة بطريقة شعرية .

و ((أناشيد مبللة بالحزن))(٢١) وهي تجربة كتابة شعرية من طراز خاص، أراد لها الشاعر أن تصل إلى القارئ/المتلقي عبر قناة النشيد/الأغنية لتنقل إليه هذه الفلسفة "بلغة بسطة لاتسرف في أوهام الاكتشاف، بل تنطوي على دلالات واضحة تكشف بها عن إرهاصات الروح".

وهذه الـ "أناشيد" تحمل إيقاع التجربة القائمة على الإنشاد، ويشير النعت (مبللة)+ الجار والمجرور(بالحزن) إلى البنية المائية للحزن، ولا عجب فقد أرتبط الحزن بالمطرأو الماء في الشعر الصيني القديم .((ولاسيما تلك القصائد التي تتبدى بها الطبيعة من خلال المشاعر الذاتية التي تنضج بالحزن))(٢٢). وقصائد(كاثاي) الصينية أفضل مثال لذالك، كما أقترن المطر بالحزن في قصائد الشاعرة الإنجليزية (ايدت ستويل) وبخاصة قصيدتها الشهيرة "مازال يهطل المطر" التي تأثر بها السياب(٢٣)، وظهر ذالك التأقر جلياً في قصيدته الطويلة "أنشودة المطر"، ويقول خالد علي مصطفى "إن (المطر) في شعر السياب يوحي بوصفه دالاً رمزيا على الحزن" وجميعنا نتذكر قوله في أنشودة المطر:

أتعلمين أيُ حزن يبعث المطر؟

وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر؟

بعد ذلك وجد الشعراء في هذه العلاقة القوية التي تجمع بين المطر والحزن وما تبعثه من ايقاعات ودلالات مادة شعرية فيها خصوبة كبيرة .

الشاعر أحمد شوقي يزيح – مثلاً – يتساءل بأسىً واضح "فلماذا إذن لايبلل عيني نفس الحنين الذي بللك؟ إذاً فالعنوان" أناشيد مبللة بالحزن " لم يأت من فراغ ، وإنما هو تعالق نصي تواصل وأحياء لطقوس القصيدة العربية التي تقيم مباهجها وتوقد مصابيحها على ضفاف نهر الحزن، وتحتفي بالمطر، وتفتح أفقاً من الضحكات:

ستمطر/

أعرف اه

بأن الطولة أفق من الضحكات

تشق السماء بثلج الغمام

ستمطر

تمطر ررفاً من الحنطة المشتهاة

ويتواصل الشاعر في بث حزنه إلى قرائه في القصيدة عبر لغة تتسم بالسرد، وتضج بالحركة التي تؤديها الجمل الفعلية، كما يمكن ملاحظة بروز ضمير المتكلم مما يدل على اختمام الشاعر بـ (أناه) بوصفها مركز الذات:

تناسلت من حزن أمي

وقت اقرؤوني

جثوت على مكتبات الرصيف

وسطرت عيني فوق الرخام

أبيت على دمعكم نجمة / نجمة

openkandil.com

اشد وثاق الحروف لأطلق حزني

قصيا يطوف براري الكلام

وفي قصيدة أخرى بعنوان "أغنية حزينة" تتخذ الدموع شكل غيمة حبلى بالحزن على الزمن الجميل التي تمثله (لحظة هاربة)، وبين الحضور والغياب تمكن الفجوة التي تحقق للنص شعريته الخاصة:

كلما أيقظ العاشقون دمي

غبت فيها / وأسرجت أحلامي المتعبة

كلما صادفوني وحيداً

تغيم دموعي وتمطر / حزناً على

لحظة غائبة

ولا يكتفي الحزن باجتياح ذات الشاعر، بل يتسرب إلى الخارج ويقيم علاقة دافئة مع أشيائه، وأقربها إلى نفسه، وأكثرها خصوصية "دفتره" الشعري:

دفتر الشاعر المرتدي حزنه

يتغذى على نشوة الذاكرة

وهنا تلعب الذاكرة دوراً بالغ الأهمية بوصفها وعاءً للتجارب الماضية بكل ما تنطوي عليه من ذكريات ومكابدات، ينمحي مرها، ويبقى الحلو منها عالقا في ذاكرة الشاعر، وبالتالي فهي أحد مصادر تجربته، وتنتهي القصيدة/الأغنية وقد وصلت جذوتها إلى مرحلة الانطفاء والتلاشي، مما يجعلها أقرب إلى أن تكون مرثية للذات:

والذي جاء بعد انطفاء الأغاني

على لحظة هاربة

وقد تهادى وشاحاً من الصفرة

المرعبة

obeikandl.com

كي تمر على جبهة شاحبة

وتحمل قصيدة "فصل في القصيدة" صور أخرى لحزن آخر يبدأ من "على شاطئ الليل"، فالمكان (شاطئ) والزمان (الليل) يتماهيان من أجل خلق مناخ صالح لاحتضان دموع القصيدة، القصيدة التي تعمل على فكرة تقديم كل ما يسعد الآخرين، ويشيع جواً من الألفة والدفء:

على شاطئ الليل تبكي القصيدة

تعد عشاءً لكل الجياع

تقدم ورداً لحزن اليتامى

وفاكهةً لانتظار الجنود

ونـاراً لمن يسهرون على صوتها

إلى دفئها المستريب

فالأفعال المشحونة بالحركة "تبكي، تعد، تقدم" ذات طبيعة إنسانية تنقل القصيدة من محض الة لإنتاج الدموع، ولإعداد العشاء، ولتقديم الورود إلى كائن حي ينفعل ويتفاعل مع الحالات الإنسانية. وتستمر القصيدة بالتدفق لغةً وصوراً ورؤىً نفضي إلى بلاغات شعرية غاية في الإندهاش:

ترى الشعراء سكارى

يخرون مثل الفراش

ويشوونَ أيامهم بالتذكر

يعودون مثل الخيول إليها

وترقص.. وترقص

إلى اخر المدة الالفة

فالقصيدة تقدم نفسها بوصفها معشوقة من طراز خاص، والشعراء هم عشاقها الأزليون، كلما ابتعدوا عنها قليلاً وجدوا أنفسهم أكثر اشتياقاً وانشداداً إليها، فهي في نهاية الأمر ملاذهم وقدرهم الجميل، وكلما تعبوا من التسكع والتشرد واجترار الماضي وعادوا إلى حضنها الدافئ. ويعود الشاعر إلى تأكيد مركزية الذات من خلال العودة إلى (أناه) الفاعلة، محاولاً هذه المرة لملمة شظايا روحه ، ومعلناً احتراقه الشعري الجميل:

ألملم روحي

أذوب كشمع الماء الحزين

وارشف قهوتها الرائعة

أنا الماء والخبز للمتعبين

وصالك موتي

وفيك السبيل إلى النشوة الماتعة

كما ترى تنطوي القصيدة على غنائية عالية توفرها موسيقا المتقارب (فعولن) والقوافي المتنوعة الجميلة، والجمل الشعرية القصيرة، وطبيعة اللغة الموحية، وأناقة مفرداتها، ولجوء الشاعر إلى ابتكار صور المموسقة ويكتشف المقطع الأخير من قصيدة ليكون بمثابة ضربة ختام بلغة تعتمد على أكثر من صيغة آمرة:

دعيني أمر

هبيني قليلاً قيلاً

من التمر والأغنياتِ الجديدة

ربيعاً لحبر الكتابة

وناراً تضئ دروب المساء

عسانيَ أجعل من نشوةِ

الحرف قوسَ ربابة

obeikandl.com

فارمي له كل هذا النشيد

نذورَ غناءْ

إن هوس الشاعر بالإنشاد والغناء جعل لغته تمتاز بالرقة والأناقة وحلاوة الجرس وجمال الأداء، ومفردات نحو "الأغنيات الجديدة، حبر الكتابة، نشوة الحرف، النشيد، نذور غناء" جميعها تنتقل إلى حقل دلالي واحد يصعد بالتعبير إلى ذرى النشيد/الأغنية التي يسعى الشاعر إلى تكريس قوانينها الكتابية.

وفي قصيدة"الانتظار والحزن" يبقى الحزن والغناء عنصرين أساسين في بناء القصيدة/النشيد/ وتتناسل الأحزان من أوجاع الشاعر ومن احتراق دمِهِ في الزمان الصعب التي تبرز فيه القصيدة ملاذاً:

في زمان الصعب نستدعي القصيدة

ونغني ليلةً في العمر موالاً لها

ليتها تشرق في البال كأحزان جديدة

وأنا المشدود كالبشرى إليها

علَّها تبدو لهيباً

تضرمُ الجمرَ بأهداب الحروفِ

ثم تأتي

فذةً ، مجنونةً ، مدهشةً

حلوةً ، تبقي خريفي

ناصعاً كالمشمش الغافي على صدر الشجرْ

ثم تبدو

وردةً حمراء في كفِ الحجرْ

هكذا تبدو القصيدة حين تفخر طينها نار الحزن، تشوي حروفها بجمر أليف، فتكتسب عدداً من الأحوال والصفات التي تؤكد حضورها الفاعل في الزمن الصعب من جهة، وتكشف عن مفرداتها وتميزها من جهة أخرى، "فذة، مجنونة، مدهشة، حلوة، وردة حمراء".

أوليس الشعر حالة أبداعية فذة عابرة للمألوف وخارقة للعادة؟

أوليس الشعر قرين الجنون؟ ولكن قراءة أخرى قد تكون في "الاتجاه المعاكس" فهذه الصفات والأحوال تضر بالقصيدة بوصفها فنا عالي التكثيف، وأخيراً فهي زيادة لا تحقق أية معطيات جمالية أو دلالية، وما على الشاعر إلا أن يحاول في كتابة شعرية جديدة تجنب الزيادات النحوية غير الضرورية بوصفها بثوراً أو طفحاً لغوياً منفراً.

وفي المقطع اللاحق تتواصل رحلة الألم والحزن على صهوة النشيد، وتستمر لغة المجازات في تأسيس فضاء القصيدة التي تسعى هذه المرة إلى كتابة السيرة الجماعية للمحزونين الذين يحاولون خلق حالة فرح تتقاطع مع أحزانهم وأوجاعهم ومراثيهم:

كانت الرحلة تشتد علينا

ثم كنا

نلق الوردَ على اهاتنا

نلتمُ في الوقتِ ونعدو في النشيد

نستبيح الحزن أحياناً

وكنا

نرفع السيرة في كوخ الضمير

ساعة انهارت لدى الرؤيا ضحاها

النبي ادخل السجنَ

وكنا

نرتدي أسمالنا

نرتدي حلماً يغني

للفضاءِ الأولِ المحموم

للوقت المدير

ثم كنا

نكسب السيرة أفراحاً ونجري

ثم نستفتي المراثي في القياماتِ الجديدة

هذه هي أذن سيرة القصيدة/سيرة الفرح الجماعي المقاوم، ولكن سرعان ما تتشابك الخيوط وتتدخل الحدود ، فثمة إشكالية يثيرها الارتداد السيري إلى " أحزان القصيدة " + " جثة الوقت" + "أحزان الأميرة ":

ونشد الخيطَ إلينا

ثم نعدو

ثم نعدو

ثم نعقد

آخر الخيطِ بأحزان القصيدة

ثم كنا

نصلح الخيط على مهل/ ونمضي

في احتمالات العشيرة

وإذا ما جئت مكتوفاً

فغطوا جثة الوقت بأحزان الأميرة

ويستمر طوفان الحزن وحصار الموت ضد القصيدة التي تمثلها "رؤيا النبي" في إشارة إلى (قصة يوسف) وتجربة السجن التي كابدها، مما يعني أن الشاعر يلجأ أحياناً

إلى إثراء تجربته الشعرية وتخصيبها بأنواع من الإفادات والتناصات، ومنها هذا التناص الديني الذي يشكل ظاهرة أسلوبية لافته في الشعر العربي الحديث .

ولكن حزن الشاعر لم يكن ليمثل حالة جدب أو جفاف وإنما هو حزن منتج ، هو نشيد الإنسان الخالد الذي ينمهر كأنه المطر ((بإيقاعات يقارب بها صوت الشاعر أصوات وأشياء العالم))(٢٤) كاشفاً عن مأساة الإنسان المعاصر الذي يريد أن يغني أو يتكلم أو حتماً يصرخ احتجاجا على عبثية الموت وعدوانية الريح التي تتحول إلى بئر للعتمة والإخفاء:

أعشبت فينا المراحل

ذات ليل ، ذات حزن ، ذات غربه

هطلت أحزاننا أغنيةً

في شتاءٍ دامعٍ لامست غربه

أيقنَ العازف أن الريح تخفي صوته

فيها ، وأن الموت لعبة

وتحمل قصيدة "المريد" عدداً من الإشارات التي تحيل على فضاء الصوفي الذي ينضج بالرؤى الكاشفة للكون الشعري من خلال عملية اتصال بين الصوفي (المعلم) والصوفي (المريد) الذي يتلقى وصايا معلمه:

وقال لي معلمي:

(وعندما تكن غارقاً بماء الحال يا بني

عليك أن تطل من بعيد

كي تمتلك الرؤيا غداً في القادم الجديد)

وقالَ لي:

(إن مرت الرؤيا عليك في ثيابٍ عاشقٍ

obeikandi.com

يهيم في الشعاب والجبال

فادعُ له بالعشق يستزد

فإنه ما جاس في كؤوسها

إلا بقايا ادمع المريد)

إن مصطلح "قصيدة الرؤيا" ينطبق على هذه القصيدة المشبعة بالحس الصوفي، وهي –بالتأكيد- رؤيا جوانية مشحونة ((بفعل ذالك بالحدس، وقوة الحلم، وطاقة الشعر: تلك الطاقة الفياضة الخالقة التي تتجاوز سطح المرئيات، وكياناتها الحسية ،لتنغمرَ وإياها في عملية خلق بارعة شديدة الرهبة والجمال))(٢٥).

والرؤيا هنا لا تعني بالوصف الخارجي وإنما هي ((فعل اكتشاف وكشف للذات، فعل احتواء تعبيري للإنساني العام))(٢٦).

وجو القصيدة لا يخلو من حزن شفيف ، ولكنه حزن خاص بالصوفي العاشق الذي يملأ كؤوس الرؤيا ببقايا أدمعه وقصيدة "الغريب" تفتح أمام القارئ "باباً من الوجد و الذكريات".

وتجتهد " في رسم أنثى / تلون حزن الليالي الكئيبة" وهكذا تستعير الكتابة الشعرية الجديدة أدوات وتقانات الفن التشكيلي (الرسم) من أجل خلق صورة جديدة للحزن تبدو أكثر شفافية وإدهاشاً. وتحمل القصيدة نوعاً من المفارقة يضاعف الطاقة الشعرية للقصيدة ، ويكثف حسها الدرامي:

ترفرف روح الغريب على دفتر من حطام

فيصحو من الحلم طفلاً كبيراً

ويرسم حيرته القاهرة

ينام على دكةٍ من تعبْ

يجفف أحزانه العابرة

ويدنو إليها كأم وأبْ

فالمفارقة هنا تكمن في الصفة والموصوف "طفلاً كبيراً"، وفي الفعلين المتضادين "يصحو/ينام". وإذا عاينا هذا المقطع بلاغياً سنجد قوة حضور الاستعارة في بناء لغة القصيدة، إذ إن "عصافير من دهشة ورخام" و "قميصاً من الأغنيات الحنون" و "دفتر من حطام" و"دكة من تعب" كلها تعبر عن قدرة عالية يمتلكها الشاعر في بنية لغتهِ الشعرية.

هوامش البحث:

(١) السيميائية المفهوم والأفق، شلواي عمار، ضمن كتاب: السيمياء والنص الأدبي (محاضرات الملتقى الوطني الأول)، منشورات جامعة محمد خضير بسكرة، ٢٠٠٠: ١٨.
(٢) السيميائية المفهوم والأفق:٢١.
(٣) مساهمة في التعريف بالسيميائية، قريش بن علي، مجلة الحياة الثقافية، العدد٣٦ – ٣٧، تونس، ١٩٨٥: ١٩٣.
(٤) السيميائية: مفاهيم اتجاهات، أبعاد، إبراهيم صدفة ، ضمن كتاب: السيمياء والنص الأدبي : ٨٦.
(٥) المقاربة السيميائية في قراءة النص الأدبي، يوسف الأطرش، ضمن كتاب: السيمياء والنص الأدبي :١٤٨.
(٦) المقاربة السيميائية في قراءة النص الأدبي، يوسف الأطرش:١٤٦.
(٧) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، دراسة سيميائية، محمد سالم سعد الله، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الموصل،٣: ١٩٩٩.
(٨) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، دراسة سيميائية:٧٩.
(٩) البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليش، ترجمة محمد العمري، منشورات دار سات سال، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٩: ٤١.
(١٠) المقاربة السيميائية للنص الأدبي، عبد الجليل منقور: ٦٤.
(١١) علم الإشارة ، بيير جيرو: ١٨.
(١٢) الأعمال الشعرية، محمد مردان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٩: ١٨.
(١٣) الأعمال الكاملة: ٢٩ .
(١٤) الأعمال الكاملة: ٥٩ .
(١٥) الأعمال الكاملة:٩٧ .
(١٦) الأعمال الكاملة:١٠٠ .
(١٧) الأعمال الكاملة:١٠٣ .
(١٨) الأعمال الكاملة:١٠٨ .
(١٩) الأعمال الكاملة:١٢٢ .
(٢٠) عيسى الشيخ حسن، أناشيد مبللة بالحزن، دار الجندي، دمشق، ١٩٩٨.
(٢١) أناشيد مبللة بالحزن: ٦٠ – ٦١.
(٢٢) خالد علي مصطفى، السياب والشعر الصيني، جريدة (الأديب) العدد (٨٩) سبتمبر، ٢٠٠٥: ٦ – ٧.
(٢٣) عبد الواحد لؤلؤة، النفخ في الرماد، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والأعلام، ١٨٢: ١٩٨٥.
(٢٤) أناشيد مبللة بالحزن: ٦٠ – ٦١ .
(٢٥) علي جعفر العلاق، في حداثة النص الشعري (دراسة نقدية)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٥: ١٩٩٠.
(٢٦) وجيه فانوس، محاولات في الشعري والجمالي (دراسات في قضايا النقد الأدبي)، اتحاد الكتّاب اللبنانيين، ١٩٩٥: ٩٥.

أثر معنى حرف الجر (من) في تفسير البقاعي المسمى "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"

The Impact of the Preposition(من)in the Al-Biqa'ie's Interpretation Named "Nudhumud-Durarfi Tanasubil-Aayatiwa's-Suwar"

م.د. سعد محمد أحمد
جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية
قسم اللغة العربية
Dr. Sa'ad Muhammed Ahmed
University of Mosul/Collage of Basic Education

الملخص

تعد حروف الجر من المواضيع المهمة في النحو العربي، لذا تناول هذا البحث هذا الحرف من حروف الجر، فبدأ بذكر المقدمة ثم تناول التمهيد وذكر فيها ترجمة البقاعي وأهمية الكتاب ثم الحديث عن حروف الجروالتضمين ثم تناول المبحث الأول معاني حرف الجر (من) في العربية والمبحث الثاني ذكر فيه معاني (من) في تفسير نظم الدرر وبذلك قسم البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وذكر في الخاتمة أهم ما استخلص البحث من نتائج.

Abstract

Prepositions are considered one of the important subject in the Arabic grammar. This research deals with the preposition (من), starting with the introduction and the preface in wich the researcher is talking about the intrerpretationof Al-Biqa'ie and the importance of his book, and then about prepositions and implication.

openkanar.com

The first section of the research deals with the meanings of prepositions, while the second section focusses on the meanings of the preposition (من) in the interpretation of Al-Biqa'ie. Finally, the conclusion shows what the researcher found out in his research.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد:

فإنّ القرآن الكريم في إعجاز مستمر، وعجائب لاتنقضي ولاسيما نظمه الذي حير الألباب ذلك النظم الذي تتواشج فيه المفردات أسماء وأفعالا وحروفا وتتظاهر الفنون فيه لغةً ونحواً وصرفاً وبلاغةً ليقف العبد مستسلماً لما قضى به الله تعالى.

ولحروف المعاني أهمية كبيرة في توضيح المعنى وبيانه، إذ قال المرادي (ت ٧٤٩ هـ)" فإنه لما كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبينا أكثرها على معاني حروفه، صرفت الهمم إلى تحصيلها ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قلتها وتيسر الوقوف على جملتها قد كثر دورها، وبعد غورها، فعزت على الأذهان معانيها وأبت الإذعان إلا لمن يعانيها"(١).

والبحث النحوي في أثر حرف الجر(من) عند البقاعي في تفسيره "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"لم يشبع دراسة فيما نعلم وله أهمية كبيرة في الكشف عن كيفية تأثير معنى هذا الحرف في توجيه تفسير الآيات الكريمة، إذ نجده يعطي معنى فريداً في توجيه معنى الحرف (من) في كثير من الآيات مما يجعله تفسيراً مهماً جداً للدراسات النحوية في بيان أثر معنى حرف الجر (من) في القرآن الكريم.

والمنهج الذي اتبعه البحث هو جرد كل (من) وظفها البقاعي في تفسيره والتقديم له بتمهيد مقتضب للحديث عن عدد مواضع وروده في القرآن الكريم ومعانيه عند النحويين، ثم معانيه عند البقاعي، ثم الحديث عن كل معنى من تلك المعاني الواردة عنده بشيء من التفصيل، وعدد ورود (من) التي وظفها البقاعي في تفسيره مثبتا في

جدول لهذا الغرض. فخرج البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وكان في التمهيد ترجمة البقاعي وأهمية للكتاب ثم الحديث عن حروف الجر ثم التضمين والقائلين فيه والمبحث الأول في معاني حرف الجر (من) في العربية والمبحث الثاني معاني (من) في تفسير نظم الدرر ثم خاتمة تبين أهم ما توصل البحث إليه من نتائج.

وفي الختام أتوجه إلى الله تعالى بالحمد والشكر على نعمه التي لا تحصى، فلولا منه وجوده لما استوى هذا البحث.

التمهيد

ترجمة البقاعي وأهمية الكتاب

هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بضم الراء ابن علي بن أبي بكر برهان الدين وكنى نفسه بأبي الحسن الخرباوي البقاعي، وهو مؤرخ ومفسر وأديب أصله من البقاع في سورية ولد في سنة ٨٠٩هـ في قرية خربة روحا، وتوفي سنة ٨٨٥هـ ودفن بالحمرية خارج دمشق وكان فقيراً معدماً ورحل إلى دمشق ثم تركها وذهب إلى بيت المقدس ثم إلى القاهرة وله عدة مؤلفات منها عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران، وعنوان العنوان وأسواق الشواق والباحة في علمي الحساب والمساحة وأخبار الجلاد في فتح البلاد وله ديوان شعر سماه أشعار الواعي بأشعار البقاعي ومن كتبه المشهورة تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بدأ بتفسيره في بغداد وأكمله في القاهرة وبقى في تفسيره أربعة عشر سنة وفرغ منه قبل وفاته بسنة[٢]، وقيل في حق الكتاب:"هو مؤلف لم يسبق إليه أحد جمع فيه من أسرار القرآن العظيم ما تتحير منه العقول"[٣].

حروف الجر:

اصطلح البصريون عليها (حروف الجر) لأنها تجر ما بعدها من الأسماء[٤]، ويسميها الكوفيون (حروف الإضافة وحروف الصفات) لأنها تضيف الفعل إلى الاسم، والاسم إلى الاسم أي: تربط بينهما، ولأنها تحدث صفة في الاسم من الظرفية وغيرها. وقيل: لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات[٥]. هذه الحروف تعمل الجر، وعملت لأنها مختصّة والحرف متى كان مختصًّا ولم يكن جزءاً من الكلمة كان عاملاً. و حروف الجر على قسمين، القسم الأوّل: ما استعملته العرب حرفاً فقط، ولم يشرك في لفظه الاسم ولا الفعل مع الحرف، وهو على ضربين:

الضرب الأوّل: يعمل الجر وهو لازم له وهي: من، وإلى، وفي، والباء، واللام، وربَّ[٦].

الضرب الثاني: غير لازم لعمل الجر وهي: حتى، وواو القسم وتاؤه.

والقسم الثاني: ما استعمل تارة حرفاً وتارة أخرى غير حرف، وهو على ضربين:

الضرب الأوّل: ما يكون حرفاً واسماً، وهو خمسة أحرف: على، وعن، والكاف، ومنذ، ومذ.

الضرب الثاني: ما يكون حرفاً وفعلاً، وهو ثلاثة أحرف: حاشا، وعدا، و خلا [٧].

وهناك ثلاثة أحرف شاذة في عمل الجر، وهي: (متى) في لغة هذيل، وهي عندهم بمعنى (من) الابتدائية، و(لعل) في لغة عقيل، و(كي) ولا تجر إلا ثلاثة، (ما) الاستفهامية، و(أنْ) المصدرية [٨]، و(ما) المصدرية [٩].

وفي هذا البحث ذُكِرَ الحرف (من) وهو من الحروف التي لم يُختلف في حرفيتها. وقبل البدء بالحديث عن معاني حرف الجر (من) لابد من أن نذكر مذاهب العلماء في التضمين ليكون تمهيداً لدراسة تلك المعاني.

التضمين:

التضمين لغة: "ضَمَّنَ الشيءَ الشيءَ: أوْدَعَهُ إيَّاهُ، كما تُودِعُ الوعاءَ المتاعَ والمَيِّت القبرَ"[١٠]. وأمَّا في الاصطلاح فقال ابن هشام (ت٧٦١هـ): "قد يشربون لفظا معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويسمّى ذلك تضميناً" [١١]. ومعناه أن تؤدي الكلمة مؤدَّى كلمتين[١٢]، وهو باب واسع من أبواب العربية يعمل على توسيع مدلولاتها [١٣].

للعلماء في التضمين مذهبان:

الأوَّل: مذهب البصريّين، وعندهم لا ينوب حرف عن حرف بقياس، فإن ورد ما يوهم ذلك فهو عندهم إمَّا أن يكون مؤولاً كما في قوله تعالى: **(ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ)** (طه: ٧١)، أي: لتمكّن المصلوب في الجذع بالحال فيه[١٤]، أو يكون على تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدّى بذلك الحرف، كقول أبي ذؤيب الهذلي[١٥]:

شَرِبْنَ بِمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيْجُ

جعل ابن هشام الفعل (شربن) ضُمِّن معنى (روين)[١٦] أو تنوب الكلمة عن كلمة أخرى شذوذاً[١٧]، وقال ابن جنّي: "اعلم أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان

أحدهما يتعدّى بحرف والآخر بآخر، فإنَّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنَّ هذا الفعل في معنى ذلك الفعل الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه، وذلك كقول الله عزّ وجلّ: (أحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٧) وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنَّما تقول رفثت بها أو معها، لكنَّه لمَّا كان الرفث هنا في معنى الإفضاء وكنت تعدّي أفضيت بـ (إلى) كقولك: أفضيت إلى المرأة، جِئْت بـ(إلى) مع الرفث إيذاناً وإشعاراً أنَّه بمعناه"[١٨].

ثانياً: وهو أن ينوب حرف عن حرف قياساً وتوسّعوا في النيابة حتى أصبح للحرف أكثر من معنى وعليه أكثر الكوفيين والمتأخرين [١٩] وأوضح الهروي أن حرف الجر قد ينوب عن حرف جر آخر وذلك موجود في القرآن والشعر [٢٠].

وأوضح ابن جنّي التناوب في حروف الجرّ بأنَّ الحرف لا يكون بموضع حرفٍ آخر اعتباطاً وإنما حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له[٢١].

المبحث الأول

معاني حرف الجر (من) في العربية

ولها عند النحاة عدة معانٍ وهي: ابتداء الغاية، والتبعيض، وبيان الجنس، والتعليل، والبدل، والمجاوزة، والانتهاء، والغاية، والاستعلاء، والفصل، وبمعنى الباء، وبمعنى في، وبمعنى رب، وللقسم، والزائدة للتوكيد، ولم يورد البقاعي أغلب هذه المعاني وانما اكتفى بذكر المعنى الرئيس لهذا الحرف وهو معنى ابتداء الغاية وإذا ذُكِرَ معنى آخر رجعه إلى ابتداء الغاية أيضاً.

أولاً: ابتداء الغاية

وهو المعنى الأول لـ(من) عند النحاة، وتفيد ابتداء الغاية في الأماكن باتفاق[٢٢]، قال سيبويه (ت ١٨٠هـ):"وأمّا (مِنْ) فتكون لابتداء الغاية في الأماكن، وذلك قولك: من مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا"[٢٣]. وكذا فيما نزل منزلة المكان، نحو: من فلان إلى فلان، وأجاز الكوفيون استعمالها في الزمان[٢٤]، وحجتهم في ذلك قوله تعالى:(لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمسْجِدٌ أُسِّس عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ

رِجَالٌ يُحِبُّون أن يَتَطَهَّروا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)(التوبة: ١٠٨)، وحكى الأخفش (ت ٢١٥هـ) قول العرب: من الآن إلى غد[٢٥]. وصححه ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) لكثرة شواهده، وجعلها لابتداء الغاية مطلقاً، نحو: قرأت من أول سورة البقرة إلى آخرها [٢٦]، وذكر ابن يعيش أنّ ابتداء الغاية لا يفارقه في جميع ضروبها[٢٧].

ثانياً: التبعيض

أثبته سيبويه من المتقدمين، وقال:"وتكون أيضاً للتبعيض، تقول: هذا من الثوب، وهذا منهم، كأنك قلت: بعضه"[٢٨].إلاّ أنّ المبرد (ت ٢٨٥هـ) جعل معنى الابتداء هو الأصل مع صحة مجيئها للتبعيض إلا أنها لا تنفك عن معنى الابتداء، إذ قال:"أما (من) فمعناها ابتداء الغاية وتكون للتبعيض وتكون زائدة ... وأما التي للتبعيض فنحو قولك: أخذت مال زيد، فيقع هذا الكلام على الجميع، فإن قلت: أخذت من ماله، وأكلت من طعامه أو لبست من ثيابه، دلت (من) على البعض[٢٩]".وكذلك ابن السراج أثبت هذا المعنى لـ (من) [٣٠]، وكذلك ذهب عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ه) إلى أنها تأتي للتبعيض في نحو: أخذت من الدراهم. إلاّ أنها لا تنفك عن المعنى الأصل وهو الابتداء[٣١]، وهو المعنى الثاني لـ (من) عند المرادي، وعلامتها صحة إحلال بعض محلها[٣٢] وذهب إلى مثل هذا ابن يعيش[٣٣].

ثالثاً: بيان الجنس

هو المعنى الثالث لـ (من) عند المرادي [٣٤]، ومعنى التبيين: الإيضاح [٣٥]، وهذا يعني أن هناك إبهاما في التركيب، فيحتاج إلى تبيين وإيضاح فيؤتى بـ(من)، ولذلك جعلها الفراء تفسيرا لـ(من وما) المبهمتين في الشرط والصلة وذلك في قوله تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا)(النساء: ١٢٤)[٣٦]، وبين المرادي أنّ علامتها صحة حلول الاسم الموصول (الذي) محلها [٣٧]،ففي قوله تعالى: (ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) (الحج: ٣٠) يكون المعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن. وذكرها الرماني (ت ٣٨٤هـ) إذ قال: "وتكون للجنس، وذلك نحو قولك: هذا ثوب من خز" [٣٨] وأنكره أبو حيان الأندلس (ت ٧٤٥هـ) وقال: "وبيان الجنس وكونها لهذا المعنى مشهور في كتب العربين ويخرجون عليه مواضع من القرآن، وقال به جماعة من القدماء والمتأخرين منهم النحاس، وابن بابشاذ، وعبد الدائم القيرواني، وابن مضاء، وأنكر ذلك أكثر أصحابنا" [٣٩].

رابعاً: التعليل

ذكر هذا المعنى ابن مالك والمرادي ومثلا له بقوله تعالى: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)(البقرة: ١٩)، أي لأجل الصواعق [٤٠]، وقد رجعها الرضي إلى ابتداء الغاية ففي نحو: لم آتك من سوء أدبك، أي: من أجله، قال:"وكأنها ابتدائية، لأن ترك الاتيان حصل من سوء الأدب"[٤١].

خامساً: البدل

ذكر هذا المعنى المرادي، ومثل له بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) (التوبة: ٣٨)، والمعنى بدل الاخرة وكقول الراجز:

وجارية لم تأكل المرققا ولم تذق من البقول الفستقا

أي: بدل البقول[٤٢]. وقال أبو حيان: وإثبات البدلية لـ (من) فيه خلاف أصحابنا ينكرونه، وغيرهم قد أثبته، وزعم أنها يأتي بمعنى البدل"[٤٣].

سادساً: المجاوزة

ذكر هذا المعنى سيبويه، إذ قال: "وقد تقع (من) موقعها أيضا تقول: أطعمه من جوع وكساه من عري وسقاه من العيمة" [٤٤]. ونسب الرماني القول إلى الكوفيين[٤٥]، وأوضح ابن مالك أنها تأتي للمجاوزة ولذلك تأتي مع أفعل التفضيل، نحو: زيد أفضل من عمرو، كأنه قال: جاوز زيد عمرا في الفضل[٤٦].

سابعاً: بمعنى الباء

مجيئها بمعنى الباء منسوب إلى الكوفيين[٤٧]، ونسبه الأخفش إلى يونس بن حبيب [٤٨] وذلك كقوله تعالى: (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ) (الشورى ٤٥).

ثامناً: بمعنى على

وجعلها الأخفش بمعنى (على) في قوله تعالى: (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) (الأنبياء: ٧٧)، أي: على القوم [٤٩]،

وجاراه الطبري (ت ٣١٠هـ) فجعل منه أحد أوجه قوله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(المائدة: ٣٣)، بمعنى: على خلاف [٥٠]، ونسب القرطبي (ت ٦٧١هـ) هذا الوجه إلى أبي عبيدة (ت ٢١٠هـ) [٥١]، وحمل عليه أبو حيان بعض المواضع الأخرى[٥٢].

تاسعاً: الزائدة

ولـ(من) الزائدة حالتان:

١. لتوكيد الاستغراق، وهي التي تدخل على كل نكرة مختصة بالنفي نحو: ما قام من أحد، وتفيد التوكيد [٥٣].
٢. لاستغراق الجنس، وهي التي تدخل على كل نكرة غير مختصة بالنفي، نحو: ما في الدار من رجل وفائدتها التنصيص على العموم، لأن (ما في الدار رجل) محتمل لنفي الجنس عموماً ومحتمل لنفي واحد من هذا الجنس [٥٤]، وقد أورد ابن يعيش شروطاً لزيادتها ونسبه إلى سيبويه وهي أن تكون مع نكرة عامة منفية أو يسبقها شبه نفي وهو النفي أو الاستفهام[٥٥]. وأجاز الكوفيون زيادتها في المثبت بشرط أن يكون المجرور بها نكرة واستدلوا بقول العرب: (قد كان من مطر) [٥٦]، والبصرية تأباه [٥٧]. وذهب الأخفش إلى زيادتها بلا شرط [٥٨].

المبحث الثاني

معاني (من) في تفسير نظم الدرر

ذهب البقاعي إلى أنّ (من) تكون لابتداء الغاية، وأنّ جميع المعاني الأخرى التي ذكرها النحاة ترجع إلى ابتداء الغاية عنده، وأجاز مجيء معنى التبعيض لـ(من) إلاّ أنه قرنه مع معنى ابتداء الغاية، أي: إنه لا ينفك التبعيض عن ابتداء الغاية، وبذلك فإنّ لـ(من) معنيين هما: ابتداء الغاية والتبعيض. وهنا أود أن أبين أنّ البقاعي لم يذكر معنى (من) في جميع مواضعها في القرآن الكريم، وإنما ركّز على المواضع التي ذكر النحاة أنها ليست لابتداء الغاية، ونصّ على أنها لابتداء الغاية وشرح كيفية ذلك في تفسيره وكذلك التي للتبعيض.

أولاً: ابتداء الغاية

١- جدول آيات ابتداء الغاية

الرقم	الآية	السورة	الرقم
١-	(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)	البقرة	٢٢٢
٢-	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ)	التوبة	٣٨
٣-	(أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً)	الكهف	١٠٢
٤-	(وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ)	الأنبياء	٧٧
٥-	(وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ)	الأنبياء	٩٧
٦-	(ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)	الحج	٣٠
٧-	(وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ)	النمل	٢٤
٨-	(أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ)	ص	٨
٩-	(فَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)	الزمر	٢٢
١٠-	(وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ)	الشورى	٤٥
١١-	(وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلاَئِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ)	الزخرف	٦٠
١٢-	(إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)	الحجرات	٤
١٣-	(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ)	الحديد	١٣
١٤-	(لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)	المجادلة	١٧

١٥-	(تَنَزَّلُ الْمَلآئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ)	القدر	٤
١٦-	(الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)	قريش	٤

١-١٢

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ) (الحجرات: ٤). أورد البقاعي أنّ معنى (من) في هذه الآية الكريمة هو ابتداء الغاية، إذ قال: "والمعنى: مبتدئين النداء من جهة تكون الحجرات فيها بينك وبينهم فتكون موازية لك منهم ولهم منك" [٥٩].

ذهب مذهب من سبقه من المفسرين في أنها لابتداء الغاية هنا حيث سبقه الزمخشري وعدد من المفسرين في أنها لابتداء الغاية [٦٠]، وجعلها البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) لابتداء الغاية أيضاً، إذ قال: "(من) ابتدائية، فإنّ المناداة نشأت من جهة الولاء، وفائدتها الدلالة على أنّ المنادى داخل الحجرة، إذ لابد وأن يختلف المبتدأ والمنتهى" [٦١].

ويظهر مما سبق دقة تصوير البقاعي لمعنى الآية الكريمة بحيث يكون مبتدأ ومنطلق النداء من الجهة التي تكون الحجرات بين المنادي والمنادى، أي: موازية للمنادي من المنادى وموازية للمنادى من المنادي.

٦-١

قال تعالى: (ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِّ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) (الحج: ٣٠).

بيّن البقاعي أنّ (من) لابتداء الغاية، وقال: "الذي ابتداؤه من الأوثان، لأن الرجس جامع الأوثان وغيرها" [٦٢].

ومذهب أكثر العلماء [٦٣] في (من) هذه أنها لبيان الجنس، إذ ذكرها الفراء (ت ٢٠٩هـ) والأخفش حيث قال الأخير: "المعنى: اجتنبوا الرجس الذي يكون منها" [٦٤]، إلاّ أنّ أبا جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) نسب إلى الأخفش أنها للتبعيض في هذه الآية[٦٥]، والصواب أنّ الأخفش لم يذكر أنها للتبعيض، وإنما قدّر المعنى بـ(الذي) ومعروف عند النحاة أنّ (من) التي لبيان الجنس يصح وضع (الذي) موضعها، وهذا ما قدّره الأخفش رحمه الله.

ويظهر مما سبق أنّ البقاعي لم يجار كثيراً ممن سبقه من العلماء في معنى (من) هنا، وإنما رجعها إلى ابتداء الغاية كعادته، وهو بذلك ينحو منحا طائفةٍ من علماء المغاربة في أنها تكون لابتداء الغاية وأنّ المعنى: الابتداء من هذا الصنف.

١-١١

قال تعالى: (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلاَئِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ) (الزخرف: ٦٠).

قال البقاعي: "أي: جعلاً مبتدئاً منكم، إما بالتوكيد كما جعلنا عيسى (عليه السلام) من أنثى من غير ذكر، وجعلنا آدم عليه الصلاة والسلام من تراب من غير أنثى ولا ذكر، وإما بالبدلية ملائكة في الأرض يخلقون" (٦٦).

أسند الطبري إلى مجاهد أنّ المعنى: يعمرون الأرض بدلاً منكم (٦٧)، وجعل المعنى الزجّاج (ت ٣١١هـ): جعلنا منهم بدلاً منكم (٦٨)، وجاراهما القرطبي في بيان المعنى، أي: أن تكون (من) متعلقة بمحذوف تقديره (بدلاً) (٦٩)، وذهب البيضاوي والسمين الحلبي إلى أنّ المعنى: جعلنا بدلكم(٧٠).

والأرجح ما ذهب إليه البقاعي من جعل (من) على أصل معناها وهو ابتداء الغاية ما أمكن ذلك، لأنه معنى أجمع العلماء على صحة مجيئه لـ(من)، بخلاف معنى (بدل) إذ إنه لم يجمع العلماء على ثبوت مجيئه معنىً من معاني الحرف (من).

٢-١

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) (التوبة: ٣٨).

بيّن البقاعي أنّ معنى (من) جاء لابتداء الغاية هنا، وقال: "قال أبو حيان: و(من) تضافرت أقوال المفسرين أنها بمعنى (بدل)، وأصحابنا لا يثبتون أنّ (من) تكون للبدل انتهى. والذي يظهر لي أنهم لم يريدوا أنها موضوعة للبدل، بل إنه يطلق عليها لما قد يلزمها في مثل هذه العبارة من ترك ما بعدها لما قبلها فإنها لابتداء الغاية، فإذا قلت: رضيت بكذا من زيد، كان المعنى: أنك أخذت ذلك أخذاً مبتدئاً منه غير ملتفت إلى ما عداه، فكأنك جعلت ذلك بدل كل شيء يقدر أنه ينالك منه من غير ذلك المأخوذ ولما كانوا قد أعطوا الآخرة على الاتباع فاستبدلوا به الامتناع، كان إقبالهم على الدنيا كأنه مبتدئ مما كانوا قد توطنوه من الآخرة مع الإعراض عنها، فكأنه قيل: أرضيتم بالميل إلى الدنيا من الآخرة، ويؤيد ما فهمته أنّ العلامة علم الدين أبا محمد القاسم بن موفق

الأندلسي ذكر في شرح الجزولية أنهم عدوا لـ(من) خمسة معانٍ كلها ترجع إلى ابتداء الغاية عند المحققين وبيّن كيفية ذلك حتى البيانية" (٧١).

رجّع العلماء معنى (من) في هذه الآية إلى البدل، وجعلوا المعنى: أرضيتم بنعيم الدنيا بدلاً من نعيم الآخرة، وتضمنت (من) معنى البدلية (٧٢). ويرى الطبري أنّ (من) تفيد هذا المعنى أيضاً، واصطلح على هذا المعنى بـ(التعقيب)، قال: "تقول أعطيتك من دينار ثوباً. والمعنى: فكان الدينار ثوباً، وجعل منها قوله (٧٣) تعالى: (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) (الأنعام: ١٣٣)".

٤-١

قال تعالى: (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) (الأنبياء: ٧٧).

حمل البقاعي المعنى هنا على التضمين، إذ قال: "ونصرناه، أي: مخلصين له ومانعين ومنتقمين من القوم، أي: المتصفين بالقوة" (٧٤).

ذهبت طائفة من العلماء إلى أنّ معنى (من) هو بمعنى (على) فقد نسب أبو حيان أنّ المعنى: على القوم إلى الفراء وأبي عبيدة (٧٥)، وروى القرطبي أنّ ذلك مذهب أبي عبيدة (٧٦)، وذكر ذلك الأخفش وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) والطبري (٧٧).

ومنهم من حمله على التضمين، إذ قال البيضاوي: "ونصرناه مطاوع انتصر، أي: جعلناه منتصراً من القوم". ومنهم من ضمّن الفعل (نصر) معنى (انتقم) ويكون المعنى: فانتقمنا من القوم (٧٨). وقيل يتضمن معنى (نجينا أو عصمنا)، أي: نجيناه أو عصمناه من القوم (٧٩). وبيّن أبو حيان أنّ (من) بمعنى (على) قاله الفراء وابن مالك وغيره، وفي موضع آخر نسبه إلى أبي عبيدة، ورجّح أن يكون من باب التضمين (٨٠). وذكر السمين أنه على أحد تأويلين: الأول: على تضمين (النصر) معنى (المنع)، والمعنى: منعناه من القوم، والثاني: على جعل (من) بمعنى (على) ونسب المذهب الأول إلى البصريين (٨١).

والذي يبدو أنّ البقاعي ذهب مذهب أهل البصرة من حمل معنى الفعل (نصرناه) على التضمين، ولم يشر إلى التناوب في حروف الجر.

٩-١

قال تعالى: (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الزمر: ٢٢).

حمل البقاعي معنى (من) على ابتداء الغاية، وقال: "(من ذكر الله) فإنّ من تبتدئ مما تطمئن به القلوب، وتلين له الجلود، من مدح الجامع لصفات الكمال فهو أقسى من الجلمود"(٨٢).

ذكر الفراء أنّ (من ذكر الله) و(عن ذكر الله) كلا القولين صحيح وصواب إلاّ أنه رحمه الله فقد فرّق بين معنى (من ذكر الله) و(عن ذكر الله)، قال: "وكأنَّ قوله: قست من ذكره أنهم جعلواه كذباً فأقسى قلوبهم زادها قسوة، وكأنّ من قال: قست عنه، يريد: أعرضت عنه" (٨٣). وأجاز ابن قتيبة أن تأتي (من) بمعنى (عن) كقول العرب: لهيت من فلان، أي: عنه، وحدّثني فلان من فلان، أي: عنه (٨٤). ووافقه الطبري في ذلك وجعل قول العرب: اتخمت من طعام أكلته، وعن طعام أكلته بمعنى واحد (٨٥).

وقد أورد الزجّاج وأبو جعفر النحاس كلاماً موافقاً لما ذهب إليه الفراء من التفرقة بين المعنيين، إذ جعل المعنى في (من ذكر الله) هو: "كلما تلي عليه ذكر الله قسا قلبه ... ومن قال: عن ذكر الله فالمعنى: أنه غلظ قلبه وجفا عن قبول ذكر الله" (٨٦). كذلك فرّق الزمخشري بين المعنيين ففي نحو: قسا قلبه من ذكر الله، يكون المعنى: أنّ القسوة بسبب ذكر الله، وفي نحو: عن ذكر الله، فالمعنى غلظ عن قبول الذكر، ومثّل للفرق بين المعنيين المذكورين بقول العرب: سقاه من العيمة وعن العيمة، فالمعنى في الجملة الأولى: يكون السقي من أجل العطش، والمعنى في الجملة الثانية أرواه حتى أبعده عن العطش (٨٧).

وقد رجّح البيضاوي معنى قوله (من ذكر الله) على جعل (من) بمعنى (عن) وبيّن أنّ المعنى: قسا قلبه من أجل ذكره أبلغ وقال: "لأن القاسي من أجل الشيء أشّد تأبياً عن قبوله من القاسي عنه لسبب آخر" (٨٨).

ومما سبق تبيّن وضوح ودقة توظيف البقاعي لمعنى (من) حيث وظّف معنى ابتداء الغاية في تفسير الآية الكريمة حيث قال: فإنّ من تبتدئ قسوته مما تطمئن به القلوب.

١٦-١

قال تعالى: (الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)(قريش: ٤).

قال البقاعي: "الذي أطعمهم، أي: قريشاً بحمل الميرة إلى مكة بالرحلتين آمنين من أن يهاجوا، وبإهلاك الذين أرادوا إخراب البيت الذي به نظامهم، إطعاماً مبتدئاً من جوع، أي: عظيم فيه غيرهم من العرب" [٨٩].

نسب أبو حيان الأندلسي أنّ (من) هنا بمعنى (عند) عند أبي عبيدة، ويكون المعنى: عند جوع وعند خوف، وبيّن أبو حيان أنّ (من) بمعنى (عند) ضعيف جداً عند النحويين [٩٠]. وقد روى الطبري عن بعض نحاة البصرة جواز مجيء (من) بمعنى (عن) وذلك في قوله تعالى: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِّ إِنَّ اللهَّ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُّ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ) (الرعد: ١١) والمعنى يحفظونه عن أمر الله كما قالوا: أطعمني من جوع وعن جوع وكساني عن عري ومن عري [٩١].

وأوضح القرطبي أنّ معنى (من) هنا هو للمجاوزة، أي: بمعنى (عن) وقدّر لمعنى: عن جوع، وفي موضع آخر قدّر المعنى: بعد جوع [٩٢].

ويميل الباحث إلى أنها لابتداء الغاية، وبذلك يكون موفقاً لمذهب البقاعي في أنّ المعنى هو: الإطعام كان من بداية الجوع.

١٠-١

قال تعالى:(وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ) (الشورى: ٤٥).

قال رحمه الله: "أي: يبتدئ نظرهم المتكرر (من طرف)، أي: تحريك للأجفان خفي، يعرف فيه الذل لأنه لا يكاد من عدم التحديق يظن أنه يطوف لأنهم يسارقون النظر مسارقة كما ترى الإنسان ينظر إلى المكاره" [٩٣].

روى الأخفش أنّ يونس بن حبيب جعل معنى (من طرف) مثل (بطرف) ومثل ذلك وارد في قول العرب: ضربته في السيف وبالسيف [٩٤]. وعن الطبري أنّ (من طرف)، أي: ببعض عينه، وأنه لا يفتح عينه ويسارق النظر مسارقة، وقيل: إنهم ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عنياً [٩٥]. ووافقه الزجّاج [٩٦].

إلاّ أنّ الزمخشري جعل (من) لابتداء الغاية، والمعنى: يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة لا يستطيع أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها وجعل النظر بالقلوب لأنهم يحشرون عمياً فيه تعسف [٩٧]. وتابعه البيضاوي، وضعف السمين الحلبي كون (من) بمعنى الباء [٩٨].

١٥-١

قال تعالى: (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ) (القدر: ٤).

قال البقاعي: "مبتدئ تنزلهم من كل أمر، أي: الأمور الكلية التي يفرقون فيها بإذن الله تفاصيل الأمور التي يريدها سبحانه في ذلك العام في أوقاتها من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل، أو من أجل تقدير كل شيء يكون في تلك السنة" [٩٩].

أوضح ابن قتيبة أنّ (من) بمعنى الباء، والمعنى: بكل أمر [١٠٠]. وفي غريب القرآن ذكر أنها بمعنى اللام، والمعنى: لكل أمر [١٠١]. وجعل الزمخشري المعنى: من أجل كل إنسان [١٠٢]، وذكر ابن عطية (ت ٥٤٦هـ) أنّ (من) لابتداء الغاية، والمعنى نزولهم من أجل هذه الأمور المقدرة [١٠٣]. وبيّن السمين الحلبي أنّ (من) وجهين: أحدهما: بمعنى اللام ويكون التقدير عندئذٍ تنزلهم من أجل كل أمر قضي إلى العام القابل، وثانيهما: تكون للتعدية بمعنى الباء، والمعنى: تنزلهم بكل أمر [١٠٤]. ومتى أمكن إبقاء الحرف على معناه الأصل مع موافقة معنى الحرف لمعنى الآية كان أرجح لأنه مذهب نفيس.

ثانياً: التبعيض:

٢- جدول آيات (من) بمعنى التبعيض

الرقم	الآية	السورة	الرقم
١-	(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ)	الأنعام	٣٤
٢-	(وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ)	إبراهيم	٢١
٣-	(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا)	مريم	٧
٤-	(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)	الأنبياء	١٠٥

٥-	(فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)	الروم	٣
٦-	إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)	الأحزاب	١٠
٧-	(وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ)	فصلت	٥
٨-	(فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى)	طه	١٣٠
٩-	(أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى)	الطلاق	٦

١-٢

قال تعالى: (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ) (الأنعام: ٣٤).

قال البقاعي: "أي: بعض خبرهما العظيم متلبساً هذا النبأ" [١٠٥].

بيّن رحمه الله أنّ (من) تفيد التبعيض الذي ذكره، إلّا أنّ للعلماء آراء متباينة في معنى (من)، إذ ذهب الأخفش إلى أنها زائدة للتوكيد، ومثل لها بقول العرب: قد أصابنا من مطر، وقد كان من حديث [١٠٦]، بناءً على مذهبه في جواز زيادة (من) في الكلام المثبت وتابعه أبو علي النحوي (ت ٣٧٧هـ) [١٠٧] وذلك على جعل (من نبأ) هو الفاعل أي: على زيادة (من) عنده فيما رواه السمين الحلبي، وقد ضعّفه في أنّ الزيادة في الموجب والمجرور بها معرفة، وزاد أيضاً بأنه ضعيف من جهة المعنى أيضاً، قال: "وضعيف أيضاً من جهة المعنى بأنه لم يجئه كل نبأ للمرسلين لقوله: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) (غافر: ٧٨) وزيادة (من) تؤدي إلى أنه جاءه جميع الأنباء، لأنه اسم جنس مضاف، والأمر بخلافه" [١٠٨].

وعند الزمخشري أنها للتبعيض وأنّ المعنى: بعض أنبائهم وقصصهم [١٠٩]، وقد ذهب أبو حيان الأندلسي إلى أنّ المعنى هو: بعض نبأ المرسلين الذين يتأسى بهم [١١٠].

٢ـ٢

قال تعالى: (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ)(إبراهيم: ٢١).

قال البقاعي: "وأبلغوا بعد التبعيض بـ(من) الأولى في التقليل فقالوا (من شيء) كأنّ العذاب كان محتاجاً إلى أخذهم فأغنوه بشيء غيرهم حتى يجاوزهم لو دفعوه عنهم فكأنه قيل: إنّ ذلك لعادة الرؤساء" (١١١).

أجاز الزمخشري أن تكون (من) في (من عذاب الله) لبيان الجنس و(من) الثانية للتبعيض، أي: (من شيء) والمعنى: هل أنتم مغنون عنّا بعض الشيء الذي هو عذاب الله. وأجاز أيضاً أن تكون للتبعيض ويكون المعنى: هل أنتم مغنون عنّا بعض شيء هو بعض عذاب الله (١١٢). وبيّن أبو حيان الأندلسي أنّ التقدير الأول الذي ذهب إليه الزمخشري يقتضي التقديم والتأخير، والتقدير الثاني يقتضي أنّ (من شيء) بدل من (عذاب الله) ويكون بدل عام من خاص (١١٣). وردّ السمين الحلبي على شيخه أبي حيان بأنه لا نزاع في أن يُقال: بعض البعض وهي من العبارات المتداولة، قال: "وذلك البعض المتبعض هو كل لأبعاضه بعض كله، وهذا كالجنس المتوسط هو نوع لما فوقه جنس لما تحته" (١١٤). وأجاز القرطبي والسمين أن تكون (من) في (من شيء) مزيدة (١١٥).

٩ـ٢

قال تعالى: (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِنْ وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاَتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ) (الطلاق: ٦).

قال البقاعي: "ولما كان المراد مسكناً يليق بها وإن كان بعض مسكن الرجل أدخل أداة التبعيض فقال: (ومن حيث سكنتم)، أي: من أماكن سكناكم لتكون قريبة منكم وليسهل تفقدكم لها للحفظ وقضاء الحاجات" (١١٦).

روي عن قتادة إذا لم يكن إلاّ بيت واحد، فيكون السكن في بعض جوانب البيت، وذهب الزمخشري إلى أنّ (من) للتبعيض، ويكون المعنى: أسكنوهن بعض مكان سكناكم، وهي كقوله تعالى: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (النور: ٣٠)، والمعنى: بعض أبصارهم (١١٧)، وأسند أبو حيان الأندلسي إلى الحوفي (ت ٤٣٠هـ) أنها لابتداء الغاية (١١٨)، وإليه ذهب أبو

البقاء العبكري (ت ٦١٦هـ)، إذ قال: "(من) هاهنا لابتداء الغاية، والمعنى: تسببوا في إسكانهنّ من الوجه الذي تسكنون، ودلّ عليه قوله تعالى: (من وجدكم) والوجد الغنى"(١١٩).

الخاتمة

بعد هذا العرض لأثر معنى (من) عند البقاعي، لابد من وقفة لعرض أهم النتائج التي توصل البحث إليها:

١. من خلال دراسة (من) عند النحاة تبين أنّ من النحاة من أجاز لـ(من) أكثر من معنى، إذ جوزوا أن تأتي (من) لابتداء الغاية وللتبعيض وللغاية وبعنى على وعن والباء وفي وللتعليل وغيرها من المعاني، إلا أن الدراسة بينت أن البقاعي جعل لمن معنيان هما ابتداء الغاية والتبعيض إلاّ أنه بين أنّ التبعيض لاتنفك عن معنى الابتداء وإن أفادت معنى التبعيض، وبذلك يظهر أنّ البقاعي ذهب مذهب أهل البصرة في معنى حروف الجر.
٢. تبين أنّ البقاعي عندما يجعل لـ(من) معنى ابتداء الغاية كثيرا ما يقدر معنى حرف الجر تقديراًمقبولاً، مثل قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)(الحجرات: ٤)، أنّ المعنى:"مبتدئين النداء من جهة تكون الحجرات فيها بينك وبينهم فتكون موازية لك منهم ولهم منك"، وفي قوله تعالى:(الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)(قريش: ٤)، والمعنى: أطعمهم إطعاما مبتدئا من جوع. وفي قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ)(آل عمران: ١٠)، والمعنى: إغناء مبتدئين من جهة الله. وهكذا ولعل هذا التقدير يعطينا صورة عن المذهب البصري في تقدير المعنى لحروف الجر في كثير من الآيات في القرآن الكريم التي غابت عنا تقديرات البصريين ومذهبهم فيها.
٣. وأضح البحث أن البقاعي قليلا ما يذهب إلى التضمين إلا إذا اضطر لذلك، فمن ذلك يضمن الفعل معنى فعل آخر في موضع واحد فقط، وهو في قوله تعالى:(وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ)(الأنبياء: ٧٧)، ضمن الفعل (نصر) معنى مخلصين أو مانعين أو منتقمين، ولم يجوز أن ينوب حرف عن حرف.

هوامش البحث:

(١) الجنى الداني في حروف المعاني ٥.
(٢) ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لأبي الخير السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) ١٠١/١، ونظم العقيان في أعيان الأعيان، للسيوطي (ت ٩١١هـ) ٢٤/١ ، والأعلام للزركلي (ت ١٣٩٦هـ) ١/ ٥٦.
(٣) طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنة من علماء القرن الحادي عشر هجري ١/ ٣٤٧ .

(٤) ينظر شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الاستربادي (ت ٦٨٦ه) ٤ / ٢٥٦.
(٥) ينظر شرح المفصل لابن يعيش (ت ٦٤٣ه) ٧/ ٨، والمصطلح الكوفي، للدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم ٤٠ – ٤١، مجلة التربية والعلم، الجزء الأوّل، شباط ١٩٧٩م.
(٦) ينظر الأصول في النحو لابن السراج (ت ٣١٦ه) ٤٠٩/١.
(٧) ينظر الأصول في النحو ١/ ٤٩٧، وشرح المفصل ١٠/٨.
(٨) ينظر شرح ابن عقيل لابن عقيل (ت٧٦٩ه) ٣/٣-٤.
(٩) ينظر منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محيي الدين ٤/٣.
(١٠) لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ه)، مادّة (ضمن) ٢٦١٠/٤.
(١١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٤٣٢/٢.
(١٢) ينظر المصدر السابق الموضع نفسه.
(١٣) ينظر الخصائص لابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) ٢٠٨/٢.
(١٤) ينظر المفصّل في صنعة الإعراب، للزمخشري (ت٥٣٨) ٣٦٦.
(١٥) ديوان الهذليّين ٥٢/١. النئيج: السريع مع صوت، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري(ت٣٩٣ه) ٣٤٢/١.
(١٦) ينظر مغني اللبيب ١٣٢/١.
(١٧) المصدر السابق، الموضع نفسه.
(١٨) الخصائص ٢ / ٣٠٨.
(١٩) ينظر مغني اللبيب ١٣٢/١.
(٢٠) الأزهيّة في علم الحروف ٢٦٧.
(٢١) ينظر الخصائص ٢ / ٢٠٨.
(٢٢) ينظر توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي ٣٥٢/١، والجنى الداني ٣١٤.
(٢٣) الكتاب ٢٢٤/٤، وينظر الأصول في النحو ١/ ٤٠٩.
(٢٤) ينظر شرح السيرافي، للسيرافي (ت٣٦٨ه) ٩٢/٥، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧ه) ١/ ٣٤٥.
(٢٥) ينظر معاني القرآن ١١/١.
(٢٦) ينظر شرح التسهيل ٤/٣.
(٢٧) ينظر شرح المفصل ١٢/٨.
(٢٨) الكتاب ٢٢٤/٤.
(٢٩) المقتضب ١٨٢/١.
(٣٠) ينظر الأصول في النحو ٤٠٩/١.
(٣١) المقتصد في شرح الإيضاح ١٢٩/٢.
(٣٢) ينظر الجنىالداني٣١٤.
(٣٣) ينظر شرح المفصل ١٢/٨.
(٣٤) ينظر الجنى الداني ٣١٠.
(٣٥) ينظر مختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٦هـ) ٧٢.
(٣٦) ينظر معاني القرآن ٢/ ١٠٣.
(٣٧) ينظر الجنى الداني٣١٠.
(٣٨) معاني الحروف ٥٠.

(٣٩) ارتشاف الضرب من لسان العرب ٤٤٢/٢.
(٤٠) ينظر شرح التسهيل ٧/٣، والجنى الداني ٣١٥.
(٤١) شرح الرضي على الكافية ٢٢٠/٤.
(٤٢) ينظر الجنى الداني ٣١٥.
(٤٣) البحر المحيط ٤٠٥/٢.
(٤٤ الكتاب ٢٢٧/٤.
(٤٥) ينظر معاني الحروف ٩٨.
(٤٦) ينظر شرح التسهيل ٧/٣.
(٤٧) ينظر الجنى الداني٣١٤.
(٤٨) ينظر معاني القرآن ٥١٢.
(٤٩) ينظر معاني القرآن ٢٠٥/١.
(٥٠) ينظر جامع البيان عن تأويل القرآن ٢١٦/٦.
(٥١) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٣٧/١١.
(٥٢) ينظر البحر المحيط ١٨١/٢ و٣٩٦/٦.
(٥٣) ينظر الكتاب ٢٢٥/٤، ومغني اللبيب ٢٢٥/٤.
(٥٤) ينظر الجنى الداني ٣٢٠.
(٥٥) ينظر شرح المفصل ١٢/٨- ١٣.
(٥٦) ينظر ارتشاف الضرب ١٧٢٣/٤.
(٥٧) ينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ٤٥٧/٥.
(٥٨) ينظر معاني القرآن ١٠٥/١.
(٥٩) نظم الدرر ٢٢٥/٧.
(٦٠) ينظر الكشاف ٣٥٩/٤، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (ت ٧١٠هـ)، والبحر المحيط ٥١٠/٩.
(٦١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٣٥/٥.
(٦٢) نظم الدرر ٣١٨/٣.
(٦٣) ينظر جامع البيان ٥٣٧/١٦، ومعاني القرآن وإعرابه ١٢٩/٣، وإعراب القرآن، للنحاس ٣٩١/١، تفسير الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ٤٤٣/٥، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (ت ٥١٠هـ) ٣٣٨/٣، والكشاف ٦٩٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٦/١٦.
(٦٤) معاني القرآن ٤٥١/٢، وينظر معاني القرآن للفراء ١٠٣/٢- ١٠٤.
(٦٥) ينظر إعراب القرآن ٣٩١/١.
(٦٦) نظم الدرر ٤١/٧.
(٦٧) ينظر جامع البيان ٦٣٠/٢٠.
(٦٨) ينظر معاني القرآن وإعرابه ٤١٧/٤.
(٦٩) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٤١/٨.
(٧٠) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٩٤/٥، والدر المصون ١٥٧/٥.
(٧١) نظم الدرر ٣١٦/٣.
(٧٢) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٦١/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٤١/٨، والدر المصون ٦٠٢/٩.
(٧٣) جامع البيان ٣٨/٨.
(٧٤) نظم الدرر ٩٧/٥.
(٧٥) ينظر البحر المحيط ٣٦٦/٦، و٤٥٤/٧.

obeikandl.com

(٧٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٣٠٧/١١.
(٧٧) ينظر معاني القرآن ٥١/١، وتأويل مشكل القرآن ٣٠٢/١، وجامع البيان ٣١٩/١٦.
(٧٨) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٣٠٧/١١.
(٧٩) ينظر البحر المحيط ٣٦٦/٦.
(٨٠) ينظر البحر المحيط ٣٦٦/٦.
(٨١) ينظر الدر المصون ٩٧/٥.
(٨٢) نظم الدرر ٤٣٧/٦.
(٨٣) معاني القرآن ٤١٨/٢.
(٨٤) ينظر تأويل مشكل القرآن ٣٠٢/١.
(٨٥) ينظر جامع البيان ١٩٠/٢٠.
(٨٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٥١/٤، وينظر إعراب القرآن ١٦٧/٦.
(٨٧) ينظر الكشاف ١٢٤/٤.
(٨٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤٠/٥.
(٨٩) نظم الدرر ٥٣٦/٨.
(٩٠) ينظر البحر المحيط ٣٥/٣، والدر المصون ٣٥/٣.
(٩١) ينظر جامع البيان ٣٨٦/١٦.
(٩٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٢٩٢/٩ و٢١٩/٢٠.
(٩٣) نظم الدرر ٦٤٤/٦.
(٩٤) ينظر معاني القرآن ٥١٢/٢.
(٩٥) ينظر جامع البيان ٥٣٢/٢٠.
(٩٦) ينظر معاني القرآن وإعرابه ٤٠٢/٤.
(٩٧) ينظر الكشاف ٢٣٥/٤.
(٩٨) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٨٤/٥، والدر المصون ٣٩٥/٤.
(٩٩) نظم الدرر ٤٩٢/٨.
(١٠٠) ينظر تأويل مشكل القرآن ٣٠٢/١.
(١٠١) ينظر غريب القرآن ٥٣٤/١.
(١٠٢) ينظر الكشاف ٧٨٦/٤.
(١٠٣) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٧٨/٥.
(١٠٤) ينظر الدر المصون ٦٣/١١.
(١٠٥) نظم الدرر ٢٣٥/١٤.
(١٠٦) ينظر معاني القرآن ١٠٥/١. لم أقف على رأي أبي علي النحوي فيما توافرت لديّ من كتبه.
(١٠٧) الدر المصون ٦٠٦/٤.
(١٠٨) ينظر الكشاف ٢٠/٢.
(١٠٩) ينظر البحر المحيط ٦.
(١١٠) نظم الدرر ٤٠٤/١٠.
(١١١) ينظر الكشاف ٥١٥/٢، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٩٧/٣.
(١١٢) ينظر البحر المحيط ٤٢٥/٦.
(١١٣) الدر المصون ٨٥/٧.
(١١٤) المصدر السابق، الموضع نفسه.
(١١٥) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٣٥٥/٩، والدر المصون ٨٥/٧.
(١١٦) نظم الدرر ٣٣/٨.

obeikandl.com

(١١٧) ينظر الكشاف ٥٦١/٤.
(١١٨) ينظر البحر المحيط ٢٠١/١٠.
(١١٩) التبيان في إعراب القرآن ١٢٢٧/٢.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المطبوعة

- ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور رجب عثمان محمد والدكتور رمضان عبد التوّاب ط١ مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الأزهية في علم الحروف: الهروي، علي بن محمد النحوي (ت ٤١٥هـ)، تحقيق: عبدالمعين الملوحي ط٢ مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
- الأصول في النحو: ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي ط٣ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين بن محمد البيضاوي (ت٧٩١هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي ط١ دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤١٨هـ.
- الأعلام: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي(ت ١٣٩٦هـ) ط١٥ دار العلم للملايين ٢٠٠٢ م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين: ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري (ت ٥٧٧هـ) ط١ المكتبة العصرية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.
- إعراب القرآن، للنحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب – بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢ دار التراث القاهرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري، محب الدين عبدالله بن الحسين (ت٦١٦هـ) بيت الأفكار الدولية – السعودية (د. ت).
- تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن عبدالعزيز بسيوني ط١ كلية الآداب – جامعة طنطا ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: المرادي، بدر الدين الحسن بن قاسم (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد عزوز ط١ المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ط١ هجر للطباعة والنشر، القاهرة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: بتحقيق: أحمد محمد شاكر ط١ مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت،ـ لبنان ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، الحسن بن قاسم، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة ط١ دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٤ ١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الخصائص: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر (د. ت).
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم ـ دمشق (د. ت).
- ديوان الهذليّين، جمع أحمد الزين ط٢ مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٩٥م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمذاني المصري (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة ١٣٦٣هـ - ٢٠٠٤م. (ومعه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل).
- شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد): ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله ابن مالك الطائي الجيّاني الأندلسي(ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: أحمد السيد أحمد علي، دار التوفيقية، القاهرة (د. ت).
- شرح الرضي على الكافية: الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر ط٢ جامعة قاريونس، ليبيا ١٩٩٦م.
- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي (ت٣٦٨ه)، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، والدكتور محمود فهمي، والدكتور محمد هاشم عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.
- شرح المفصّل: ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر (د. ت).
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ط٤ دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.
- طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنة من علماء القرن الحادي عشر، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية ١٤١٧ه - ١٩٩٧م.
- غريب القرآن: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أ.أحمد صقر، دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- الكتاب: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط٣ الجزء الأول، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. والأجزاء الأخرى ط١ دار الجيل، بيروت (د. ت).
- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض ط١ مكتبة العيدان، الرياض ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

- لسان العرب: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرّم بن علي بن أحمد (ت٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر (د. ت).
- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت ٦٦٦هـ)، الناشر دار الرسالة الكويت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد ط١ دار الكتب العلمية – لبنان ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- مجاز القرآن: أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة (د. ت).
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود (ت ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي ط١ دار الكلم الطيب – بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي ط١ دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢٠هـ.
- معاني الحروف: الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى النحوي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي ط٢ دار الشروق، جدّة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- معاني القرآن: الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة ط١ مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.
- معاني القرآن: الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ) ط٣ عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- معاني القرآن وإعرابه: الزجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ط١ عالم الكتب - بيروت ١٤٠٨ هت - ١٩٨٨ م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة ٢٠٠٥م.
- المفصّل في صنعة الإعراب: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور أميل بديع يعقوب ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- المقتصد في شرح الإيضاح: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة ١٤٣٠هـ - ١٩٩٤م.
- المقتضب: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ط٣ القاهرة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت ٨٨٥هـ) دار الكتاب الإسلامي – القاهرة (د. ت).
- نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فيليب حتى، المكتبة العلمية بيروت.

ثالثاً: الدوريات

المصطلح الكوفي: الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم، مجلة التربية والعلم، العدد الأوّل ١٩٧٩م.

المتخيل العربي نحو ثقافة الأمم والشعوب

(دراسة تاريخية)

Arab imagination towards the culture of nations and peoples

م. م مهند راضي الخزاعي

كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة/

قسم التاريخ

Assistant. teacher : Muhannad Radi Khuzai
Imam Kadhim College of Sciences Islaic University
Department of Histoy

ملخص البحث

يتناول هذا البحث المتخيل العربي نحو ثقافة الأمم والشعوب ، وتكمن أهمية هذا البحث لأنه يسلط الضوء على رؤية الفلاسفة والمؤرخين العرب المسلمين عن الامم والشعوب الأخرى وفق المعيار الديني والمعيار الحضاري والعمراني ، اما أهم الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار موضوعة البحث هو التوقف عند الصورة المُتخيّلة التي بلورتها الثقافة العربية الإسلامية في العصر الوسيط عن الأمم والشعوب أولاً . حيث ركّبت خزاناً من الصور والمعارف والتحديدات رسمت للآخرين صفات وملامح وأصدرت في حقه أحكاماً ووجهت الانتباه إلى بعض الجوانب من حياته. وأغفلت جوانب أخرى أو قللت من أهميتها فاختزنها الرحالة في تنقلهم في أرجاء أوربا وأصقاعها فأمدتهم بالمعايير والمقاصد المعرفية.

اما السبب الثاني هو التعرف على الصورة التي اختزنها المتخيلة العربية الإسلامية عن الصين والهند وبلاد فارس كما هي مجسدة بالمفاهيم الفكرية، وبمواقف وجدانية وشعورية، وبخزان من الرموز والدلالات المستندة إلى مرجعيات دينية وسياسية ومعرفية يحفزها الاحتكاك العنيف تارة والسلمي تارة أخرى .

openaccess.com

وقد توصل البحث ان التصور الإسلامي المنفتح على تلك الأمم الشعوب كان له دوره الأكيد في التمهيد لبلورة النسبية الحضارية التكاملية في الثقافة العربية-الإسلامية، كما كان له تأثيره في التأكيد على وحدة الجنس البشري وإرجاع الأمم المختلفة إلى أصل واحد، وهو ما عبرت عنه الثقافة بوضوح. وبكل الأحوال، فإن إمساكهم بهذه المعايير للحكم على تلك الأمم والشعوب ، لم تجعلهم يرسمون حدوداً ثقافية وحضارية صارمة تفصلهم عنهم .

Abstract

This research deals with the intellectual concepts in the arab imaginary towards aculture of nations and peoples ,what matters in this research is to stop at the imaginary image that the arab and Islamic culture crystallized in the medievalera for nations and peoples first,where it installed are servoir of images knowledge, and other selections of painted recipes and features issued in his right gudgments, and drew attention to some aspects of his life, and other aspects omitted or downplayed its importance across Europe and ashalla vomdthm standards of knowledge and purposes, and we care abot asecond image that arab have exceeds Islamic imagied towards the Europeans, in particular as embodied intellectual concepts, and the positions of sentimental and emotional and symbols and reservoir indications based on religious and political knowledge and references motivated by friction, sometimes violent and peaceful at other times, which arab muslims linked to Europe over Europe as the mediator of different relgiouse and cultural rival and discount military and trade partner in the era .

المقدمة

لم يذهب الرحالة العرب إلى العالم الغريب بما فيه أوربا، إلا وفي ذهنهم وتخيّلهم صورة عامة عن العالم، مرتبطة بطريقة حميمة بمرجعيتهم الثقافية ، التي حددت لهم معاييرهم التي يستندون عليها لإصدار أحكامهم على هذا العالم ، والإطار المعرفي الصادر عن خلاصة وحدود معرفتهم بأقاليمه وأماكنه المختلفة، كما أنها حددت أغراضهم ومقاصدهم المشروطة بالظروف التاريخية السياسية وعلاقات التدافع والغلبة، حيث وجَّهت إدراكهم إلى هذا الجانب، أو ذاك من حياة ذلك العالم، لا بقصد التعرف عليه فحسب، بل لمعرفة الكيفية الناجعة للتعامل معه. فأثر ذلك على اختيارهم للمشاهد، والموضوعات التي اعتبروها أجدر بالعناية لهم ولقرائهم، فركزوا مرة على الجانب السياسي والعسكري، وبالتالي على مصادر القوة والغلبة، ومرة أخرى على الوصف الإثنوغرافي[1] لحياة هذه الجماعة أو تلك، فعرضوا لنا عادات هذه الشعوب ومناحي تفكيرها، وأساليب العيش عندها، أو على سلوكها الاجتماعي والفردي، أو على حياتهم الدينية والثقافية دون أن ينسوا إطلاق أحكامهم على كل هذه الحياة، وركزوا أحياناً على الغريب والمدهش والعجيب في هذه البلدان، والمجال المحبب والمكروه، وما أثار عندهم الإعجاب والدهشة أو التأفف والصد. فأخضعوا أحياناً ثقافة الغير لمقولتي (التزيين أو التقبيح)، وحكموا على سلوكيات أصحاب هذه الثقافة بما فيها من معتقدات وتقاليد وعادات على ضوء ما اختزنوه في وجدانهم وعقولهم من أحكام وتصويبات مستقاة من ثقافتهم نفسها فكان الرحالة العربي آنذاك ممثلاً لحضارة مزدهرة غاية الازدهار .

وتكمن أهمية هذا البحث لانه يسلط الضوء على رؤية الفلاسفة والمؤرخين العرب المسلمين عن الامم والشعوب الأخرى وفق المعيار الديني والمعيار الحضاري والعمراني، اما أهم أسباب اختيار موضوعة البحث هو التوقف عند الصورة المُتخيّلة التي بلورتها الثقافة العربية الإسلامية في العصر الوسيط عن الامم والشعوب اولا . حيث ركّبت خزاناً من الصور والمعارف والتحديدات رسمت للآخرين صفات وملامح وأصدرت في حقه أحكاماً ووجهت الانتباه إلى بعض الجوانب من حياته. وأغفلت جوانب أخرى أو قللت من أهميتها فاختزنها الرحالة في تنقّلهم في أرجاء أوربا وأصقاعها فأمدتهم بالمعايير والمقاصد المعرفية.

اما السبب الثاني هو التعرف على الصورة التي اختزنها المتخيلة العربية الإسلامية عن الصين والهند وبلاد فارس كما هي مجسدة بالمفاهيم الفكرية، وبمواقف وجدانية

وشعورية، وبخزان من الرموز والدلالات المستندة إلى مرجعيات دينية وسياسية ومعرفية يحفزها الاحتكاك العنيف تارة والسلمي تارة أخرى .

المبحث الاول

دور الاسلام في تغذية المخيلة

لقد لعب الإسلام دوراً حاسماً في تغذية الذاكرة والمخيلة العربية الإسلامية بصورة معيّنة للأمم والشعوب الاخرى ، وبطريقة معينة للتعامل معه -دون إغفال المؤثرات الأخرى الدنيوية والزمنية، والفضول المعرفي- فكان القرآن بمثابة النص المفصلي الذي قامت عليه الجماعة الإسلامية، وتآلفت في كنفه وحدَّد للمسلم مواقفه من تلك الشعوب المختلفة عنه دينياً، وثقافياً، وعيّن له سلوكه تجاه المختلفين معه فهو الفصل وهو الحُكْمُ وهو الغذاء اليومي للذين اعتنقوا الإسلام(٢) .

إلا أن هناك ما يميز الإسلام عن الأديان التوحيدية الأخرى المسيحية واليهودية، وهو ما يتجلى في نزعته التوحيدية المرفوعة إلى ذروتها وفي اعترافه المصرَّح به نصاً بالأديان الأخرى (النصارى واليهود) باعتبارهم أهل كتاب فضلاً عن المجال الحضاري الخاص الذي أنشأه وتبادل معه التأثيرات. وتكونت في ظلاله ثقافة عربية إسلامية عبر تمازج ثقافات الشعوب المختلفة التي انضوت تحت راية الإسلام واتخذت اللغة العربية لساناً. وعلى الرغم من أن الموقف الديني قد لوّن كل جوانب الثقافة العربية الإسلامية فإننا لا نستطيع أن نَقصر الموقف من الامم والشعوب الاخرى على العامل الديني وحده فهناك جوانب لها تأثيرها أيضاً اختزنتها الثقافة العربية الإسلامية الغنية والكثيرة التنوع، والتي كانت حصيلة تراكم تاريخي طويل الأمد. وكما أشار بروديل إلى أن: (الإسلام هو قبل كل شيء وريث الشرق الأدنى بثقافاته واقتصادياته وعلومه القديمة، وفضاء الإسلام هو ذلك الفضاء المحصور بين مكة والقاهرة ودمشق وبغداد. يقال عن الإسلام إنه الصحراء. العبارة جميلة وتتردد بكثرة ولكن يجب أن يقال أيضاً: الإسلام هو الشرق الأدنى، وهذا يضيف إليه كمية هائلة من الموروث الحضاري. وبالتالي قروناً طويلة من التاريخ)(٣) . وهو ما جعل الثقافة العربية الإسلامية قادرة على الحفاظ بهويتها وعلى الوحدة والتنوع بآن واحدر، فامتزجت كل ثقافات الشعوب والأمم الداخلة في الإسلام في المجال الإسلامي الشاسع مع الحفاظ على الغنى التعددي بعد أن استطاعت الاقتباس والتأثر بثقافة جيرانها الهند واليونان وبيزنطة وقبل هذا ثقافة فارس.

ولقد عرفت الحضارة العربية الإسلامية كغيرها من الحضارات علاقات من التدافع والتناحر مع جيرانها من الحضارات الأخرى بما فيها الحضارة الأوربية، وتبادلت

معها السلع والأفكار والتخيلات. فكونت لنفسها صورة عن الحضارات الأخرى، حكمت إلى حد كبير طريقة فهمها وتعاملها معها تغذت بمرجعيتها الثقافة، وبتقدم معرفتها للعالم وبخبرتها بحال الشعوب الأخرى(٤) .

وإذا أردنا تبسيط المسألة يمكننا أن نقول: إن الثقافة العربية-الإسلامية قدمت عدة معايير وقياسات حكمت من خلالها على ثقافة الامم والشعوب الاخرى، ولونت بها صورته، فهنـاك أولاً المعيار الدينـــي(الإيمان الإسلامي)، ثم المعيار الحضاري، وهو ما يقاس بمدى العمران عند الآخر، فضلاً عن كل ما يتعلق بموقع هذه الحضارات في أقاليم الكرة الأرضية، ومدى اقترابها من خط الاستواء الحار، ومن القطب الشمالي البارد، وتأثرها بمدارات النجوم والأفلاك، فضلاً عن العامل المعرفي(٥)، أي بمدى تقدم معرفتهم بالعالم وحال الشعوب في ذلك الحين كل هذه العوامل مجتمعة لونت نظرة الثقافة العربية-الإسلامية الى الثقافات الاخرى ، إذا لم يأخذ المثقف العربي الإسلامي عاملاً وحيدا ليحكم به على تلك الامم وإن كان بعض المفكرين العرب-المسلمين ركزوا وضغطوا على أحد العوامل والمعايير أكثر من الأخرى، إلا أنهم على الأغلب أخذوا هذه العوامل مجتمعه في أحكامهم، وتقريراتهم. كما تأثرت نظرتهم تلك بطبقية العلاقات الفعلية القائمة بين الطرفين ، أي بحالة الحرب والسلم السائدة بينهم، في سياق ظرفها التاريخي. وبمدى ثقتهم بثقافتهم، وموقعهم في العالم.

المبحث الثاني

المعيار الديني:

أدخل الإسلام الإنسان العربي ومن اعتنقه في التاريخ كما شكلت فكرة الجماعة ووحدتها على تنوعها قاعدة مركزية في هذه التجربة، وذلك باعتبارها تأسيساً لمبدأ تضامن روحي ومحوراً للاجتماع الإنساني(٦) . وحمل الإسلام نظرة دينية للعالم والإنسان غدا الكون تبعاً لهذه النظرة مسرحاً لمغامرة الإنسان، حيث سخَّر له الله ما في السموات والأرض لينتفع بها، اعتماداً على ما تمتع به من قدرة على التمييز والتدبير. وحدد له نمطاً ينطلق من اعترافه بالأمم والشعوب الاخرى باعتباره يختلف عنه باختلاف انتمائه، واعتقاده(٧) . إذ تضمن التصور القرآني على إدراك لافت لهذا الاختلاف بين الكائنات والناس واللغات والأديان. إذ خلق الله البشر، وفق الرؤية الإسلامية مختلفين جنسياً من ذكـــر وأنثى **(وأنه خلـــق الزوجين الذكـــر والأنثى)** (٨). ولغوياً **(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم..)**(٩) ، ودينياً **(هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن..)**(١٠) ، وأنشأ الاجتماع البشري في وحدات

مختلفة (شعوباً وقبائل) على قاعدة علاقات التعارف والتدافع[١١] **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)**[١٢] ، **(.. ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)** [١٣] ، وأيضاً **(.. ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً..)**[١٤] . إن معنى (الدفع) هنا حسب المصطلح القرآني، يشير إلى التفاعل والتواؤم مع واقعة التنوع والاختلاف، اللذين هما في المنطق القرآني قانون الخلق الإلهي وهو في مقام الاشارة الى حقيقة يتكي عليه الاجتماع الانساني الذي به عمارة الارض وباختلافه يختل العمران وتفسد الارض[١٥] ، ولو ذلك لاستولى اهل الشرك على اهل الملل وعلى متعبداتهم فهدموها ، وهي اشارة اخرى الى الحق النافع الذي ينمو فيه العمران [١٦] . فكل أمة تدفع الأخرى وتتنافس معها نحو الأفضل والأحسن، وبهذا يكون التفاعل الحضاري حواراً ينشد الخير والحق والعدل والتسامح للإنسانية[١٧].

لكن هذا التأكيد على الاختلاف والتنوع، يوازيه التشديد على الوحدة الأصلية والنهائية الجامعة للبشر على اختلافهم، فقد كان الناس، وفق النظرة القرآنية أمة واحدة صدرت عن نفس واحدة «آدم» **(.. وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة)** [١٨] ، ثم تفرقت شعوب وقبائل بعث لها الرسل ليهدونهم إلى طريق الحق، وليعيدونهم إلى سيرتهم الأولى كجماعة واحدة فحرص كل رسول على هداية قومه **(ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً..)**[١٩]، **(.. وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)**[٢٠] ، **(وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه..)**[٢١] ، فينتهي الأمر إلى رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، الذي أرسله إلى العالمين جميعاً، يجسد في رسالته استمراراً لوصية نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وخاتماً لنبواتهم. وفيه محاولة استعادة الأخوة الروحية للبشرية من جديد القائمة على التقوى، فضربت المفاهيم القرآنية جذور التفاخر بالأنساب والأعراق والألوان، بعد أن جعلت ميزان التفاخر الوحيد لدى البشر هو السمو الأخلاقي، وما يقدمه المرء من صالح الأعمال[٢٢] ، قال الله تعالى: **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم..)**[٢٣] .

فالقرآن الكريم يركز على خط الديانة التوحيدية ويرتبط معها في حزمة روحية واحدة داخل تاريخ النجاة. إذ نظر المسلمون إلى دينهم باعتباره أحد التجليات الكبرى لوحي نبوي واحد يقع الإسلام في نهاية حلقاته، وخاتمها، وهو ما جعل المسلمين ينظرون باحترام وتبجيل شديدين إلى حلقات النبوة السابقة وما أتت به من رسالات دينية. فـ (المسلم) كتسمية تشمل المؤمنين من كافة أديان التوحيد وهذا الاعتراف بالآخرين

والاشتراك معهم في وحي واحد سيؤسس للتسامح الديني[٢٤] ، قال اللهﷻ في محكم كتابه: **(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)**[٢٥] .

فالرؤية القرآنية للآخرين تتحدّد في التصور الديني الإسلامي العام على أساس وحدة الانتماء الإنساني والعقائدي من جهة، وعلى قاعدة التمايز والاختلاف الديني والعرقي والألسني والاجتماعي من جهة ثانية. وهو إذ يؤكد على هذا المبدأ، فإنه يدعو إلى التواصل والتعارف، بكل ما يفترضه ذلك من نبذ التعصب، وإرادة إلغاء الغير ، وطالب القرآن اعتماد لغة الحوار مع أهل الكتاب ونبذ الإكراه إذ هو الطريق الأمثل للإقناع[٢٦] . وقوله تعالى :**(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم..)**[٢٧].

وقد خص القرآن المسيحية بتعاطف خاص :**(.. ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون)**[٢٨].

ومنح السيد المسيح (ع) ميزة غاية في الأهمية، إذ جعله مؤيداً بالروح القدس: **(..وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس..)**[٢٩] .

وبعد الفتح وقيام الدولة العربية الإسلامية، عامل المسلمون أصحاب أهل الكتاب المقيمين في دار الإسلام باعتبارهم أهل ذمة، وحدِّدت أحكام أهل الذمة حقوق الدولة على أهل الكتاب باعتبارهم جماعة منها وحقوقهم على الدولة باعتبارها دولتهم. وغدا المسيحيون بمقتضى هذا العقد في ذمة المسلمين، أي في عهدهم وأمانهم. ويسري هذا العقد على الأبناء والأحفاد ما لم يفسخوه ولا يحق للمسلمين فسخه. وإذا فسخه ذمي فلا تقع مسؤولية على طائفته بل عليه شخصياً[٣٠]. وبمقتضى هذا العقد يصبح الذمي مواطناً في دار الإسلام. هذا التسامح والاعتراف بالآخر، انعكس على لغة الثقافة العالمية في عصرنا الحاضر، فالامام علي (ع) الممثل الأبرز للثقافة العربية الإسلامية، وانموذجا للقيم الإنسانية في الفكر الاسلامي يدعو الى خلق جو من التسامح مع الامم والاديان الاخرى: (وَلا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ ، إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)[٣١] .أن تعبير الامام علي(ع) في هذا النص (فأنهم صنفان) ما هو ألا قانوناً ينظم طريقة التعامل مع المجتمع بكل أصنافه ومكوناته وأطيافه الاجتماعية على اختلاف انتماءاتهم وألوانهم ولغاتهم. فالناس أما ان يجمعهم الدين وتوحدهم العقيدة، وإما يجمعهم المشترك الإنساني الذي يتسع لكل ألوان البشر. وهو المشترك الأعظم بين جميع البشر وهذا المشترك هو أخر ما

توصلت اليه البشرية واستقرت على تبنيه عبر الاعلان العالمي لحقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة.

ويصف ميتز حال التعايش الديني في دار الإسلام بقوله: (إن ما يميز مملكة الإسلام عن النصرانية في القرون الوسطى، أن الأولى يسكنها عدد كبير من معتنقي الأديان الأخرى غير الإسلامية. وليست كذلك الثانية، وأن الكنائس والبيع ظلت في المملكة الإسلامية كأنها خارجة عن سلطان الحكومة، وكأنها لا تكون جزءاً من المملكة الإسلامية. معتمدة على العهود، وما كسبته من حقوق، وقضت الضرورة أن يعيش اليهود والنصارى بجانب المسلمين، فأعان ذلك على خلق جو من التسامح لم تعرفه أوربا في القرون الوسطى) [٣٢].

وتعرض الجاحظ في كتاب الحيوان بتسامح واضح للثقافات المختلفة: عربية، ويونانية، وفارسية، وهندية، وللأديان من يهودية ونصرانية، وإسلامية، ومانوية، وزرادشتية، ودهرية[٣٣] .ويعترف بمهارات النصارى، التي أسعفتهم من التقرب من أصحاب السلطة، مثل الطب والكتابة والمالية، في حين يشهد على أن اليهود برزوا في مجالات الحرف:(إذ لا نجد اليهودي إلا صباغاً، أو دباغاً، أو حجاماً، أو قصاباً، أو سقاياً)[٣٤].

أما عن الطريقة التي نظم فيها المسلمون علاقتهم، فقد تأثرت بالمفاهيم القرآنية، والفقهية، وبالوضع التاريخي الذي خضعت له علاقة الدولة الإسلامية مع دول الجوار، مع عدة عوامل تداخلت فيها لغة المصالح والمنافع بقانون الغلبة بتوازن القوى، فضلاً عن المفهوم الديني، والدعوة الدينية، دون أن ننسى تأثير قاعدة التعايش مع الاختلاف الديني، والحضاري، في الداخل، على طريقة نظر المسلمين للاختلاف الديني، والثقافي الذي يعترضهم في الخارج. ولهذا كان الرحالة، والمثقف العربي الإسلامي في العصر الوسيط في جولاته في أوربا، ينظر إلى وجود المسيحية في هذه المنطقة أو تلك بوصفها أحد العلامات الإيجابية ميزوها عن المناطق الأوربية الأخرى كالصقالبة، والنورمان، التي لا تزال على ديانتها الوثنية (المجوسية) ، وفضلوها عليها[٣٥] .

المبحث الثالث

معيار الحضارة والعمران

لم يكن المعيار الديني هو العامل الوحيد في حكم الثقافة العربية-الإسلامية على الامم والشعوب وهو في انفتاحه على الاعتراف بهم سمح بتغذية الثقافة العربية الإسلامية بمقاييس أخرى إلى جانب المقياس الديني للحكم على الأمم بمدى مساهمتها في مجالات أخرى كمجال العمران والحضارة.

فالنص الديني وبعض الاتجاهات الفكرية الإسلامية وواقع الاجتماع السياسي الإسلامي المتعدد الهويات في إطار الوحدة الجامعة أنتجت ثقافة عقلانية واقعية تجادل الآخر وتحاوره بدلاً من أن تلغيه. مما جعل الرؤية للآخرين تتخذ معايير أخرى لا تقتصر على المعيار الديني وحده. فعلى الرغم من الشعور بالتفوق الديني والحضاري، مع الإقرار بمساواة الكائنات البشرية، فإن واقع الاحتكاك بالشعوب بأطيافهم المختلفة ، والتعددية الثقافة والدينية في داخل دار الإسلام، جعل المثقف المسلم يضفي بعض النسبية على أحكامه تجاه الآخرين(٣٦) . إذ ضمت الدولة العربية الإسلامية في جنباتها أمما وشعوباً مختلفة كان لكل منها مزايا وصفات عُرفت بها ولم يلتفت الكتاب العرب لدراسة مميزات الأمم الأخرى خارج دائرة الإسلام فقط، بل أدركوا وانتبهوا إلى الفروق الداخلية، داخل دولتهم وأعطوا لكل أمة، وأحياناً لكل بلد سمة خاصة تتسم به، وتميزه عن غيره من أمم الإسلام التي تشترك معها بالدين والثقافة العامة. وفي مقابل ذلك أدركوا وأعطوا لكل الأمم المعروفة لديهم خارج دولة الإسلام، مزايا خاصة تميزها عن غيرها ولم يقتصر هذا على مستوى السمات النفسية العامة، بل على دور كل منها في إتقان جانب من جوانب التقدم الحضاري والعمراني، والتقصي عما تشتهر بها من زراعات، وحيوانات، وبحار وعجائب، وغرائب.

فإذا كانت الفتوحات الإسلامية قد أدخلت المدن المفتوحة في التاريخ العام الإسلامي ، فإنها دفعت في وقت مبكر إلى ظهور اهتمام بمعرفة تلك البلدان بطريقة إثنوغرافية فيذكر المسعودي(ت:٣٤٦هـ/٩٥٩م) في وصف احد الحكماء للبلدان والشعوب، فيقول: (أما الشام فسُحُب وآكام، وريح وغمام، وغَدَق ورُكام، ترطب الأجسام وتبلّد الأحلام، وتصفي الألوان، ولا سيما أرض حمص فإنها تحسّن الجسم، وتصفي اللون، وتبلد الفهم، وتنزح غوره، وتجفي الطبع، وتُذهب بماء القريحة، وتنصب العقول.وأما الحجاز فحاجز بين الشام واليمن والتهائم، هواؤه حَرور، وليله بهفور، ينحف الأجسام، ويُجفَف الأدمغة، ويشجع القلوب، ويبسط الهم، ويبعث على الإحن وهو بلد مَحْل قَحْط جَدب ضَنْك.وأما العراق فمنار الشرق، وسُرة الأرض وقلبها، إليه تحادرت المياه، وبه اتصلت النضارة، وعنده وقف الاعتدال، فَصَفت أمزجة أهله، ولطفت أذهانهم، واحتَدَت خواطرهم، واتصلت مسراتهم، فظهر منهم الدهاء، وقويت عقولهم، وثبتت بصائرهم، وقَلْبُ الأرض العراق وهو المجتبى من قديم الزمان وهو مفتاح الشرق، ومسلك النور ومسرح العينين، ومدنه المدائن وما والاها ولأهله أعدل الألوان، وأنقى الروائح، وأفضل الأمزجة، وأطوع القرائح، وفيهم جوامع الفضائل، وفضائله كثيرة لصفاء جوهره، وطيب نسيمه، واعتدال تربته، وإغداق الماء عليه، ورفاهية العيش

به.أما أرض مصر فأرض قَوراء غوراء. تُحمد بفضل نيلها، وذمُّها أكثر من حمدها، هواؤها راكد، وحرها زائد. غير أنها تسمن الأبدان، وتسوّد الأبشار وتنمو منها الأعمار. أما خراسان فتكبر الهام، وتعظم الأجسام، وتلطف الأحلام، ولأهلها عقول وهمم طامحة، ، ورأي وتقدير. وأما الهند والصين وبلاد الروم فأنها منازل شاسعة، وبلدان نائية، كافرة طاغية) (٣٧) .

ومن جهة اخرى فقد أطلقوا العرب على كل إقليم من أقاليم الخلافة صفة خاصة، فاشتهر عندهم اليمانيون بالعشق، والحجازيون بالدَّل، والعراقيون بالظرف، وأهل السند بالصيرفة، وأهل مرو بالبخل(٣٨)

ولم ينسوا في تقصيهم عن (فضائل) الأقاليم البحث عن (المثالب)، إذ كان في أخلاق الناس أو البيئة، والأنواع الحيوانية والنباتية. كما أن بحثهم عن خصائص الأقاليم في داخل دار الإسلام ركّزوا على الظواهر الخارقـــة للعادة، أو غير الاعتيادية ، أو ما سموه بالعجائب، فنحن نطالع عنـــد المقدســـي(ت: ٣٨٠هـ-٩٩٠م)، صاحب كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، شأنه في ذلك شأن غيره من الجغرافيين وأصحاب الرحلات، عن الكثير من عجائب الأقاليم والبلدان، فيقول: (فمن عجائب نيسابور جبل ترابه أسود مثل الأنقاس به يكتبون الرسائل، وجبال بهيطل، ونيسابور يقطعون منها الملح، كما يقطع الحجر، وبه شجر لها ثمر إذا شق خرج منه حيوان له أجنحة طير) (٣٩) .

وإلى جانب كتب الجغرافية العامة التي اهتمت بدراسة الأقاليم كافة، ظهرت كتب تهتم بكل إقليم على حدة وتركز على خصائص هذا الإقليم ضمن الوحدة العامة لدار الإسلام، مثل كتاب(تاريخ مصر)عبد الله بن عبد الحكيم المصري (ت: ٢١٤هـ - ٨٢٩م)، وكتاب (خطط المقريزي) للمقريزي(ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م). ، وكتاب (فضائل الشام) لابي الحسن الربعي (ت ٤٤٤هـ- ١٠٥٢م)، كما ظهرت بعض المؤلفات التي أفردت اهتمامها بفضائل مدينة معينة لإبراز (فضائلها) وتميزها عن البلدان والمدن الأخرى ، وذلك لإظهار مدى مساهمتها ومدى ما تستحوذ عليه من رموز ومعانٍ ترتبط بالرأسمال الرمزي العام للأمة(٤٠) .

وهو نفس المنهج الذي طبقوه على رؤيتهم لوحدة الجنس البشري القائمة على الفروق والتنوع والتكامل. وقد صور لنا هذا النهج بصورة رائعة ابن رسته بقوله: (وكما اختلفت هذه المواضيع التي ذكرناها وصار لكل موضع منها خاصية ليست لغيره، فكذلك كل مدينة من المدن وكل موضوع من المواضيع التي نذكرها. ولها ولأهلها خاصية وطبيعة في اختلاف صور الناس. وما يكون بينها من الحيوانات والنبات

والمعادن، والحر والبرد والمياه والعيون والسنن والدين والأخلاق، وسائر الأشياء التي ليس لغيرها من المدن. وذلك ظاهر موجود في المواضع والأبصار، حتى أنه ليوجد الاختلاف في المواضع القريبة بعضها من بعض)[٤١] .

وقد نظر العرب-المسلمون إلى حضارات الأمم الأخرى في ضوء القاعدة المنهجية نفسها، مع توسيع في مجالات الاختلاف الممزوج بحس التفوق دون نسيان التكامل ومساهمة الأمم الأخرى في مجالات الحضارة والعمران.حيث نبغ الباحثون العرب في تأليف المصنفات عن خصائص الأقاليم وفضائل المدن والبلدان الداخلة في دار الإسلام، وهو ما يسر عليهم تطبيق نفس منهج التصنيف بتساهل أكثر على تصنيف موقع الحضارات الأخرى، فنقلوا منهجهم الذي طبقوه على الداخل، على ما درسوه من حضارات في الخارج وكما قبلوا الاختلاف بين ظهرانيهم برحابة صدر، دون عداوة كذلك قبلوا الاختلاف مع الخارج، ولم ينظروا إليه كقاعدة للعداوة بل على التكامل الحضاري.

وهناك من المؤلفين يركزون على التفاوت بين الأمم، حسب مساهمتهم في العمران، ومنهم من يُقصره على أربعة أمم ، يقول ابن الأثير(٦٣٧ه-١٢٣٩م):(وإنما الأمم المذكورة من جميع الناس أربع: العرب، والفرس، والهند، والروم، والباقون همج) [٤٢] دون أن ينسى ذكر أهل الصين بأنهم أهل حرفة .

أما قاضي طليطلة صاعد الأندلسي (ت :١٠٧٠- ١٦٥٩م) ، فإنه يوسع الدائرة مع احتفاظه بمفهوم طبقات الأمم : (ووجدنا هذه الأمم على كثرة فرقهم وتخالف مذاهبهم طبقتين: فطبقة عنيت بالعلم عناية تستحق بها اسمه. أما الطبقة التي عنيت بالعلوم فثمانية: أمم الهند، والفرس، والكلدانيون، والعبرانيون واليونانيون والروم وأهل مصر، والعرب. أما الطبقة التي عنيت بالعلوم فهي صفوة الله من خلقه، ونخبته من عباده، لأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة الصانعة لنوع الإنسان المقومة لطبعه، فأما سائر هذه الطبقة التي لم تعن بالعلوم، وأنسبهم هم الصين والترك، فهم أشبه بالبهائم منهم بالناس، لأنهم أجمعين مشتركون فيما ذكرنا من أنهم لم يستعملوا أفكارهم في الحكمة، ولا راضوا أنفسهم بتعلم الفلسفة)[٤٣] .

نلاحظ في هذه الأحكام أنها لا تعير الانتباه إلى الاختلاف الديني، ولا تعطيه أي دور، وتقتصر أحكامها على مدى مساهمة تلك الحضارات في مجال العمران ولا سيما في مظاهرها الكبرى: العلم والفلسفة. ولم يتفق صاعد الأندلس مع أغلب ممثلي الثقافة العربية-الإسلامية في تجاوزه لدور الصين الحضاري.

يلخص الجاحظ، والتوحيدي، في أحكامهما النسبية عن الحضارة وجهة نظر الثقافة العربية-الإسلامية . فقد خصَّا كل أمة بدور مميز في مجال العمران، بحيث وزعا خصائص الحضارة والإبداع والكفاءة الحضاريتين على الأمم المختلفة البارزة في التاريخ ، وقد كثف الجاحظ (٢٥٥ه-٨٦٩م)هذه الرؤية في نص طويل من رسائله يقول فيه: (ثم اعلم، بعد هذا كله أن كل أمة وقرن، وكل جيل وبني أب وجدتهم قد برعوا في الصناعات، وفضلوا الناس في البيان أو فاقوهم في الآداب، وفي تأسيس الملك، وفي البصر بالحرب، فإنك لا تجدهم في الغاية وفي أقصى النهاية، إلا أن يكون الله قد سخَّرهم لذلك المعنى بالأسباب، وقصرهم عليه بالعلل التي تقابل تلك الأمور، وتصلح تلك المعاني) (٤٤) . فكل أمة تتقن فرعاً من فروع الحضارة، فإذا أرادت أن تحيط بكل تلك الفروع ضاعت جهودها سدى (لأن من كان مقسَّم الهوى، مشترَك الرأي، ومتشعب النفس، غير موفّر على ذلك الشيء ولا مهيأ له، لم يحذق من تلك الأشياء شيئاً بأسره، ولم يبلغ فيه غايته) (٤٥) .

ثم يشير إلى الحضارات التي برعت في جانب واحد من العمران : (كالصين في الصناعات واليونان في الحكم والآداب، والعرب فيما نحن ذاكرون في موضعه، وآل ساسان في الملك، والأتراك في الحرب) (٤٦) ، لأن الأمة لا تستطيع الإبداع في كل المجالات، فلا بد لها كي تجد دورها، من أن تكرس جهودها على جانب واحد، كي تستطيع أن تصل به إلى مجال الإتقان. فيقول :(ألا ترى أن اليونانيين الذين نظروا في العلل، لم يكونوا تجاراً، ولا صناعاً بأكفهم، ولا أصحاب زرع ولا فلاحة وبناء غرس، ولا أصحاب جمع ومنع..... فنظروا حين نظروا بالنفس مجتمعة، وقوة وافرة، وأذهانا فارغة حتى استخرجوا الآلات والأدوات، والملاهي التي تكون جماعاً للنفس، وراحة بعد الكد.. فصنعوا من المرافق، وصاغوا المنافع كالقرصوطونات (علم الأثقال والأوزان)، والقبّانات، والإسطرلابات (مقياس النجوم)، وآلة الساعات ....، وكالطب والحساب، والهندسة، والكون، وآلات الحرب كالمجانيق... وكانوا أصحاب حكمة، ولم يكونوا فعله، يصورون الآلات، ويخرطون الأداة، ويصوغون المُثُل ولا يُحسنون العمل بها...)(٤٧) .

اما فيما يخص الصين فيذكر :(فأما سكان الصين فهم أصحاب السَّبك والصباغة، والإفراغ والإذابة، والأصباغ العجيبة، وأصحاب المخرط ، والنحت، والتصاوير، والنسخ والخط ، ورفق الكف في كل شيء يقولونه ويعانونه...) (٤٨) .

وفي وصفه لامة العرب فيقول :(وكذلك العرب، لم يكونوا تُجاراً ولا صناعاً، ولا أطباء ولا حساباً ولا أصحاب فلاحة فيكونون مهنة، ولا أصحاب زرع لخوفهم من

صَفار (الذل) الجزية، ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب، ولا أصحاب احتكار لما في أيديهم، وطلب ما عند غيرهم. ولا طلبوا المعاش من ألسنة الموازين، ورؤوس المكاييل.. أذهان حداد، ونفوس منكرة، فحين حملوا حدّهم ووجهوا قواهم لقول الشعر وبلاغة المنطق، وتشقيق اللغة، وتصاريف الكلام، وبُعد قيافة الأثر، وحفظ النسب، والاهتداء بالنجوم، والاستدلال بالآفاق، وتعرُّف الأنواء، والبصر بالخيل والسلاح وآلة الحرب، والحفظ لكل مسموع، والاعتبار بكل محسوس، وإحكام شأن المثالب والمناقب، بلغوا في ذلك الغاية، وحازوا كل أمنية. وببعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر، وهممهم أرفع من جميع الأمم وأفخر، ولأيامهم أحفظ وأذكر)[٤٩].

أما عن الأتراك فيذكر :(فلم يكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل، ومقارعة الأبطال، وطلب المغانم، وتدويخ البلدان، وكانت هممهم إلى ذلك مصروفة، وكانت لهذه المعاني والأسباب مستمرة ومقصودة... أحكموا ذلك الأمر بأسره،وأتوا على آخره، وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ولذتهم وفخرهم، وحديثهم وسمرهم)[٥٠].

وهذا لا يعني عند الجاحظ أن كل يوناني حكيماً، ولا كل صيني غاية في الحذق، ولا كل أعرابي شاعراً فائقاً، ولكن هذه الأمور في هؤلاء أعمُّ وأكمل، وأتمُّ، وهي فيهم أظهر[٥١].

أما التوحيدي (ت :٣٢٠هـ-٩٣٢م) فيذهب بمنطق الجاحظ إلى أقصاه إذ يشير: (فلكل أمة فضائل ورذائل، ولكل قوم محاسن ومساوئ، ولكل طائفة من الناس في صناعتها وحلها وعقدها كمال وتقصير، وهذا يقضي بأن الخيرات والفضائل والشرور والنقائص مفاضلة على جميع الخلق، مفضوضة بين كلهم) [٥٢] . ويذكر ايضا ما تتميز به من فضائل، ومهارات بقوله: (فللفرس السياسة والآداب، والحدود والرسوم، وللروم العلوم والحكمة، وللهند الفكر والروية والخفة (الشعوذة)، والسحر، وللترك الشجاعة والإقدام، وللزنج الصبر والكد والفرح، وللعرب النجدة والقرى والوفاء، والبلاء، والجود والذمام والخطابة والبيان)[٥٣].

ويتفق مع الجاحظ على أن هذه المميزات لا تتصف بها الأمة إلا على العموم، وليست لكل واحد من أفرادها. فلا تخلو الفرس من جاهل بالسياسة، ولا تخلو العرب من جبان، وكذلك الهند والروم والصين وغيرهم. إلا أن التوحيدي يذهب باتجاه أبعد وذلك بالتأكيد على أن الأمم تتساوى بنقائصها وفضائلها، فيذكر :(إذا قوبل أهل الفضل والكمال من الروم بأهل الفضل والكمال من الفرس، تلاقوا على صراط مستقيم، ولم يكن بينهم تفاوت إلا في مقادير الفضل وحدود الكمال، وتلك لا تخص بل تُلمّ. وكذلك

إذا قوبل أهل النقص والرذيلة من أمة بأهل النقص والخساسة من أمة أخرى، تلاقوا على نهج واحد، ولم يقع بينهم تفاوت إلا في الأقدار والحدود، وتلك لا يلتفت إليها.. فقد بات بهذا الكشف أن الأمم كلها تقاسمت الفضائل والنقائص باضطرار الفطرة، واختيار الفكرة. ولم يكن بعد ذلك إلا ما يتنازعه الناس بينهم بالنسبة الترابية، والعادة، والنزاع الهائج من القوة الشهوانية(٥٤) .

تبلغ النسبية الحضارية هنا ذروتها، مع إدراك نوع من التكاملية بين جهود الحضارات المختلفة، وتظل الأحكام هنا تستند على مجالات العمران، دون أن تؤثر فيها النظرة الدينية وأحكامها المستندة على تفاوتات التقوى والإيمان، وإن بقيت للأحكام الدينية مجالاتها الخاصة، إلى جانب معايير العمران.

وهذه النسبية الحضارية، تلتقي وتفضي إلى النظرة التكاملية لفاعليات الأمم، وحضاراتها المختلفة، وهو ما عبر عنه إخوان الصفا عندما أرادوا تعريف الإنسان الكامل، فقالوا عنه: إنه (الفارسي النسبة، العربي الدين، الحنفي المذهب، العراقي الآداب، العبراني المخبر، المسيحي المنهج، الشامي النسك، اليوناني العلوم، الهندي البصيرة، الصوفي السيرة، الملكي الأخلاق، الرباني الرأي) (٥٥).

الخلاصة

لقد حمل العرب-المسلمون المتخيل الذي أنتجته الثقافة العربية-الإسلامية عن الامم والشعوب فقدموا لنا من خلال مشاهداتهم معطيات جديدة حين صوروا تنوع الحياة وما تزخر من فضائل ومثالب مثل كل الأمم أغنت هذا المتخيل وأثرَته.

ولعل هذه المعايير التي ذكرناها في متن البحث مجتمعة هي التي قامت عليها، وارتكزت نظرة العرب-المسلمين إلى الآخرين ، بما فيها أوربا فهم لم يقتصروا على المعيار الديني على حدة في أحكامهم ولا على معيار العمران والحضارة على حدة، أو على التحديات الجغرافية البيئية، أو على التأثيرات الكوكبية، بل أخذوا هذه المقاييس مجتمعة عند تفحصهم لما للغير من مميزات وخصائص ومثالب وفضائل دون أن يخفوا شعورهم بالتفوق وثقتهم بقيمهم، ومعايير سلوكهم، ومعانيهم الحضارية في العالم ودون أن ننسى نحن تأثير طبيعة علاقتهم السياسية مع الأمم الأخرى في صياغة بعض أحكامهم وفي إثارة انتباههم على مسائل وموضوعات دون أخرى.

ولا شك أن التصور الإسلامي المنفتح على تلك الشعوب وعلى الاختلاف كان له دوره الأكيد في التمهيد لبلورة النسبية الحضارية التكاملية في الثقافة العربية-الإسلامية، كما كان له تأثيره في التأكيد على وحدة الجنس البشري وإرجاع الأمم المختلفة إلى أصل واحد، وهو ما عبرت عنه الثقافة بوضوح. وبكل الأحوال، فإن إمساكهم بهذه المعايير

للحكم على تلك الأمم والشعوب ، لم تجعلهم يرسمون حدوداً ثقافية وحضارية صارمة تفصلهم عنهم .

الهوامش

١. الاثنوغرافيا علم وصف الشعوب وهو احد علوم الانسان وينصب على دراسة المظاهر المادية للنشاط الانساني من عادات وتقاليد كالمأكل والمشرب والملبس .
٢. افاية ، محمد نور الدين ، الغرب المتخيل ، صورة الارض في الفكر العربي الاسلامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،٢٠٠٠م، ص٢٣
٣. بروديل، فرناند، البحر المتوسط ، ترجمة: عرين السالم، درا تراث المعرفة، تونس ، ١٩٩٠م،ص١١٣.
٤. فهيم، حسين محمد، ادب الرحلات ، (سلسلة عالم المعرفة) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٨٩م، ص١٩٥.
٥. افايه ، الغرب المتخيل . ص٥٤.
٦. غليون، برهان، نقد السياسة –الدين ولدولة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ١٩٩١م،ص٣٥.
٧. افاية، الغرب المتخيل،ص٥٢.
٨. سورة النجم ، اية ٤٥.
٩. سورة الروم، اية ٢٢.
١٠. سورة التغابن، اية ٢ .
١١. الدفع : هو الازالة بقوة والصرف عن الشيءابن منظور،ابي الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب ، ط١، بيروت ، دار صادر ، بلا-ت ، ج٨،ص٨٧.
١٢. سورة الحجرات ، اية ١٣.
١٣. سورة البقرة، اية ٢٥١.
١٤. سورة الحج، اية ٤٠.
١٥. الطباطبائي، محمد حسين ، تفسير الميزان ، قم المقدسة ، منشورات جماعة المدرسين ، بلا ت، ج٢، ص٣٠٥.
١٦. الطوسي ، شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ه-١٠٦٧م)، التبيان في تفسير القران ، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي ، ط١، دار احياء التراث الإسلامي ، بلا ت، ج٢،ص٢٩٩. ،
١٧. الهيتي، عبدالستار، الحوار الذات والآخر، الدوحة ، دار الثقافة،١٩٩٩م، ص١٤٩.
١٨. سورة الأنعام، اية ٩٨ .
١٩. سورة النحل ، اية ٣٦ .
٢٠. سورة فاطر، اية ٢٤.
٢١. سورة إبراهيم، اية ٤ .
٢٢. زيدان، عبد الكريم ، حقوق الافراد في الاسلام ، بيروت ، ١٩٨٨م، ص٣٣ .
٢٣. سورة الحجرات ،اية ١٣.
٢٤. عويدات، حسين ، العرب والنصارى ، دمشق ، مطبعة الاهالي ، ١٩٩٢م، ص٦٣.
٢٥. سورة البقرة، اية ١٣٦.
٢٦. ينظر : الحاشدي، فيصل بن عبدة ، فن الحوار، ط١، الاسكندرية، دار الايمان، ٢٠٠٣م، ص٢١-٢٩.
٢٧. سورة العنكبوت، اية ٤٦.

٢٨. سورة المائدة ،اية ٨٢.
٢٩. سورة البقرة ،اية ٢٥٤.
٣٠. السيد، رضوان: مفاهيم الجماعة في الإسلام، طرابلس، منشورات رسالة الجهاد، ١٩٨٥، ص١٣. راجع أيضاً:عويدات، العرب والنصارى،ص٦٥.
٣١. ابن ابي الحديد،أ بو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد المدائني (٥٦٥ه-١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة ،تحقيق : محمد عبد الكريم النمري،ط١،بيروت ،دار الكتب العلمية،١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ،ج١،ص٧٣٩.
٣٢. أمين، أحمد: ضحى الإسلام، ط١٠، بيروت، دار الكتاب العربي، بلا ت، ج١، ص٢٢٣.
٣٣. أمين، أحمد: ظهر الإسلام، ط٥، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩، ج١، ص٨١-٨٤.
٣٤. الجاحظ، ابو عثمان بن بحر (٢٥٥ه-٨٦٩م)، رسائل الجاحظ – الرسالة الكلامية ، تحقيق:عبد السلام محمد هارون ،القاهرة، مكتبة الخانجي،١٣٣٤ه-١٩٦٤م ، ص٢٦٢.
٣٥. حتي ، فيليب و جبور ، ادوارد، تاريخ العرب ، ط٨، بيروت ، دار غندور ،١٩٩٠م،ص٢٠٢.
٣٦. لبيب، الطاهر: الآخر في الثقافة العربية في صورة الآخر-العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير لبيب الطاهر، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م، ص٢١٠.
٣٧. المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين (ت:٣٤٦هـ/٩٥٩م): مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق: عبد الحميد/ محمد محي الدين،ط٤، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٦٤م، ج٢، ص١٩٤-١٩٥.
٣٨. ابن الفقيه، أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني(٣٤٠ه-٩٥١م). مختصر كتاب البلدان، بيروت، دار صادر، بلا ت ، ص٩٣.
٣٩. المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد (ت ٣٨٠هـ-٩٩٠م)، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت ، دار صادر، بلا ت، ص٣٣٣.
٤٠. سالم، السيد عبد العزيز: التاريخ والمؤرخون العرب، بيروت ١٩٨١، ص١١٩.
٤١. ابن رستة، أحمد بن عمر (٣٠٠هـ-٩١٣م): المجلد السابع من كتاب الأعلاق النفيسة، تحقيق دي خويه، مطبعة بريل ١٨٩١، ص١٦٨.
٤٢. ضياء الدين نصر الله بن محمد الموصلي (٦٣٧ه-١٢٣٩م)،المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ،مصر ، مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٣٩م،ج٢،ص١٢٠
٤٣. صاعد الأندلسي، القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد (٤٦٢هـ-١٠٧٠م)، طبقات الأمم، نشره لويس شيخو، بيروت ،١٩١٢، ص٨-١٠.
٤٤. الجاحظ، رسائل الجاحظ،ص ٦٧.
٤٥. المصدر نفسه ، ص٦٧.
٤٦. المصدر نفسه ، ص٦٨.
٤٧. المصدر نفسه ، ص٦٨.
٤٨. المصدر نفسه ، ص٦٩.
٤٩. المصدر نفسه ، ص٧٠.
٥٠. المصدر نفسه ، ص٧١.
٥١. ينظر : المصدر نفسه ، ص٧٣.
٥٢. أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (٤٠٠ه- ١١٠٠٩م) كتاب الإمتاع والمؤانسة، ط١، بيروت ، المكتبة العصرية ،١٤٢٤ه،ج١ ص٧١.
٥٣. المصدر نفسه ، ج١، ص٧٢ .
٥٤. المصدر نفسه ، ج١،ص٧٢ .
٥٥. اخوان الصفا ، (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، بيروت، دار صادر ، ١٩٥٧ ،ص١٣٢.

الخليفة الطائع لله والأمراء البويهيون

(٣٦٣ -٣٨١هـ/ ٩٧٤ -٩٩١م)

Caliph al-Ta'eeh to Allaah and the Princes of Buhayyan (363-381AH / 974-991 AD)

م.م. محمد سلمان حمود الصافي
المديرية العامة لتربية ذي قار / قسم تربية قلعة سكر
مدرسة ابن خلدون الابتدائية
Mohammed Salman Hmoud Al-Safi
General Directorate of DhiQar Education / Department of Education Qal'atSukkar, 2017

قائمة المختصرات

الرمز	المختصرات
ت	تاريخ الوفاة
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
هـ	هجري
م	ميلادي
د. ت	دون تاريخ
د. ط	دون طبعة

obeikandl.com

الملخص

تناولت الدراسة حياة الخليفة الطائع لله من حيث نسب الخليفة وأولاده وصفاته، كما تطرقت إلى بيعته بالخلافة، وعرضت الدراسة الأسباب التي أدت إلى خلع الخليفة المطيع لله وكيفيتها باعتبارها هي التي أدت إلى بيعة الطائع لله.

استعرضت الدراسة علاقة الخليفة الطائع لله والامراء البويهين (عز الدولة بختيار بن معز الدولة، عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة، صمصام الدولة ابو كاليجار المرزبان بن عضد الدولة، شرف الدولة ابو الفوارس بن عضد الدولة ، ابو نصر بن عضد الدولة بهاء الدولة).

بينت الدراسة انه لم يكن يختلف اسلوب البويهين مع الخليفة الطائع قياسا بمن سبقه لا بل كانت اسوء بفرضهم ما يريدون من الخليفة الطائع، حيث فرض عضد الدولة ان تضرب له الدبادب في اوقات الصلاة وان يذكر اسمة بخطبة الصلاة، يقول ابن الجوزي : " وهذان امران لم يكونا من قبله ولا اطلق لولاه العهود ، ولا خطب بحضرة السلطان الا له ولا ضربت الدبادب الا على بابه"، بالاضافة الى الالقاب التي حصلوا عليها من الخليفة وحسب رغبتهم.

ختمت الدراسة بنهاية الطائع لله (خلعه ووفاته) وكيف خلع وهو ما كان مشابه لخلع الخليفة المستكفي بالله (٣٣٣-٣٣٤هـ/٩٤٤-٩٤٦م)، حيث خلع بطريقة مذلة على يد بهاء الدولة ثم سلمه الى الخليفة القادر(٣٨١-٤٢٢ هـ / ٨٩١- ١٠٣١ م) وبقي في بيته حتى وفاته (٣٩٣ هـ / ١٠٠٣م).

Abstract

The study deals with the life of the caliph al-Ta'ee 'to Allaah,in terms of his parentage and his son and attributes.It also referred to his Oath of allegiance succession,The study presented the reasons that led to take off the Caliphate and how as that led to the pledge of allegiance.

The study reviewed the relationship between the caliph Al-Ta'eeh to Allaah and the princes of al-Buwaheen(Ezz aldawlat Bakhtiar bin Moezaldawlat, Eud adaldawlat,Fnakhsrw bin ruknaldwlt, Samsam aldawlat 'abu kalyajar almuraziban bin Eud adaldawlat, sharaf aldawlat

'abualfawaris bin eaddaldawlat , 'abunasr bin eadd aldawlatbiha' aldawlat.

The study showed that the style of the Buhayyan did not differ with the caliphate Al-Ta'eeh to Allaah compared to the previous one. It was even worse to impose what they want from the caliphate.Where Eud adaldawlat imposedto strike Dbadab to him in times of pray and mention his name in the sermon of prayer , says Ibn al-Jawzi: these two things were not before him and did not release the covenants, nor speeches in the presence of the Sultan except him and hit the Dabadab only on his door, "in addition to the titles obtained by the Caliph and according to their desire.

The study ended with the end caliphate Al-Ta'eeh to Allaah (his removal and death) and how to take off, which was similar to the removal of the Caliph al-Mustaqafi to Allaah (333-334AH / 944-946AD), where he was stripped off in a humiliating manner by Bahaa aldawlat and then handed over to the Caliph Al- Qadir (381-422A H / 1031 AD) and remained in his home until his death (393 AH).

حياة الخليفة الطائع لله: نسبه وأولاده وصفاته

هو الخليفة الرابع والعشرون على الخلفاء العباسيين ، اسمه ابو بكر عبد الكريم الطائع لله بن الفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر بن أحمد المعتضد بن أبي احمد الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب[١]. ولد الطائع لله في بغداد سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩ م)[٢]. اسم امه عتب وهي رومية[٣]،وقيل أم ولد اسمها هزار[٤] وقد ادركت خلافته[٥]. له ولد واحد اسمه جعفر[٦]، ويذكر الاربلي ان اسمه ابو الفتح عبد الوهاب وقد مات بحياة والده[٧]

كان الطائع لله ابيض الوجه، حسن الجسم، شديد القوى[٨]، اشقر مربوعا كبير الانف [٩]، مجذوم الوجة[١٠]، تقيا ورعا عادلا متهجداً يقضي بعض الليالي بالعبادة، كثير الانفاق في البر والاحسان [١١] وكان كريما ولكن كان في خلقه حدة[١٢]، وانه من شدة قوته في احد الايام امسك بكبش جبلي من قرنيه لأنه استفحل في بستانه ثم طلب من النجار من يقطع قرنيه بالمنشار وكان لا احد يجرؤ على الاقتراب منه [١٣]. وقال الشاعر ابن الحجاج في كبر انف الطائع [١٤]

خليفة في وجهه روشن خربشته قد ظلل العسكر

عهدي به يمشي على دجلة وانفه قد صعد المنبر

بيعته الطائع لله بالخلافة

لا بد من ذكر الاحوال السياسية التي ادت الى خلع الخليفة المطيع لله (٣٣٤ -٣٦٣هـ/ ٩٤٦-٩٧٤م) وبيعة الطائع لله بالخلافة وهي الخلاف الذي وقع بين عز الدولة بختيار بن معز الدولة* و الحاجب سبكتكين التركي*، كان عز الدولة قد قلت لديه الاموال ولم يجد جهة يحتال عليها ويصادرها وبسبب خوفه من شغب الجند وعصيانهم فانصاع الى مشورتهم بالتوجه الى الاهواز لمصادرة بختكينازاذرويه، بعدما رجع من الموصل بدون تحقيق اهدافه، وعندما توجه في شهر شعبان سنة (٣٦٣هـ/ ٩٧٤م) الى الاهواز تخلف عنه سبكتكين التركي واخواه ابراهيم وابو الطاهر ابناء معز الدولة ووالدته في بغداد، وعند وصول جيش عز الدولة الى واسط بعث لهم بختكين مبلغ (٣٠٠,٠٠٠) درهم، وبعد وصولهم الى الاهواز قدم لهم فروض الولاء والطاعة ورحب بهم كما يرحب بالاصحاب[١٥].

حدث خلاف بين تركي وديلمي على معلف فوقعت واقعة كبيرة [١٦] كان بالامكان تجاوز الخلاف قبل ان يستفحل ويصعب السيطرة علية، حاول عز الدولة ان ينهي الفتنه لكنه لم يتمكن، فطلب مشورة الديلم فاشاروا عليه بالقضاء على الاتراك وهم يعرفون انه متحامل على سبكتكين فسمع منهم مشورتهم [١٧]. كان سبب هذا التحامل والتباغض هو تضخم ثرواته واقطاعاته وكراعه واموال اصحابه الكثيرة، وكان وزراء عز الدولة يطمعونه به ويحسنون له القبض عليه ومصادرته مع اصحابه[١٨].

جمع عز الدولة وجهاء الاتراك منهم بختكينازاذروية وكاتبه سهل بن بشر و سياشي الخوارزمي وبكتجور وكان على قرابة من سبكتكين الحاجب وقبض عليهم وصادرهم مع اقطاعات سبكتكين بالاهواز، وكتب الى ولده المرزبان في البصرة يطلب مصادرة الاتراك، فهرب الاتراك ونهبت اموالهم وبيوتهم [١٩]، ثم بعث عز الدولة الى والدته واخوته واتفق معهم على انه قد مات حتى اذا جاء سبكتكين ليعزيهم

قبضوا عليه، لكن هذا الامر لم يحصل بسبب عدم سذاجة سبكتكين فانه قد بعث يسال عن الخبر ومن جاء به؟ وكيف، بعدما سمع الصراخ والعويل في بيت عز الدولة. لم يجد نقلا موثوقا للخبر عندها خاف من ان تكون مكيدة ولم يذهب، ثم وصل الخبر بما جرى على الاتراك هناك(٢٠). واسقط لقب الحجابة عن سبكتكين وكتب اليه في بغداد يامره بالخروج منها، ولما وصل الخبر الى سبكتكين بان الستر قد انخرق وانهتك وان دماء الاتراك قد استبيحت من قبل عز الدولة والديلم، جمع الغلمان وطلب من كان غائبا منهم وسيطر على بغداد بخزائنها وسلاحها بعدما طلبوا منه تسيدهم وان يكون جميع الاتراك تحت امرته.

كتب سبكتكين الى ابراهيم ابو اسحاق بن معز الدولة يعلمه بما جرى في البصرة والاهواز، وانه لا مجال للصلح معه وان الجيش نافر لعز الدولة، وابلغه انه لا يريد الخروج عن طاعة مواليه برغم من افعال عز الدولة الغادرة به، وانه يرى ان يجمع الاتراك على بيعته وانه ابدى استعداده لضبط الامور واستقرارها بيده فوافق ابراهيم، لكن هذا الاتفاق لم يرى النور بسبب رفض والدة ابراهيم خوفاً ان تفقد احد ولديها في الصراع على الامارة. تجمع الديلم اللذين في بغداد وطالبوا من زوجة معز الدولة ان يحاربوا سبكتكين ومن معه من الاتراك، فجمعتهم في دارها وزودتهم بالسلاح في هذه الاثناء نقض ابراهيم اتفاقه مع سبكتكين . هاجم سبكتكين تجمع الديلم في دار معز الدولة في ٩/ ذي القعدة ٣٦٣ هـ/٩٧٤م لمدة يومين وفي اليوم الثالث احرق جوانب الدار عليهم بعد ان حاصرهم وقد نفذ سلاحهم ومؤنتهم فيها، فأستسلم ابراهيم ووالدته واخوه ابو الطاهر وطلبوا منه ان يسمح لهم بالذهاب الى واسط حتى لا ينفضح حرم سيده ومولاه فأجاب طلبهم وجمعهم في حديدي الى واسط وتفرق الديلم منهم من هرب الى عز الدولة ومنهم من دخل في طاعة سبكتكين. وقد حدثت فتنة طائفية في بغداد بين السنة والشيعة وسفكت فيها الدماء واحرقت الكرخ مرة ثانية وغلب عليها العيارون(٢١)، وكان الشيعة يناصرون عز الدولة والسنة لسبكتكين(٢٢).

كان الخليفة المطيع لله قد اعد لنفسه حديدي للخروج من بغداد الى واسط مع ركب البويهيين (اخوة عز الدولة وحرمه ووالدته) بعد اضطراب الفتنة الطائفية في بغداد، لكن سبكتكين بعث ورائه عدة زبازب* لإعادته الى بغداد، وقد اسكنوه داره معززاً مكرماً(٢٣).

خلع الخليفة المطيع لله وبيعة الطائع لله بالخلافة

أصيب الخليفة المطيع لله قد بعلة الفالج (الشلل النصفي) في ٢ صفر٣٦٠هـ/٩٧١م وقد ثقل لسانه وتعذرت حركته وبطل نصفه، وانه كان يسترها[٢٤]، فأنكشف حاله لسبكتكين فدعاه الى خلع نفسه ، فامتثل لطلبه وخلع نفسه من الخلافه وتنازل لولده عبد الكريم الطائع لله، في يوم الاربعاء ١٤ ذي القعدة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م [٢٥]. وقد اثبت على خلعة القاضي ابي الحسن بن ام شيبان وبشهادة احمد بن حامد بن محمد وعمر بن محمد، وطلحة بن محمد بن جعفر[٢٦]. وكانت مدة خلافة المطيع لله ٢٩سنة و ٥ اشهر[٢٧]. وفي الهامش نص التنازل[٢٨]. وكان عمر الطائع لله يوم بيعته ٤٨ سنة وقيل ٥٠ سنة، لم يبايع خليفة اكبر منه سناً ولا من اب حي يرزق غيره وابا بكر الصديق وكلاهما يكنى ب ابا بكر[٢٩].

كان يوم البيعة عليه البردة وكان معه سبكتكين والجيش، وفي اليوم التالي خلع على سبكتكين خلع السلطنه وعقد له اللواء ولقبه نصير الدولة [٣٠].

الخليفة الطائع لله والأمير عز الدولة بختيار

فرض الأتراك سيطرتهم على بغداد بقيادة سبكتكين، فرأى عز الدولة انه عاجز امامهم وهو في الاهواز فما كان منه الا ان يطلب المساعده فبعث الى عمه ركن الدولة* يطلب منه نجدته، فلبى طلبه وارسل له جيشاً مع وزيره ابا الفتح بن العميد من الري، وبعث بختيار ايضاً الى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة فتباطأ عليه بقدومه من فارس[٣١]، وكان يطمع في ملك العراق لما راى سوء تدبير ابن عمه واضطراب الامور عليه، وكانت بينهم امور شخصية منها ان بختيار كان يمنع شراء الخيول النادرة الى عضد الدولة وغيرها من الامور جعلت عضد الدولة يثير الفتن على بختيار لكي يزول ملكه ويظفر به، لم يخفَ حال عضد الدولة على الناس من خلال كثرة ما جاء به من الالات والخيم والفرش الكثيرة والزينة التامة التي لا يستعملها المتوجه الى معاونه ابن عمه[٣٢]. اما عمران بن شاهين فانه لم يجب على طلب بختيار لمساعدته، بينما أظهر ابو تغلب مساعدته لكنه ينوي السيطرة على بغداد[٣٣]. وفي اواخر سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م رجع عز الدولة من الاهواز الى واسط[٣٤].

بعث سبكتكين برسالة الى عز الدولة يخبره انه اخطأ معه وانه ليس من رجال الحرب وان سبكتكين ما زال يقدس وصية والده معز الدولة ثم طلب منه ان ياخذ بغداد وواسط وياخذ عز الدولة البصرة والاهواز، لكن عز الدولة رفض الطلب بعدما تشاور مع الديلم. عمل سبكتكين على كتاب من الخليفة الى عز الدولة ينذره فيه ولكن لم يجد اذان صاغية له[٣٥].

اقدم سبكتكين والاتراك الى واسط واخذ معه الخليفة الطائع لله واباه المطيع لله وعند وصولهم الى دير العاقول توفي الخليفة المخلوع المطيع لله ليلة الاثنين٢٢ محرم ٣٦٤هـ/٩٧٤موبعده توفي سبكتكين ليلة الثلاثاء ٢٣/ محرم وحملا الى بغداد وقد دفن المطيع لله في تربة والده المقتدر بالله في الرصافة، بعد وفاة سبكتكين اختار الاتراك افتكين مولى معز الدولة وهو من القادة الكبار، ثم ساروا الى واسط(٣٦).

كان على مقدمة الجيش التركي حمدان بن ناصر الدولة الذي كان في بغداد عند حدوث الفتنه فدخل في طاعة سبكتكين واخذ عليه العهود والمواثيق بالولاء له، وكان حمدان على خلاف مع اخيه ابي تغلب الذي بقي على ولائه لعز الدولة، اما الجيش البويهي فكان بقيادة دبيس بن عفيف، عبر عز الدولة الجانب الغربي من واسط واخلى جانبها الشرقي من السفن ولم يترك من الات الماء شيء لانه اراد كسب الوقت على امل وصول الدعم اليه من الري وفارس، كانت اخبار وفاة سبكتكين في صالحه وكان يأمل في اضطرابهم وتشتتهم لكن لم يحدث شيء من هذا بسبب مبايعة الاتراك للافتكين، عمل الاتراك جسراً بسفن قد جلبوها من بغداد، بعد سماع اخبار وصول الدعم من الري استامن حمدان بن ناصر الدولة الى عز الدولة الذي اكرمه كل الكرم بعد ان عبر من الجانب الغربي الى الشرقي حيث يسيطر عز الدولة، كان لهذا الحدث الأثر السيئ في نفوس الاتراك لكنهم تقدموا وعبروا النهر وجرت المعارك بينهم لخمسة ايام ثم اسر حمدان بن ناصر الدولة بعد اصابة فرسه وبقي في الاسر حتى انهزم الاتراك ومال الى عضد الدولة(٣٧).

كان الموقف في صالح الاتراك اولا فقد شددوا على عز الدولة بالحصار وكان عز الدولة خائفاً ويترقب الدعم وقد كتب الى عضد الدولة يحثه بالاسراع اليه:-

فان كنتُ مأكولا فكن أنت أكلي والا فأدركني ولما أمزق(٣٨).

عندما وصل حال عز الدولة من الضيق وشدة وهو ما كان ينتظره عضد الدولة فتحرك الى العراق وهو يخفي ما يريده وهو ملك العراق والقضاء على عز الدولة وكان يظهر مناصرته(٣٩) .

التقت عساكر عضد الدولة مع عساكر ابو الفتح بن العميد وزير ركن الدولة في الاهواز وتقدم والى واسط، عندما سمع الفتكين بذلك ارتجف قلبه خوفاً ورجع إلى بغداد التي سيطر عليها ابو تغلب استجابة لمؤازرة عز الدولة، وكان قد قضى على نفوذ العيارين الذين استفحل شرهم وأذاهم في بغداد، وعندما سمع ابو تغلب بقرب الفتكين ترك بغداد وعاد الى الموصل ومن اسباب ذلك الشغب الذي حصل عليه فلم يتمكن من الصمود في بغداد، بعد ان علم عز الدولة بسيطرة الفتكين على بغداد طلب من ضبة بن محمد الاسدي وايضا من بني شيبان وأبي تغلب الذي رجع للموصل ان يقطعوا الميرة عن بغداد، فكان ذلك له الاثر السلبي على الفتكين(٤٠).

يذكر الانطاكي في تاريخة ان الحرب في واسط استمرت ٤٨ يوم هزم على أثرها الأتراك وهربوا إلى بغداد، وبعد وصول عضد الدولة استقبله عز الدولة وأخواه مترجلين مقبلين الارض، وبعد المشاورة بينهم استقر الرأي ان سار عضد الدولة في الجانب الشرقي من دجلة وسلك عز الدولة الجانب الغربي متوجهين إلى بغداد(٤١).

جمع الخليفة الطائع لله الاشراف والقضاة واخذ العهود والمواثيق من الاتراك على المناصحه في الثبات والطاعة، وذهب الى باب الشماسية* واجج الناس لقتال عضد الدولة وكان هناك جمع غفير من العامة، لكن مع اقتراب البويهيين من بغداد خرج الخليفة الطائع لله مع الفتكين خارج بغداد وعبروا ديالى واقاموا معسكرهم بين ديالى والمدائن وهناك التقى الجمعان فكانت بداية المعارك للاتراك ثم انهزموا وقد قتل منهم الكثير غرقاً وطلب البعض منهم الامان من البويهيين فحصلوا علية (٤٢).

دخل عضد الدولة الى بغداد في ٨ جمادى الاولى سنة ٣٦٤ هـ/ ٩٧٥م ونزل عند باب الشماسية عندما علم بابتعاد الاتراك عن بغداد وسكن دار الامارة، وامر المنادي ان ينادي بالامانلاهل بغداد والعفو عن الجناة(٤٣) وهذا انعكاس واضح لقدراته السياسية في كسب ولاء اهالي بغداد.

إن الأتراك اخذوا الخليفة الطائع لله معهم، فجد عضد الدولة لكي يرجعه فبعث أبي محمد بن معروف حتى استعادهُ في ٨ رجب ٣٦٤ هـ/ ٩٧٥م وكان قد اتي في حديدي جالسا على سطحه فأستقبله عضد الدولة في طيارة* قريبا من قطيعة ام جعفر(٤٤) وصعد إلى المركب وقبل البساط ويد الخليفة الطائع لله، ولم يبقَ احد من سكان بغداد إلا وخرج لاستقبال الخليفة حتى أن دجلة مُلأت بالسميرياتوالزبازب*، ونزل الخليفة في دار الخلافة(٤٥).

استغل عضد الدولة حالة العداء بين عز الدولة والخليفة لكي يظفر بالإمارة في بغداد فقام بتشجيع الجند على الشغب والعصيان ومطالبة عز الدولة بالأموال، وطلب من عز الدولة ان يجلس في بيته ولا يلتفت لمطالباتهم ويغضب عليهم ولا يعدهم بما لا يقدر علية ويخبرهم انه لا يريد الامارة والرياسة عليهم، وابلغه انه سوف يصلح الامور بينه وبين جنده، لسذاجة عز الدولة فانه صدق كلام عضد الدولة ولم يدرك انه يخطط لقلب الامور علية حتى يظفر بالامارة في بغداد، بدات المراسلات التي استمرت ثلاثة ايام بين عضد الدولة بمحضر من مقدمي الجند يطلب من عز الصلح والمقاربة مع جنوده فكان جواب عز الدولة " لستُ اميراً لهم، ولا بيني وبينهم معاملة، وقد برئت منهم"، قام عضد الدولة وفرق الجند وارضاهم واستدعى عز الدولة واخوته وقبض عليهم واعلم الناس ان عز الدولة استعفى من الامارة عجزاً منه ووعد الناس بالاحسان والنظر في امورهم، وكان يوم القبض ٢٦ جمادى الاخر ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م . اما موقف الخليفة الطائع لله فكان مرحبا بهذه الاحداث كرها منه لعز الدولة لانه حاربه عندما كان الخليفة مع الاتراك(٤٦). لكي يضمن تأييد الخليفة عمل عضد الدولة على

تقديم الاموال والثياب والفرش من جميع الاصناف وايضا قدم الخيول والمراكب والرقيق والالات و فوضة على ضياع الخدمة التي كانت مخصصة للخلفاء[٤٧].

كتب عضد الدولة باسم الخليفة الطائع لله الى قادة العالم باسره باستقرار الامر اليه، وهو ما تسبب في خلاف بينهما ادى الى قطع الخطبة باسم الخليفة دام ٥٠ يوم من ٢٠ جمادى الاول الى ١٠ رجب ٣٦٤هـ/ ٩٧٥ م[٤٨]

بعد ان سمع بما جرى لوالده وعميه اتصل المرزبان بن عز الدولة وكان متوليا على البصرة بركن الدولة وابلغه بما جرى وشكى له من عضد الدولة وابي الفتح ابن العميد واوضح له الحيلة التي حيكت على ابيه وعميه، فلما سمع ركن الدولة بذلك القى بنفسه من السرير وامتنع عن الاكل والشرب حتى مرض وكان هذا المرض سببا لوفاته، وامرهم هو وابن بقية* بالثبات والصبر ووعدهم انه قادم لاخراج عضد الدولة واعادة عز الدولة الى حكم العراق، فاضطربت الاحوال على عضد الدولة وتجاسر عليه الاعداء بعد علموا بموقف ابيه ولم يبقَ بيده غير بغداد، فبعث برسول الى ابيه يخبره بضعف عز الدولة وعدم قدرته على حكم العراق فكان الرد قاسياً وشديداً من ركن الدولة بقوله: ((انت خرجت في نصرة ابن اخي او في اخذ مملكته منه))، فما كان من عضد الدولة الا الرضوخ لابيه واعادة عز الدولة للحكم والرجوع الى فارس في شوال سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥ م وطلب من ابن العميد الرجوع بعد ٣ ايام، لكن ابن العميد انشغل بالملذات مع عز الدولة واتفقا سرا اذا مات ركن الدولة يكون ابن العميد وزيراً ل عز الدولة، وهو ما كان سبب في مقتله[٤٩] .

بعد ان اعياه المرض قسم ركن الدولة ممالكه على أولاده في سنة ٣٦٥ هـ/ ٩٧٥ م وبعد ان تجاوز السبعين من عمره توفي قي ٢٨ محرم ٣٦٦هـ / ٩٧٦ م بعد ان عهد لولده عضد الدولة الذي قام بتثبيت ملكه بعد وفاة ابيه[٥٠] .

الخليفة الطائع والأمير عضد الدولة[٥١]

تحرك عضد الدولة الى بغداد سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م وبعث الى عز الدولة يطلب منه الطاعة مقابل الخروج من بغداد وتزويده بالأموال والسلاح ولضعف عز الدولة وافق بشروط عضد الدولة فاخذ الاموال وتحرك الى بلاد الشام وسلم ابن بقية الى عضد الدولة الذي قتلة اشد قتلة حيث رماه تحت اقدام الفيلة تدوس عليه حتى الموت ثم صلبه على راس جسر في شوال ٣٦٧هـ / ٩٧٨ م[٥٢].

كان مع عز الدولة حمدان بن ناصر الدولة واثناء مسيرهم اطمعه في ملك الموصل وقلل له من شان اخيه ابي تغلب فاستجاب له عز الدولة وتوجه للموصل وعند سماع ابو تغلب بقدومهم بعث الى عز الدولة يطلب منه ان يسلمه اخاه حمدان مقابل التحالف معه ضد عضد الدولة وارجاعه الى بغداد، فاستجاب عز الدولة لابي

تغلب وسلمه حمدان، واستطاع ابو السرايا الهرب وطلب الامان من عضد الدولة، تجمعت عساكر ابي تغلب مع عساكر عز الدولة وقصدوا بغداد، فتقدم لهم عضد الدولة واشتبك الطرفان بقصر الجص بنواحي تكريت في ١٨ شوال ٣٦٧هـ/ ٩٧٨ م فهزمهم عضد الدولة واسر عز الدولة وقتله(٥٣).

خلع الخليفة الطائع لله على عضد الدولة الخلع* السلطانية وتوجه بتاج من الجواهر وطوقة وسوره وقلده سيفاً، واعطي لواءين بيده لواء من احداهما فضي على رسم الأمراء والاخر ذهبي على رسم ولاة العهد ولم يكن معروف قبله، وكُتب له عهداً وقرىء بحضرته ولم يكن بالعادة مثل هذا ولكن كان يدفع العهد الى الولاة بحضرة أمير المؤمنين فإذا أخذه قال أمير المؤمنين : ((هذا عهدي إليك فاعمل به))(٥٤). ولقبه الخليفة بتاج الملة، وبعث له الخليفة ايضا بهدايا كثيرة، وبعث عضد الدولة للخليفة ايضا هدايا منها ٥٠،٠٠٠ دينار و ١٠٠٠،٠٠٠ درهم وبغال ومسك وعنبر(٥٥).

خرج امر الخليفة الطائع لله لخلفائه على الصلاة في جوامع مدينة السلام بان يقيموا الدعاء لعضد الدولة، وان تضرب الطبول على بابه في اوقات الصلاة اليومية، وهذان الامران لم يكونا لاحد من الامراء حتى ان معز الدولة طلب من الخليفة المطيع لله فلم يسمح له، وما ناله عضد الدولة الا لضعف امر الخلافة،وكان ذلك سنة ٣٦٨ هـ/٩٧٨م (٥٦) .

طلب عضد الدولة من الخليفة الطائع لله في شهر شعبان ٣٦٩ هـ/٩٨٠ م ان يجدد عليه الخلع والجواهر وان يزيد في القابه تاج الدولة فوافق الخليفة على كل ما اراد وخلع عليه انواع الملابس وفوضه مشارق الارض ومغاربها وقد حضر ذلك الرؤساء والامراء واعيان الناس(٥٧).

دبر عضد الدولة زواج ابنته من الخليفة الطائع لله لكي يرزق منها ولدا فيكون وليا للعهد وتصبح الخلافة من البيت البويهي وبذالك تجتمع الامارة والخلافة من البيت البويهي وقد عقد العقد بحضرة الخليفة وبحضور اعيان الدولة والقضاة على صداق ١٠٠،٠٠٠ دينار(٥٨)، وكان ذلك يوم الثلاثاء ٢١ ذي القعدة ٣٦٩ هـ/٩٨٠م وكان وكيل عضد الدولة ابو علي الحسن بن احمد الفارسي النحوي والخطيب الخاص القاضي ابو علي المحسن بن علي التنوخي(٥٩) ، اما الخليفة الطائع فقد كان يامل ان يتقرب اكثر من عضد الدولة لكي يتجنب بطشه وجبروته.

جدد عضد الدولة عمارة بغداد بغداد ومحاسنها ورمم المساجد والمشاهد واعطى الرواتب للفقهاء والائمة ولاطباء والمحدثين والزم اصحاب الاملاك ببغداد بعمارة بيوتهم، واصلح الطرفات وخاصة طرق الحج بين بغداد ومكة، واذن لوزيره نصر بن هارون النصراني بعمارة الاديرة واطلاق الاموال للفقراء(٦٠). وكان لهذه

الاصلاحات تاثير ايجابي على الوضع الاقتصادي لكنها لم تستمر طويلا لعدم كفايتها من جهة ولانها حلول انية [٦١] .

كان عضد الدولة محباً للعلم والعلماء وفي عهده ازدهرت الحياة العلمية والأدبية وقد بالغ في اكرام العلماء حتى انه كان يحمل نعل ابي علي الحسن احمد النحوي ويحمل له الابريق الى بيت الماء بنفسه، وكان له اهتمام خاص بالصحة العامة حتى حقق البيمارستان العضدي (مستشفى تعليمي اضافة لعمله العلاجي) وكان مثير للإعجاب وزوده بما يحتاج من اطباء وممرضين وخدم وطباخين والادوات والادوية وكان يعمل ٢٤ ساعة وقد تم انشاءه سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م في الجانب الغربي لبغداد[٦٢].

ويذكر ان عضد الدولة كان شديد المكر والحيلة حتى انه استخدم شخص اسمه علي بن محمد الاحدب وهذا مشهور بقدرته العجيبه بتزوير الكتب وكان اذا كتب على خط احد لم يشك صاحب الخط فيه، وقد استخدمه عضد الدولة في ايقاع بين الملوك والاشخاص المتحالفين ضده عنهم ما كان يفسد تحالفاتهم[٦٣]

رجع عضد الدولة من همذان الى بغداد ونزل جسر النهروان في يوم الاربعاء ١١ جمادى الاخرة ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠م وطلب من الخليفة الطائع ان يتلقاه فخرج الطائع وتلقاه وضربت له القباب وزينت له الاسواق، ولم تكن هناك مثل هذه العادة بخروج الخلفاء لتلقي الامراء، وكان عضد الدولة قد بعث محمد بن عمر العلوي الى الخليفة وابلغ: " مولانا يا امير المومنين قد ورد هذا الملك وهو من الملوك المتقدمين وجاري مجرى الاكاسره المعظمين وقد امل من مولانا التمييز عن من تقدمه والتشريف بالاستقبال الذي يتبين على جميل الراي فيه: فقال الطائع : نحن له معتقدون، وعليه معتزمون، وبه قبل السؤال متبرعون، فأعلمه ذلك"، وقال ابن حاجب النعمان* : لم يكن الخليفة ينوي الخروج لكنه عرف انه لا يمكن رده، وطلب عضد الدولة من محمد بن عمر طلب ثاني وهو ان يمنع العوام من الدعاء له وصياح أثناء استقباله وذلك بسبب ان اهل بغداد استقبلوه مرة بالكلام السفيه، فتم له ذل

حينما زفت ابنة عضد الدولة الى الخليفة الطائع لله في جمادى الاخرة سنة ٣٧٠ هـ / ٩٨٠م كان معها من الجواهر ما لا يحصى[٦٤] .

اشتد المرض عند عضد الدولة وكان يعاني من علة الصرع فضعف جسمه عن تحمل المرض فمات يوم ٨ شوال٣٧٢ هـ/ ٩٨٣م في بغداد ودفن في مشهد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، كان عمره ٤٧ سنة، وكان اثناء احتضاره يردد قوله تعالى((ما اغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه))* الحاقة ٢٨-٢٩، وقد كُتب على قبره هذا قبر عضد الدولة وتاج الملة ابي شجاع بن ركن الدولة، احب مجاورة هذا الامام التقي، لطمعه في الخلاص ((يوم تأتى كل نفس تجادلُ عن نفسها))**، والحمد

لله وصلواته على محمد وعترته الطاهرة[٦٥]. ان العلاقة التي كانت بين الخليفة الطائع لله والامير عضد الدولة علاقة القوي والضعيف فقد فرض عضد الدولة على الخليفة امور لم يقم بها اي خليفة من قبل مثل استقباله عند رجوعه من فارس ٣٧٠هـ / ٩٨٠م وضرب الدبادب في اوقات الصلاة ولقب شاهنشاه وغيرها من الامور.

الخليفة الطائع لله والأمير ابو كاليجار المرزبان صمصام الدولة

أُخفيت وفاة عضد الدولة حتى احضروا ولده صمصام الدولة في يوم عاشوراء العاشر من محرم ٣٧٣هـ/ ٩٨٣ م وجاء الخليفة الطائع لله لتعزيته وكان صمصام الدولة يلبس الملابس السوداء وبعد انتهاء مراسيم العزاء جاء صمصام الدولة الى دار الخلافة فخلع عليه الخليفة الطائع لله سبع خلع وعقد له لوائين ولقبه شمس الدولة والبسه التاج وولاه ما كان لابيه، وكان يوم السبت ٢٣ محرم٣٧٣ هـ/ ٩٨٣م يوما مشهودا[٦٦]، وقد حضر هذا التتويج القادة والامراء الذين بايعوا بالامارة، كان اخوه شرف الدولة قد تحرك الى فارس بعد وصوله خبر وفاة أبيه فأمتلكها، واطلق الشريف ابا الحسن محمد بن عمر العلوي، والنقيب ابا احمد الموسوي والد الشريف الرضي، والقاضي ابا محمد بن معروف وكان عضد الدلة قد حبسهم، وقطع الخطبة لاخيه صمصام الدولة واعلن الخلاف معه، جهز صمصام الدولة جيشاً بقيادة ابي الحسن ابن دبعش حاجب عضد الدولة للقضاء على تمرد اخيه شرف الدولة الذي استعد ايضا بجيشٍ تحت قيادة ابي الاعز دبيس بن عفيف فكانت الهزيمة حليف جيش صمصام في شهر ربيع الاول ٣٧٣هـ / ٩٨٣م [٦٧] .

جاء الخليفة الطائع لله الى صمصام الدولة ليعزيه في ٢٣ رمضان ٣٧٣هـ / ٩٨٤ م بوفاة بويه ابي منصور الملقب مؤيد الدولة بن ركن الدولة[٦٨] .

نجحت مساعي ابي عبد الله بن سعدانوزير صمصام الدولة واتصالاته بالصاحب بن عباد* وزير فخر الدولة في اصلاح الخلاف بين صمصام الدولة وعمه فخر الدولة وطلبوا من الخليفة الطائع لله ان يجدد لفحر الدولة الخلع والعهد والهدايا ففعل وجلس الخليفة واحضرت الخلع والهدايا السنية وتم قراءة العهد وبعثت الى فخر الدولةوكان هذا في سنة ٣٧٤ هـ/ ٩٨٤ م [٦٩] .

رفض الخليفة الطائع لله الانصياع لرغبة صمصام الدولة بالخروج معه عند حدوث الفتنة بين الديلم والتي سببها اسفار بن كردوية وهو من كبار القادة حيث رغب بخدمة شرف الدولة وترك صمصام الدولة وكان معه العديد من العسكر فقد بايعوا بهاء الدولة ابا نصر نيابةً عن اخيه شرف الدولة، ورغم مرض صمصام الدولة الا انه حاول استمالة اسفار بن كردوية لكنه لم يفلح، فاستنجد بالخليفة لكنه رفض، ثم استمال قائد اسمه فولاذ سماندار الذي استطاع هزيمة اسفار بن كردوية واسر بهاء الدولة

وكان عمرة ١٥ سنة وانتهت الفتنة سنة ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥م بتثبيت صمصام الدولة على الامارة[٧٠] .

خلع الخليفة الطائع بعد حادثة تمرد اسفار بن كردوية والعسكر على الامير صمصام الدولة وجدد له تشريفا واكراماً وايضاً كرم فولاذ سماندار بعد ان حلف على الوفاء والمناصحة[٧١] .

جلس صمصام الدولة للعزاء عندما ورد خبر وفاة ابن مؤيد الدولة في ذي الحجة سنة ٣٧٥ هـ/ ٩٨٦ م وجاءه الخليفة الطائع معزيا في حديدي وحوله الانصار والقراء والاولياء في زبازب فتلقاه صمصام الدولة وقبل الارض بين يديه ثم جرى بينهم خطاب في العزاء والشكر[٧٢].

حدث شغب في جند صمصام الدولة سنة ٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م عقب استيلاء شرف الدولة على واسط، فاستشار اصحابة في قصد اخيه شرف الدولة والدخول في طاعته لكنهم رفضوا ونهوه عن ذلك لكنه لم يستجب لهم وقرر الذهاب الى اخيه شرف الدولة فلقيه ورحب به ثم اعتقله، وسار الى بغداد فدخلها في شهر رمضان وصمصام الدولة تحت الاعتقال، وقد أُكحل سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م ، وكانت امارته ثلاثة سنوات واحد عشر شهرا[٧٣].

الخليفة الطائع لله والأمير شرف الدولة ابو الفوارس بن عضد الدولة

دخل شرف الدولة في مضارب تحت دار الامارة، فركب الطائع لله في اليوم التالي في حديدي وهنأهُ بالسلامة وقد تلقاه شرف الدولة وقبل الارض بين يديه ثم عاد الخليفة الى دارة، وقد سبق حضور الخليفة ان تم الصلح بين الديلم والاتراك بسبب الفتنة التي وقعت بينهم حيث كان الديلم والأتراك مع شرف الدولة وكان عدد الديلم ١٥٠٠٠ وكان الاتراك ٣٠٠٠ فجرت منازعة بينهم على دار واصطبل ثم تحولت الى قتال بينهم وكان هم الديلم اخراج صمصام الدولة واعادته الى الملك وعند معرفة شرف الدولة بذلك وكل عليه من يقتله لو جاء الديلم لاخراجه وقد هزم الديلم بعد ان هاجمهم الاتراك من الخلف وقد تشتت صفوفهم وتم الصلح بين الطائفتين واخذت العهود عليهم[٧٤] .

جلس شرف الدولة في عيد الفطر ودخل الناس على طبقاتهم وجاء صمصام الدولة فقبل الارض بين يديه ووقف في الجانب الايمن لسرير الامير شرف الدولة ثم جاء اخوه ابو نصر وفعل مثل ذلك ثم انشد الشعراء ما لديهم وقد ذكر بعض الشعراء صمصام الدولة فغضب شرف الدولة وخرج من المجلس، ، ولم يعرف له خبر بعد ذلك الموقف، وقيل انه حمل صمصام الدولة الى فارس حيث اعتقل في القلعة[٧٥].

في سنة ٣٧٦ هـ/ ٩٨٦م وبعد ان استقرت اوضاع بغداد رد شرف الدولة على الشريف ابا الحسن محمد بن عمر العلوي ما كان له من الاملاك والضياع واضاف ضياعا لضياعه ورد على النقيب ابي احمد الموسوي والد الشريف الرضي املاكه، وكان عضد الدولة قد حبسهما(٧٦).

جددت التوثقة بين الخليفة الطائع والامير شرف الدولة في يوم السبت ١٨ صفر ٣٧٧ هـ/ ٩٨٧م في مجلس حضره الاشراف والقضاة والشهود(٧٧). ركب شرف الدولة طيار الى دار الطائع لله بعد ان ضُربت القباب على شاطئ دجلة وزينت الدور في كلا الجانبين باحسن زينه وقد خلع على شرف الدولة الخلع السلطانيه وتوجه وطوقه وسوره وعقد له لواءين اسود وابيض وقُرأ عهده بمسمع من الناس على طبقاتهم ثم ذهب شرف الدولة الى اخته زوجة الخليفة الطائع وبقي عندها حتى العصر(٧٨).

جاء الخليفة الطائع لله الى شرف الدولة معزيا بوفاة والدته وهي امراة تركية ام ولد(٧٩).

توفي اسحاق بن المقتدر بالله في ليلة الجمعة ١٧ ذي الحجة ٣٧٧ هـ/٩٨٨م عن عمر ٦٠ سنة، وقد ارسل شرف الدولة وزيره لتعزية الخليفة وقدم الاعتذار عن عدم الحضور بسبب مرضة، وقد حضر الامراء والحجاب والاعيان من جهة الخليفة ومن جهة شرف الدولة، وكان ابنه القادر بالله وهو امير انذاك قد صلى عليه ودفن في تربة جدته شغب ام المقتدر(٨٠).

بعدما اشتد المرض عند شرف الدولة اشار عليه الاطباء بالانتقال الى قصر معز الدولة بباب الشماسية في بغداد لان هوائه اصح وانقى ففعل لكنه عاد بعد ان شغب الديلم عليه، وكان قد اصيب بالعلة الاستسقاء قبل عام واحد(٨١) ثم ازداد المرض عيه وتوفي في شهر جمادى الاخر ٣٧٩ هـ / ٩٨٩م ودفن في مشهد الامام علي عليه السلام، وكانت امارته سنتين وثمانية اشهر، وعمره ٢٨ سنة و ٥ اشهر(٨٢).

الخليفة الطائع لله والأمير ابو نصر بهاء الدولة

تفاقم المرض عند شرف الدولة، فاجتمع الاعيان والاصحاب وطلبوا منه ان يُملك أحد فقال " : انا في شغل عما تدعونني الية، ففالوا له : ليامر اخاه ابا نصر ان ينوب عنه الى ان يُعافى، ففعل ذلك" (٨٣) . امتنع الامير ابا نصر بتقبل الامر واظهر القلق والجزع ثم تقبل الامر وحضر الى دار الامارة، فتحرك بعض القاده للمطالبة في استحقاقاتهم وفي اليوم التالي توفي شرف الدولة فكتم امرة لكن اغلب الناس عرفوا بامره، فأجتمع العسكر للمطالبة برسم البيعة فأبلغهم بهاء الدولة بخلو الخزائن من المال ووعدهم بتدبير الامر وفعلا تم صرف مبالغ لهم ثم حل المساء وتفرق الناس الى منازلهم وفي اليوم التالي أعلن عن وفاة شرف الدولة وجلس ابو نصر للعزاء(٨٤) .

ترددت الرسل بين الخليفة الطائع والامير ابي نصر وانتهت بان حلف كل منهما الى الاخر على التصافي وصحة العقيدة في ليلة السبت ٦ جمادى الاخرة ٣٧٩ هـ/٩٨٩م ، وركب الخليفة الطائع لله الطيار الى دار الامارة لتعزية ابي نصر فتقدم الامير والديلم والاتراك بين يديه وحواليه الى المشرعة التي قدم اليها الطيار فقبل الارض ثم قبلها العسكر وصعد الرئيس ابو الحسن علي بن عبد العزيز الى الامير فأدى رسالة الخليفة الطائع بالتعزية، فقبل الارض ثانية وشكر ودعا له، فعاد ابو الحسن الى الطائع فاعلمه شكره ودعاءه، وعادوا الصعود الى الامير لوداعه عن الخليفة الطائع فقبل الارض ثالثا وانحدر الطيار ورجع الامير الى داره(٨٥) .

جاء الامير ابو نصر الى دار الخلافة وقد حضر الاعيان والاكابر وامر الخليفة الطائع فخلع على ابي نصر سبع خلع " طاقية اعلاها سوداء وعمامة سوداء وفي عنقه طوق كبير، وفي يديه سواران ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف" فلما وصل امام الطائع قبل الارض ثم جلس على كرسي ثم قرأ كاتب الخليفة عهده وقدم الى الخليفة اللواء فعقده ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة، وكان البويهين مهتمين جدا بالالقاب التي كانت تضاف اغلب الاحيان الى دولة، والى ملة ، والى دين(٨٦) .

كان شرف الدولة قد جهز ولده ابا على قبل وفاته وارسله مع والدته وجواريه ومعه الكثير من الاموال والسلاح وعند وصوله البصرة بلغه وفاة والده ، فسار الى ارجان* واجتمع معه الاتراك الذين بها وتقدم الى شيراز**، بينما اطلق سراح صمصام الدولة واخاه ابا الطاهر والقائد فولاذ وكانوا محتجزين في القلعة، التف الديلم حول صمصام الدولة فجرى القتال بينهم استمر اياما، بعدها سار ابو علي والاتراك الى فسا*** واستولوا عليها واخذوا الاموال والسلاح وقتلوا من بها من الديلم ، تحرك ابو علي نحو ارجان وعاد الاتراك الى شيراز فقاتلوا صمصام الدولة ومن معه فانتصروا ونهبوا البلد ثم عادوا الى ارجان، جاء رسول بهاء الدولة الى ابي علي وادى رسالته وطيب قلبه ووعده خيراً، ثم ارسل الى الاتراك واستمالهم الى جانبه، فحسنوا لابا علي المسير الى بهاء الدولة، فسار اليه والتقوا في واسط ١٥ جمادى الاخره ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م فاكرمه عدة ايام ثم اعتقله وقتله(٨٧).

بعد وفاة اسحاق بن المقتدر والد القادر حدث خلاف بينه وبين اخته على ضيعة وطال الخلاف بينهم، استغلت اخته مرض الخليفة الطائع فابلغته ان القادر قد سعى للخلافة فلما شفي الطائع لله بعث جماعة بقيادة ابي الحسن بن النعمان للقبض على القادر لكنه هرب الى البطائح* ونزل عند مهذب الدولة فاكرمه(٨٨) .

تأثر بهاء الدولة بوفاة ولده حتى انه جلس على الارض من شدة مصابه لكن المفارقة عدم حضور الخليفة للعزاء، بينما حضر مرتين لصمصام الدولة يعزيه مرة بوفاة عضد الدولة واخرى بوفاة موید الدولة، الامر الذي ترك الكثير في نفس بهاء الدولة على الخليفة الطائع(٨٩).

خلع الخليفة الطائع ووفاته

ذكر المؤرخون سببين لخلع الخليفة الطائع الاول هو ان ابا الحسن المعلم قد كثر مال الخليفة عند بهاء الدولة وهون عليه خلعه وكان بهاء الدولة في ضائقة مالية[٩٠] ، والسبب الثاني هو ما ذكره السيوطي في تاريخ، ان الخليفة الطائع قد سجن احد خواص بهاء الدولة والمقربين منه[٩١] .

ارسل بهاء الدولة الى الخليفة يطلب اذن الحضور ليجدد العهد به فأذن له، في يوم ١٩ شعبان٣٨١ هـ/ ٩٩١م دخل وقبل الارض وأُجلس على كرسي، فدخل بعض الديلم وتقربوا الى الخليفة ليقبلوا يده فسحبوه ارضاً وهو ينادي انا لله وانا اليه راجعون، ويستغيث ولا يغاث، واخذوا الخليفة الى دار بهاء الدولة وسلبوا كل ما في دار الخلافة من اموال وذخائر واثاث، ونهب الناس ما تبقى به، وهناك قد اشهد على نفسه بالخلع امام الاشراف* والاعيان وسلم الخلافة الى القادر بالله[٩٢] .

حمل الخليفة من دار بهاء الدولة الى دار القادر بالله وبقي عنده حتى وفاته ليلة العيد سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م وصلى عليه القادر وكانت خلافته ١٧ سنة[٩٣] .

وكان الشريف الرضي جالس اثناء خلع الخليفة وله ابيات اشدها وخرج وهي :

من بعد ما كان رب الملك مبتسما الي ادنوهُ في النجوى ويدنيني لقد
امسيت ارحم من اصبحت اغبطه تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني
هيهات اغتر بالسلطان ثانية قد ضل ولاج ابواب السلاطين

قائمة المصادر والمراجع

اولا: المصادر

القران الكريم.

ابن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م .

الأربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت٧١٧هـ / ١٣١٧م)، **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك**، تصحيح مكي السيد جاسم، مكتبه المثنى، بغداد ١٩٦٤م.

الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٧م)، **تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا**، حققه عمر عبد السلام تدمري، جرس برس، بيروت ١٩٩٠ م.

البغدادي، أبي بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠ م)، **تاريخ مدينة السلام**، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠١م.

ابن الجوزي، أبي فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر، راجعه وصححه نعيم زرزور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.

ابن الجوزي، أبي فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)،**اتلبيس ابليس**، دار ابن خلدون، الإسكندرية، د. ت، ص ٣٩٠.
الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح الدمشقي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، اشرف عليه عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق- بيروت ١٩٨٩م.
الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، **سير أعلام النبلاء**، أشرف علية شعيب الأرنؤوط، وحققه إبراهيم الزيبق، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠١١م.
الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام**، تحقيق عبد السلام التدمري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤م.
الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان ١٩٨٥.
الروذراوري، ابى شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالله (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)، **ذيل تجارب الامم**، منشورات محمد علي بيضون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥)، **تاريخ الخلفاء**، ط٢، دار المنهاج، بيروت ٢٠١٣م.
الصابي، ابي الحسن الهلال بن المحسن (٤٤٧هـ/١٠٥٥م)، **الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء**، تحقيق عبد الستار احمد فرج، الناشر مكتبة الاعيان، د.ت، د. ط .
ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا(ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، صححه الغريفذ ولدى أهلوردت، ثم اعتنى به هرتويغدرنبرغ، مطبعة مرسو، مدينة شالوس ١٨٩٤ م.
ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، **تاريخ الدول الإسلامية**، دار صادر، بيروت، د. ت.
ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٤ م)، **الانباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق قاسم السامرائي، ط١، دار الافاق العربية، القاهرة ١٩٩٩م.
أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، **التبر المسبوك في تواريخ الملوك**، تحقيق محمد زينهم محمد عرب، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٥م.
أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)،**المختصر في أخبار البشر**، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت .
الكتبي، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٤ م.
المكي، أبي محمد بن أسعد بن علي بن سلمان اليافعي اليمني (ت ٧٦٨ هـ /١٣٦٦ م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه خليل منصور، منشورات محمد علي بيضون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٧ م.
الهمذاني، أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد المقدسي (ت٥٢١هـ/١١٢٧م)، **تكملة تاريخ الطبري**، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، ط ١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨ م.
ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر(ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، **تاريخ ابن الوردي**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م.
ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، **جمهرة انساب العرب**، تحقيق لجنة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.

ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، وضع حواشيه خليل شحاذة، راجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠ م.

سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م) **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق عمار ريحاوي، ط١، دار الرسالة، بيروت ٢٠١٣م.

ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار الهجر للطباعة والنشر، مصر ١٩٩٨م.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ /١٠٣٠م)، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق سيد كسروي حسن، منشورات محمد علي بيضون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، ٥ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م.

ثانيا : المراجع والبحوث

الروضان، عبد عون، **موسوعة تاريخ العرب**، ط ١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٤ م.

السامرائي، قاسم حسن، **الاشراف في ظل الدولة العباسية**، بحث منشور، مجلة سر من راى، جامعة تكريت كلية التربية، مجلد ٢، العدد ٢، السنة الثانية حزيران ٢٠٠٦ .

العدوان، احمد، **الدولة الحمدانية**، منشورات المنشاة الشعبية للنشر، ط١، ١٩٨١، ليبيا.

جاسم، حديس جاسم، محمد، عبد السلام جمعة محمد، **كُتاب ديوان الرسائل: مكانتهم ودورهم في الحياة العامة للفترة (٣٤٧-٤٤٧ هـ / ٨٦١-١٠٥٦ م)**، بحث منشور، مجلة سر من راى، جامعة تكريت كلية التربية، المجلد ٧، العدد ٢٤، السنة السابعة كانون الثاني ٢٠١١، ص١٠٧).

خضير، موفق عليوي، اقدم بيمارستان (مستشفى) تعليمي في بغداد في عهد عضد الدولة، بحث منشور، مجلة كلية التربية الاساسية الجامعة المستنصرية، مجلد ٢١، عدد ٨٨، بغداد ٢٠١٥م.

خلف، صبيح نوري، **خلع الخلفاء العباسيين السلطانية للامراء البويهيين (٣٣٤-٤٤٧ هـ)**، بحث منشور، مجلة دراسات ايرانية، العدد ٨-٩.

خلف، كاظم ستر، رؤوف، زينب مهدي، **مستوى المعيشة للمجتمع البغدادي خلال العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧ هـ / ٩٤٥-١٠٥٥م)**، بحث منشور، مجلة جامعة بغداد، العدد ٨٥، لسنة ٢٠٠٩.

علي، سيد امير، **مختصر تاريخ العرب**، تحقيق عفيف البعلبكي، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت١٩٦٧م.

غضبان، علي حسن، **الوزارة في عهد الامير عز الدولة بختيار البويهي(الوزير ابن بقية نموذجاً)**، بحث منشور، مجلة الاستاذ، جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد، العدد ٢٠٢، لسنة ٢٠١٢.

محسن، زهراء محسن حسن، **الالقاب السياسية واهميتها في تشكيل واردات الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري**، بحث منشور، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد ٣٣، سنة ٢٠١٥، النجف الاشرف .

محمود، سميعة عزيز، **شعر الوزراء في العصر العباسي**، بحث منشور، مجلة ديالى، جامعة ديالى كلية التربية الاصمعي، العدد ٤٣، ٢٠١٠م.

هوامش البحث

١. **الروضان، عبد عون، موسوعة تاريخ العرب، ط ١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٤ م، ج ٢، ص٤٢١.**
٢. **أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق محمد زينهم محمد عرب، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٥ م، ص ٥٥.**
٣. **ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٤ م)، الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، ط١، دار الافاق العربية، القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٧٩؛ ابن الجوزي، أبي فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر، راجعه وصححه نعيم زرزور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢، ج ١٤، ص ٢٢٥.**
٤. **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥ م)، تاريخ الخلفاء، ط٢، دار المنهاج، بيروت ٢٠١٣م، ص ٦٢٦.**
٥. **البغدادي، أبي بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠ م)، تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠١م، ج١٢ ، ص ٣٦٠.**
٦. **ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، جمهرة انساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م، ج١، ص ٣١.**
٧. **الاربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت ٧١٧هـ/ ١٣١٧م)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تحقيق مكي سيد جاسم، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦٤م ، ص٢٦١.**
٨. **ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٢٢٥.**
٩. **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، سير أعلام النبلاء، أشرف علية شعيب الأرنؤوط، وحققه إبراهيم الزيبق، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠١١م، ج ١٥، ص ١١٩.**
١٠. **الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح الدمشقي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، اشرف عليه عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق- بيروت ١٩٨٩م، ج ٤، ص ٤٩٩.**
١١. **علي سيد امير، مختصر تاريخ العرب، تحقيق عفيف البعلبكي، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت١٩٦٧م، ص ٢٦٨.**
١٢. **ابو الفداء، التبر، ص ٥٥.**
١٣. **ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، صححه الغريفذ ولدى أهلوردت، ثم اعتنى به هرتويغدرنبرغ، مطبعة مرسو، مدينة شالوس ١٨٩٤ م، ص ٣٩١.**
١٤. **الكتبي، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٤ م، ج ٢، ص ٣٧٥.**

*** معز الدولة هو ابو الحسين احمد بن بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي الديلمي الفارسي، حكم العراق اكثر من ٢٠ سنة، كان يسمى الاقطع لان قطعت يده اليرى في الحرب وبعض من يده**

اليمنى، توفي ٣٥٦هـ سلم الحكم الى ولده بختيار. انظر (الذهبي، سير، ج ١٦، ص ١٨٩-١٩٠).

* سبكتكين حاجب معز الدولة لقبة الخليفة الطائع لله نصير الدولة وخلع علية وطوقة وسورة، توفي في شهر محرم (٣٦٤ هـ/ ٩٧٤ م) استمرت امارته على بغداد اقل من ثلاثة اشهر، ترك اموال عظيمة بعد وفاته.انظر (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٢٣٧-٢٣٨).

١٥. مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ /١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروي حسن، منشورات محمد علي بيضون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م، ج ٥، ص ٤٠١ -٤٠٢؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢ م)، الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ج ٧، ص ٣٤١.

١٦. ملخص الحادثة ان رجلاً من الاتراك يجاور ديلمياً في سوق الاهواز وكان على باب دار التركي حائط من لَبنٌ مشرج فاراد ان يبني علية معلفا لدوابة واحتاجه الديلمي ايضا فطلب الديلمي من غلامة لياخذه فمنعه غلام التركي فلم يمتنع فصار بينهم تنازع وتهاتر فخرج التركي لنصرة غلامه وخرج الديلمي ايضا، فضرب التركي وتطاول عليه، فاستنهض التركي الاتراك فثاروا في الديلم، وتبادر الديلم وحملوا السلاح واجتمعوا على باب عز الدولة وكان امامه ساحة واسعة نزل بها احد وجهاء الاتراك فاحاطوا به الديلم ولما خرج فركب لكي يلحق برفقائه لكن الديلم عارضوه بالشتم ثم قتلوه، فطالب الاتراك بثار صاحبهم فقتلوا ديلميا وجرحوا الكثير بالنشاب ثم هربوا الى الصحراء مع عوائلهم وغلمانهم. (مسكويه، تجارب، ج ٥، ص ٤٠٢).

١٧. الهمذاني، أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد المقدسي (ت٥٢١هـ/١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، ط ١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨ م، ص ٢١٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٤٢.

١٨. الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٧م)، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، حققه عمر عبد السلام تدمري، جرس برس، بيروت ١٩٩٠ م، ص ١٥٣.

١٩. مسكويه، تجارب، ج ٥، ص ٤٠٣.

٢٠. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٣٤٢؛ ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار الهجر للطباعة والنشر، مصر ١٩٩٨م، ج ١٥، ص ٣٤٤.

٢١. العيارون: جمعتهم ظروف اجتماعية سيئة، اخذوا يتجولون في ازقة بغداد بزي خاص بهم،وشاركوا في ازدياد الفوضى والتخريب والسلب والنهب، ويسمون طريقتهم بالفتوة. انظر (ابن الجوزي، تلبيس ابليس، دار ابن خلدون، الإسكندرية، د. ت، ص ٣٩٠؛ الموسوي، احمد حسن، الفتن الطائفية في العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧ هـ / ٩٤٥- ١٠٥٥ م)، بحث منشور، مجلة كلية التربية الاساسية الجامعة المستنصرية، المجلد ٢١، العدد ٨٩ لسنة ٢٠١٥، ص ٣٠٢).

٢٢. مسكوية، تجارب، ج٥، ص ٤٠٣-٤٠٤؛ الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص ١٥٣ -١٥٤.

* زبازب سفن صغيرة . انظر (الفارقي، احمد بن يوسف بن علي، تاريخ الفارقي، حققه بدوي عبد اللطيف عوض، راجعه محمد شفيق غربال، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٩٥٩ م، ص ٦٢) .

٢٣. مسكوية، تجارب، ج٥، ص٤٠٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٣٤٢؛ ابن كثير، البداية، ج ١٥، ص ٣٤٥.

٢٤. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق عمار ريحاوي، ط١، دار الرسالة، بيروت ٢٠١٣م، ج ١٧، ص ٤١٦؛ أبو الفداء، التبر، ط ١، ص ٥٢؛ الذهبي، سير، ج ١٥، ص ١١٦.
٢٥. مسكوية، تجارب، ج٥، ص٤٠٤- ٤٠٥؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، تاريخ الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ٢٨٩؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت، ج ٢، ص١١٣؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر(ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٨٨؛ المكي، أبي محمد بن أسعد بن علي بن سلمان اليافعي اليمني (ت ٧٦٨ هـ /١٣٦٦ م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل منصور، منشورات محمد علي بيضون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٧ م، ج ٢، ص ٢٨٤– ٢٨٥.
٢٦. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، تحقيق عبد السلام التدمري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤م، ج ٢٦، ص ٢٥٣ – ٢٥٤.
٢٧. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٣٤٣.
٢٨. " هذا ما اشهد على متضمنه أمير المؤمنين الفضل المطيع لله حين نظر لدينه ورعيته، وشغل بالعلة الدائمة عن ما كان يراعيه من الامور الدينية اللازمة، وانقطع افصاحه عن بعض ما يجب لله عز وجل في ذلك فراى اعتزال ما كان اليه من هذا الامر، وتسلمه الى ناهض به، قائم بحقه ممن يرى له الراي، عقده له واشهد بذلك طوعا في يوم الاربعاء الثالث عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة، فكتب فيه القاضي محمد بن صالح: شهد عندي بذلك احمد بن حامد بن محمد بن عمر، وعمر بن محمد بن احمد، وطلحة بن محمد بن جعفر، وكتب محمد بن صالح." انظر (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٢٢٤).
٢٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٤، ص ٢٢٥.
٣٠. السيوطي، تاريخ، ص ٢٦٢.
* ركن الدولة هو ابو علي الحسن بت بويه وكان حليما كريما واسع المعرفة حسن السياسة لجنده ولرعيتة توفي في محرم ٣٦٦ هـ/٩٧٦م . انظر (ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، وضع حواشيه خليل شحاذة، راجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠ م، ج ٤، ص ٥٩٨).

٣١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٣٤٩.
٣٢. مسكوبه، تجارب، ج ٥، ص ٤٠٨.
٣٣. ابن الجوزي، ج ١٥، ص ٣٤٩.
٣٤. الهمذاني، تكملة، ص ٢١٥.
٣٥. مسكويه، تجارب، ج ٥، ص ٤٠٨.
٣٦. الهمذاني، تكملة، ص ٢١٦؛ ابو الفدا، المختصر، ج ٢، ص ١١٤.
٣٧. مسكويه، تجارب، ج ٥، ص ٤٠٩ – ٤١٠.
٣٨. ابو الفدا، المختصر، ج ٢، ص ١١٤.
٣٩. ابن الاثير، الكامل، ج ٧، ص ٣٤٨.
٤٠. مسكويه، تجارب، ج ٥، ص ٤١٠؛ ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٣٥٠.
٤١. الأنطاكي، تاريخ، ص ١٥٧.

* باب الشماسية: بفتح اوله وتشديد ثانيه ثم سين مهمله، وهي محلة في بغداد، منسوب الى بعض شماسي النصارى، وهي مجاورة لدار الروم التي في اعلى بغداد واليها ينتسب باب الشماسيه، فيها دار معز الدولة، وهي في اعلى الرصافة ومحلة ابي حنيفة . انظر (ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، ٥ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م، ج ٣، ص ٣٦١).
٤٢. الهمذاني، تكملة، ص ٢١٨.
٤٣. مسكويه، تجارب، ج ٥، ص ٤١٢؛ الهمذاني، تكملة، ص ٢١٨.
* طيارة والسميرياتوالزبازب: نوع من انواع السفن. انظر (الصابي، ابي الحسن الهلال بن المحسن (٤٤٧هـ/١٠٥٥م)، الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار احمد فرج، الناشر مكتبة الاعيان، د.ت، د. ط، ص ٢٤).
٤٤. قطيعة ام جعفر: ام جعفر هي زبيدة بنت جعفر المنصور ام محمد الأمين، وكانت محلة في بغداد عند باب التين وهو الموضع الذي فيه مشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان يسكنها خدم أم جعفر وحشمها . انظر (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧٦) .
٤٥. مسكويه، تجارب، ج٥، ص ٤١٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٣٥١.
٤٦. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٣٥١؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان ١٩٨٥، ج٢، ص ١١٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٢٦، ص ٢٥٨.
٤٧. مسكويه، تجارب، ج٥، ص ٤١٤.
٤٨. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٢٦.
* ابن بقية محمد بن محمد بن بقية يكنى ابا الطاهر نصير الدولة، لقبه الخليفة المطيع لله بالناصح،عمل في مطبخ معز الدولة ثم اصبح وزير لعز الدولة، كان كريما جواداً فغطى بكرمه عيوبه. انظر (غضبان، علي حسن، الوزارة في عهد الامير عز الدولة بختيار البويهي(الوزير ابن بقية نموذجاً)، بحث منشور، مجلة الاستاذ، جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد، العدد ٢٠٢، لسنة ٢٠١٢، ص ٥٢٦-٥٢٧).
٤٩. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٣٥٢_٣٥٤.
٥٠. ابن كثير، البداية، ج ١٥، ص ٣٦٣، ٣٦٩-٣٧٠.
٥١. فناخسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه، اول من تلقب بشاهنشاه (ملك الملوك) ويوصف انه عاقلا، فاضلا، حسن السياسة، شديد الهيبة، ثاقب الراي، محباً للفضائل واهلها، الا انه كان يتجاوز في سياسته الشرعية فقد كان يعشق جاريه له فاشغلته عن امور الامارة فامر بقتلها غرقاً. انظر(ابن كثير، البداية، ج ١٥، ص ٤١١-٤١٢).
٥٢. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٣٧٧.
٥٣. ابو الفدا، المختصر، ج ٢، ص ١١٩؛ العدوان، احمد، الدولة الحمدانية، منشورات المنشاة الشعبية للنشر، ط١، ١٩٨١، ليبيا، ص ٢٠٤.
* الخلع هي حلل من حلل الخليفة يكف عن لبسها ويخلعها على من يريد تكريمه وتشريفه، كما تعني ما يمنحه الخليفة من الملابس الفاخرة والسلاح والاموال والمواكب الى من يريد تكريمه. انظر (خلف، صبيح نوري، خلع الخلفاء العباسيين السلطانية للامراء البويهيين (٣٣٤-٤٤٧ هـ)، بحث منشور، مجلة دراسات ايرانية، العدد ٨-٩، ص ١٣٨).
٥٤. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٢٨.
٥٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٢٦٧-٢٦٨.
٥٦. مسكويه، تجارب، ج٥، ص ٣٤٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٢٨-٦٢٩.
٥٧. ابن كثير، البداية، ج ١٥، ص ٣٩٧.

٥٨. مسكويه، تجارب، ج٥، ص ٤٥٢-٤٥٣.
٥٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٢٧١ – ٢٧٢.
٦٠. ابن كثير، البداية، ج ١٥، ص ٣٩٨.
٦١. خلف، كاظم ستر، رؤوف، زينب مهدي، مستوى المعيشة للمجتمع البغدادي خلال العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧ هـ / ٩٤٥-١٠٥٥م)، بحث منشور، مجلة جامعة بغداد، العدد ٨٥، لسنة ٢٠٠٩، ص ١٦.
٦٢. خضير، موفق عليوي، اقدم بيمارستان (مستشفى) تعليمي في بغداد في عهد عضد الدولة، بحث منشور،
مجلة كلية التربية الاساسية الجامعة المستنصرية، مجلد ٢١، عدد ٨٨، ٢٠١٥ بغداد، ص ٢١٢-٢١٦.
٦٣. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٣٩٥.
* ابو الحسن المعروف ابن حاجب النعمان وكان كاتب الديوان للخليفة الطائع لله وبعده للخليفة القادر بالله وكانت له شهرتة عظيمة في الكتابة، وكانت علاقتة وثيقة بالخلفاء. انظر (جاسم، حديس جاسم، محمد، عبد السلام جمعة محمد، كُتاب ديوان الرسائل: مكانتهم ودورهم في الحياة العامة للفترة (٣٤٧-٤٤٧ هـ / ٨٦١-١٠٥٦ م)، بحث منشور، مجلة سر من راى، جامعة تكريت كلية التربية، المجلد ٧، العدد ٢٤، السنة السابعة كانون الثاني ٢٠١١، ص١٠٧).
٦٤. ابن كثير، البداية، ج ١٥، ص ٤٠٢.
* الحاقة ٢٨-٢٩.
** النحل ١١١.
٦٥. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٤٠٤-٤٠٦؛ ابن كثير، البداية، ج ١٥، ص ٤١٠-٤١٤.
٦٦. الحنبلي، شذرات، ج ٤، ص ٣٩٢؛ ابن كثير، البداية، ج ١٥، ص ٤١٥.
٦٧. الروذراوري، ابي شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالله (ت ٤٨٨هـ /١٠٩٥م)، ذيل تجارب الامم، منشورات محمد علي بيضون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م، ج ٦، ص ٥٠ -٥١؛ ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٤٠٧.
٦٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٣٠١.
* الصاحب بن عباد هو ابو القاسم اسماعيل بن عباد ولد سنة٣٢٦ هـ وكان من العلم باعلى مكان ومن الرئاسة بارفع مكان ذا ادب وعلم باهر وكان شاعرا مجيدا ومحسناً ذو فصاحة وبلاغة ، سمي بالصاحب لانه كان صاحب مؤيد الدولة في صباه، توفي ٣٨٥هـ. انظر (محمود، سميعة عزيز، شعر الوزراء في العصر العباسي، بحث منشور، مجلة ديالى، جامعة ديالى كلية التربية الاصمعي، العدد ٤٣، ٢٠١٠م، ص ٣٠٥-٣٠٦)
٦٩. الروذراوري، ذيل، ج ٦، ص ٦٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٣٠٦.
٧٠. الروذراوري، ذيل، ج ٦، ص ٦٦؛ ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٤٢١.
٧١. الروذراوري، ذيل، ج ٦، ص ٦٨.
٧٢. الروذراوري، ذيل، ج ٦، ص ٧٥-٧٦؛ ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٤٢٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٣١٠.
٧٣. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٤٢٧، ٤٣٦.
٧٤. الروذراوري، ذيل ، ج ٦، ص ٨١-٨٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٤٢٧-٤٢٨.
٧٥. الروذراوري، ذيل، ٨٢.
٧٦. الروذراوري، ذيل، ٨٣.
٧٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٣٢١.

٧٨. الروذراوري، ذيل، ٨٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٣٢٢.
٧٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٣٢٢.
٨٠ ابن كثير، البداية، ج ١٥، ص ٤٢٨.
٨١. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٢٦، ص ٤٨٥.
٨٢. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٤٣٦.
٨٣. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٤٣٦-٤٣٧.
٨٤. الروذراوري، ذيل، ٩٢-٩٣.
٨٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص ٣٣٨.
٨٦. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٢٦، ص ٤٨٦؛ محسن، زهراء محسن حسن، الالقاب السياسية واهميتها في تشكيل واردات الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري، بحث منشور، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد ٣٣، سنة ٢٠١٥، النجف الاشرف، ص ٤٩٨.
* أرجان: بفتح أوله وتشديد الراء وجيم وألف ونون، وعامة العجم يسمونها أرغان، وقال الاصطخري: أرجان مدينة كثيرة الخير بها نخيل كثيره وزيتون وفواكه، وهي برية بحرية، سهلية جبلية، بينها وبين شيراز ستون فرسخاً، وكان أول من أنشاها قباذ بن فيروز والد أنوشيروان العادل وصارت في الإسلام كورة واحده مع كور الفرس. انظر (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٤٢–١٤٣) .
** شيراز: بالكسر وآخره زاي: بلد عظيم مشهور معروف ومذكور وفيه قصبة بلاد فارس، أول من تولى عمارتها في الإسلام محمد بن القاسم بن أبي عقيل وهو ابن عم الحجاج، وهي وسط بلاد فارس وبينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخاً. انظر (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٠) .
*** فسا: مدينة بفارس بينها وبين شيراز اربع مراحل، وهي اكبر كور دارابجرد، وهي مدينة مفترشة البناء واسعة الشوارع. انظر (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٥٠).
٨٧. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٤٣٧ -٤٣٨.
* البطائح: وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة، وجمعها البطائح والبطيحة والبطحاء واحد، وتبطح السيل إذا اتسع في الأرض، وبذلك سميت بطائح واسط لأن المياه تبطحت فيها أي سالت واتسعت الارض. انظر (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٥٠ - ٤٥١).
٨٨. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٤٣٩-٤٤٠.
٨٩. الفارقي، تاريخ، ص ٦٢.
٩٠. الروذراوري، ذيل، ١٢٣.
٩١. السيوطي، تاريخ، ص ٦٣٢.
* الاشراف هم السادة اهل البيت، ال النبي محمد (ص) ، وكانوا موضع احترام وتقدير عند البويهين لذلك
احضرهم بهاء الدولة للشهادة على خلع الخليفة الطائع، انظر (السامرائي، قاسم حسن، الاشراف في ظل الدولة العباسية، بحث منشور، مجلة سر من راى، جامعة تكريت كلية التربية، مجلد ٢، العدد ٢، السنة الثانية حزيران٢٠٠٦، ص ١، ٦).
٩٢. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٤٤٩.
٩٣. ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٤٥٠.

المهام غير القضائية للقاضي الفاطمي

في الدولة الفاطمية في مصر

The non- judicial tasks of the Fatimid judge in Egypt

م.م : جواد كاظم حسن
كلية الإمام الكاظم (ع) / للعلوم الإسلامية الجامعة
/قسم التاريخ
Assist.instructor: Jawad Kadhim Hassan
Imam Kadhim University College of Islamic Sciences

المستخلص

لم يقتصر عمل القاضي في العصر الفاطمي على الفصل بين الخصومات بين الناس وهذه وظيفة القضاء التي يقوم بها القاضي في الدولة الإسلامية ، بل اتسعت دائرة عمله فشملت الوزارة وهو نظام متعارف في الدول الإسلامية ، مرتبطا بالخلافة فضلا عن حق النظر في عدة أمور جعلت سلطته كبيرة ، ونفوذه عظيما ، ففي العصر الفاطمي كان على القاضي ان يحضر مع الخليفة ويؤدي أعمالا وفقا لرسوم وتقاليد فاطمية ايام المواسم والحج والأعياد الرسمية .

وتقليده الوزارة بمثابة مستشار الخليفة ومعاونه وكذلك كان على قاضي القضاة ان يحضر أيضا ليالي الجمع في الاسمطة التي كانت تمتد في شهر رمضان توقيرا له

كذلك نظر القاضي في القصص (العرائض) ،كما نظر في الجراح وفي الشرطة وفي اقامة الحدود ، ويسند للقاضي أيضا بيت المال وتولي الاحباس ،فضلا عن تولي نقابة الطالبين وكذلك تولى رتبة (الوساطة)، لأنه كان يتوسط بين الخليفة ورعيته وتصحبها

أيضا مهمة القيام بالسفارة لتدل على تحقيق رغبات الخليفة السياسية خارج حدود الدولة الفاطمية.

Abstract

In the Fatimid era, the judge did not limit the disputes between the people. This is the judicial function of the judge in the Islamic state. The ministry expanded its work. The ministry included a system that is recognized in the Islamic countries, linked to the succession, as well as the right to look at several things that made its authority great, And his influence is great. In the Fatimid period, the judge was required to attend the caliphate and perform acts according to the Fatimid customs and traditions during the seasons, Hajj and official festivals.

And the ministry used to serve as advisor to the caliph and his assistant. The judge was also required to attend the gathering of the sabbaths which were held in the month of Ramadan in honor of him.

The judge also considered the stories (petitions), as well as the surgeon, the police and the establishment of the borders. The judge assigned the house of money and the custody of the father, as well as the union of the students. He also took the rank of mediator because he mediated between the caliph and his sponsor, To indicate the fulfillment of the wishes of the political caliphate outside the borders of the Fatimid state.

المقدمة

ان المهام القضائية لم تكن جزء من واجبات القضاة الرسمية ، وانما كان القضاة يقومون بها تكليفا من الخليفة أو تطوعا ، مستفيدين من هيبة منصب القضاء ، الى حمل الناس ودعوتهم على ما يهدفون اليه من الخير أو الحفاظ على وحدة الدولة وتماسكها والدفاع عن الوطن بالحث على الجهاد ، باعتبار قاضي القضاة في الدولة الفاطمية من ابرز رجالات الدولة المقربين الى الخليفة ، وهذه الوظائف تتضمن أمورا دينية ليس لها علاقة بالقضاة ، فقد يطلب الخليفة من احد قضاته ان يضع له كتابا للمشاركة في الدعوة الفاطمية ، كما فعل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وطلب من القاضي ابو حنيفة النعمان المغربي حتى أصبحت الدعوة تعتمد على نشاطه الفكري كذلك كان للقاضي الإشراف على دار الضرب للسكة لضبط عيار ما يضرب من الدنانير والموازين والمكاييل ، ويقوم كذلك بالمشاركة في المراسيم وإدارة شؤون الدولة وهي المراسيم التي تقوم بها الدولة ايام مواسم الحج والأعياد الرسمية وفي رسوم المولد النبوي و عندما يحضر الى الجامع الأزهر ويكون أول من تفرق عليه الحلوى ولقاضي القضاة في الاعياد الرسمية أعلى مكانة بحكم منصبه الديني الرفيع فله التقدم على كل أرباب الوظائف .

ان الدولة الفاطمية التي نشأت في مصر من جملة الدول الاسلامية التي قلدت الدولة العباسية في نظام حكومتها وسائر شؤونها الا ما يتعلق منها بالدين لانهم ادركوا ان الدليل الصحيح لاتساع دولتهم يكون بالاقناع والحكمة ، وقام الجامع الازهر منذ نشأته بهذه المهمة العلمية كمدرسة رئيسية للدولة الفاطمية وكانت هذه الدراسة دينية فقهية وعقد اول حلقات الدرس بالازهر في صفر سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م)[١] وكان مكانا ساعد في تطور القضاء وبرزت مهام لم تكن جزء من واجبات القضاة الرسمية ، وانما كانوا يقومون بها تكليفا أو تطوعا ، مستفيدين من هيبة منصب القضاء الى حمل الناس على ما يهدفون اليه من الخير أو الحفاظ على وحدة الأمة باعتبار القضاة في الدولة الفاطمية من ابرز رجالات الدولة المقربين آلى الخليفة ، وهذه الوظائف تتضمن أمورا دينية ليس لها علاقة بالقضاء.[٢]

فقد تولى المعز لدين الله الخلافة ، وأهتم بشؤون الدولة ، فطلب من قاضي قضاته أبو حنيفة النعمان أن يضع له كتابا جامعا ، فكتب القاضي النعمان كتابه (دعائم الاسلام) وشارك في الدعوة الفاطمية في مهدها بالمغرب ، وقام بتأصيل اصولها حتى أصبحت الدعوة تعتمد على نشاطه الفكري بقدر اعتمادها على النشاط السياسي للخلفاء[٣].

فألف النعمان كتبه وكان يعرضها على الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، فهو يقول مثلا:(أمرني المعز لدين الله بجمع شيء نصه لي وجمعه وفتح لي معاينة وبسط لي ما جملته فابتدأت منه شيأ ثم رفعته اليه، واعتدت من الابطاء فيه لما أردته من أحكامه ورجوته من وقوع ماجمعته عنه بموافقته فطالعته في مقداره فوقع الي يانعمان لاتبال كيف كان القدرمع اشباع في ايجاز ، فكلما أوجزت القول وأستقصيت المعنى فهو أوفق وأحسن ، والذي خشيت من أن يستبطأ في تأليفه فوالله لولا توفيق الله عز وجل اياك ودعوته لك لما تفتقده من النية ومحض الولاية لما كنت تستطيع ان تأتي على باب منه في أيام كثيرة ، ولكن النية يصحبها التوفيق)[٤] .

وغالبا ما كانت تضاف الى الدعوة والخطابة والأمامة بالمساجد الجامعة وقراءة مجالس الحكمة بالقصر وكتابتها للقاضي الفاطمي[٥].

كذلك كان للقاضي الاشراف على دار الضرب أيام الخليفة الفاطمي لايتولاها الا قاضي القضاة تعظيما لشأنها،وتكتب في سجله ضمن مايضاف الى وظيفته ، ويقيم بدوره لمباشرتها من يختاره من نواب الحكم ، وبقي الأمر على ذلك زمنا بعد الدولة الفاطمية[٦] .

فقد ولي كل من (علي بن النعمان)و (محمد بن النعمان) علاوة على القضاء،النظر في ديون الضرب لضبط عيار ما يضرب من الدنانير والموازين والمكاييل ،كذلك أضيف الى القاضي (العباس بن العوام) الحنبلي المذهب النظر في العيار ودار الضرب[٧] .

ولقد قسمت مصر في عصر الفاطميين، الى أربعة أقسام أدارية سياسية ، يقال لكل منها (ولاية)جمعها (ولايات)، وعلى رأس كل منها حاكم يعرف (بالوالي) ، فكانت الولايات موزعة على اساس ولاية بالصعيد، وثلاث باسفل الارض [٨] . ويبدو ان هذه الولايات مثل الاسكندرية وتنيس [٩] ، تدخل تحت حكمها الولايات الصغار وبعض مدن الحدود وهي التي استقر عليها حال الدولة الفاطمية[١٠] ويشير ابن الصيرفي ، ان أدارة الولايات في زمن الفاطميين كانت أفضل تنظيمنا وأكثر استقرارا وكان ديوان الانشاء في القاهرة يحتوي على تفاصيل الادارة المحلية والعلاقة بين الادارة المركزية والادارة المحلية أشد وأقوى [١١] .

المشاركة في المراسيم وادارة شؤون الدولة:

لم يقتصر عمل القاضي في العصر الفاطمي على الفصل في الخصومة بين الناس ، بل أتسعت دائرة عمله فشملت حق النظر في أمور عدة جعلت سلطته كبيرة ونفوذه عظيما ، فكان على القاضي ان يحضر مع الخليفة ويؤدي اعمالا وفقا لرسوم وتقاليد معينة أيام المواسم والحج والأعياد الرسمية ، فاذا جلس الخليفة في المواكب كان أول ماثل للخدمة بالسلام عليه هو قاضي القضاة والشهود المعرفون بالاستخدام فيجيز صاحب الباب القاضي دون من معه ، فيسلم القاضي على الخليفة بأدب الخلافة ،بان يرفع يده اليمنى ويشير بالمسبحة ويقول بصوت مسموع (السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته،يتخصص بهذا الكلام الخليفة الفاطمي دون غيره [١٢] ، ويشرفه الخليفة بالصعود معه على المنبر في بعض الأعياد أحياناً)[١٣] .

وفي ليالي الرقود الأربع (وهي ليلة أول رجب ونصفه ، وأول شعبان ونصفه)[١٤] كان على القاضي أن يرد السلام على الخليفة عندما يظهر للناس ، ويبدأه بالسلام ولقاضي القضاة في الأعياد الرسمية أعلى مكانة بحكم منصبه الديني الرفيع ، فله التقدمة على كل أرباب الوظائف ، ماعدا وزير التفويض ، بسبب سلطته العامة على القضاء [١٥] كذلك كان لقاضي القضاة في المراكب الرسمية،حق الركوب بالطبل والبوق والبنود ، وبين يديه القراء والمؤذنون،وهنايجب ان يكون قاضي القضاة يلي الدعوة أيضا [١٦] ومن رسوم القاضي في ليلة النصف من رجب فوق ماتقدم أن يتوجه بعد صلاته بجامع عمرو الى القرافة ليصلي في جامعها [١٧] .

ومن رسوم القاضي الفاطمي في المولد النبوي (الثاني عشر من ربيع الأول) وفي مولد الامام علي (عليه السلام) ، عندما يحضر ومعه الشهود الى الجامع الأزهر ، أن يكون أول من تفرق عليه الحلوى [١٨] .

وكان من متطلبات وظيفته القاضي أن يحضر ركوب الخليفة في المواكب العظام ، ففي أيام الجمع الثلاث من رمضان (وهي الجمع الثانية والثالثة والرابعة) ، أن يصعد المنبر وفي يده مدخنة يبخر المنبر والقبة التي يقف تحتها الخليفة وقت القاء الخطبة ، واذا أذن الجمعة ، دخل قاضي القضاة على الخليفة وقال : ((السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضي الخطيب ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله)) ، فأذا سمع الخليفة سمع القاضي المؤذنين فيسمع المؤذنون الناس [١٩] (وان القاضي كان يبلغ التكبير وعندما يركب الخليفة يوم عيد الفطر لصلاة العيد يلازمه القاضي [٢٠] .

أما في ركوب الخليفة لصلاة عيد الفطر والأضحى فقد أنيطت بالقاضي أعمال رسمية أخرى عند حضوره ، فكان يخرج من كمه كتاباً أعده أحد كتاب ديوان الأنشاء وعرض قبل ذلك على الخليفة والوزير ، ليعطيه للخليفة ليقرأه ، ثم يحضر بعدها القاضي الى المنحر ، حتى اذا نحرت الأضحية بين يديه هو والخليفة قام القاضي بتوزيعها مع غيره على الطلبة وغيرهم بجوامع القاهرة [٢١] .

وعندما يركب الخليفة الى المقس ، للأشراف على الأسطول [٢٢] يقرأ عليه ويعوذه وخلفه القاضي [٢٣] وكما كان من رسوم القاضي أن يكون حاضراً مواسم الأعياد المفرحة كذلك كان عليه أن يحضر الاحتفالات الرسمية المحزنة ، كالاحتفال بيوم عاشوراء ، يركب فيه قاضي القضاة والشهود مرتدين ثياب الحداد الى الجامع الأزهر ، فاذا أتموا رثاء الامام الحسين (عليه السلام) ، ذهبوا مع الحاضرين لهذا المأتم الى القصر ، وقد فرشت أروقته بالحصر بدل البسط ، وهناك يمد سماط الحزن ويقدم فيه العدس والأجبان والألبان والخبز ، وكان على القاضي ان يشارك من حضر من الناس [٢٤] .

كذلك كان على قاضي القضاة أن يحضر أيضاً ليالي الجمع في الأسمطة التي كانت تمتد في شهر رمضان توقيرا له ، كما يرى في بعض الأعياد ممتطياً جواداً متقدماً للموكب ونائباً عن الخليفة [٢٥] . ولما ولد للخليفة الأمر ولي عهده في ربيع الأول سنة (٥٢٤ ه / ١١٢٩م) ، وسماه (أبا القاسم الطيب)، زينت مصر والقاهرة وعملت الملاهي في الأسواق وغيرها ، ولبست العساكر ، ثم أحضر المولود بمعية قاضي القضاة ، حيث نثرت الدنانير على رؤوس الناس وعملت الأسمطة [٢٦] .

كذلك نظر القاضي الفاطمي في القصص (العرائض) ، فمثلاً كان (القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان) سنة (٣٩٤ ه /١٠٠٣ م) متولياً للقصص علاوة على القضاة [٢٧] كذلك نظر القاضي الفاطمي في الجراح وفي الشرطة وفي أقامة الحدود [٢٨] ويسند للقاضي في بعض الاحيان (بيت المال) ، ويعهد له بأموال اليتامى ومراقبتها ، وتولي أحباس (الاوقاف) الجوامع والمساجد ولها ديوان خاص ، وكان القاضي يتلمس رؤية هلال رمضان فوق سطح الجامع العتيق كما فعل القاضي (أبو الطاهر) جرياً على العادة المتبعة [٢٩] . وأحياناً يضيفون للقاضي نقابة الطالبيين [٣٠] ، فتولى القاضي (الحسن بن محمد بن طاهر) نقابة الطالبين في العصر الفاطمي [٣١] ، أما المناطق القضائية ، فكان القاضي الفاطمي تمتد أعماله ، فضلاً عن الديار المصرية ، يولى على قضاء القاهرة والأسكندرية والشام والحرمين والمغرب وأعمال

ذلك ، فعندما قرئ سجل القاضي (علي بن النعمان) ، جعل له ولاية ذلك كله ولما ولي القاضي ،(محمد بن النعمان) القضاء سنة (٣٧٤ ه / ٩٨٤ م) ، أمتد أختصاصه على الديار المصرية والأسكندرية والحرمين وأجناد الشام [٣٢] وكان التقسيم الأداري يشمل ثلاث مماليك أو أقطار كبيرة هي : البلاد المصرية وفيها القاهرة مركز الخلافة الفاطمية ، ثم الشام وللخليفة فيها نوابه يحكمونها وسائر فلسطين، أما افريقيا وله فيها نواب يعرفون بالولاة يحكمونها بأسمه ، بمعنى انه كان يدعى للخليفة الفاطمي فيها ولكنها كانت مستقلة في شؤونها ، كما حصل هذا في اليمن زمن الدولة المصلحية سنة (٤٤٢ ه) وفي بغداد سنة (٤٤٩ ه) عندما أخذها أبو الحارث البساسيري وخطب للخليفة المستنصر الفاطمي أربعون خطبة [٣٣] .

وعندما ولي القاضي (عبد العزيز بن النعمان) القضاء سنة (٣٩٤ ه – ١٠٠٣ م) ، عهد اليه بالقضاء على القاهرة المعزية ومصر والأسكندرية والحرمين وأجناد الشام والرحبة وبرقة والمغرب وأعمالها) [٣٤] .

مهام قاضي القضاة في الوزارة والسفارة :

الوزارة نظام متعارف عليه في الدول الأسلامية ، مرتبطاً بالخلافة ، وكان الوزير بمثابة مستشار الخليفة ومعاونه ، وتقليد الوزارة جائز للخليفة من الوجه الشرعية ، استناداً الى قوله تعالى على لسان موسى (عليه السلام) : (واجعل لي وزيرا من اهلي ، هارون أخي ، أشدد به أزري ، وأشركه في أمري)[٣٥] وتعتبر من أرفع المناصب وأسماها ، وتسمى عند الفاطميين (رتبة)[٣٦] وهذه الكلمة تطلق على الوظائف العامة التي كانت الوزارة واحد منها ، وهي أعلى رتبة في الدولة الفاطمية (كما في غيرها من الدول الأسلامية) ، تنقسم الى نوعين : وزارة القلم ووزارة السيف [٣٧] الأ ان الوزارة في أوائل عصر الدولة الفاطمية في مصر ، يعبر عنها بألفاظ خاصة ، فقد أوجد الفاطميون مايعرف برتبة (الوساطة) [٣٨] لانه كان يتوسط بين الخليفة ورعيته [٣٩] وانها كانت تصحب غالباً بما يسمى (السفارة) ، لتدل على رتبة من يقوم بتنفيذ رغبات الخليفة [٤٠] في تحقيق أغراض سياسية ، لان الخليفة الفاطمي في أول عصر الدولة الفاطمية ، في مصر أراد الأبقاء على كل سلطته والاستئثار بكل سيطرته ، فكان يعتمد في تصريف الأمور على (وسيط) وليس على (وزير) ، له حق تصريف الأمور بعد الرجوع فيها الى الخليفة الفاطمي [٤١] .

لذلك كان قاضي القضاة في الدولة الفاطمية يتولى بين حين وآخر ، بعض المسؤوليات ، جعلت مركزه ومكانته في الدولة موضع مشاورة الوزراء في الكثير من أعمال

الخليفة فقد كان قاضي القضاة (علي بن النعمان) أول قاضي للقضاة الذين انبسطت نفوذهم في الأحكام ، فكانت الأمور عندما تجري يطلع عليها ، واختص ابن النعمان بالخليفة الفاطمي العزيز بالله كأختصاص أبيه بالخليفة المعز لدين الله وأن جميع الأعمال داخله في ولايته [٤٢] وكان الفاطميون يوكلون أحياناً أمور دولتهم الى موظفين في خدمتهم ومنهم قاضي القضاة دون أن يكون لهم لقب (وسيط) ، يلقبونه بألقاب فها (موقع) أو (مدبر) [٤٣] فأسم الوزير كان غير مقبول في أول دولة الفاطميين ، لذلك كان آجل أصحاب وظائفهم شخص غير الوزير هو في أغلب الاحيان قاضي القضاة[٤٤] .

أما تسمية الوزير (وزيراً) فأنها لم تظهر الأ في أواخر أيام الخليفة العزيز بالله سنة (٣٦٥ ه / ٩٧٥ م – ٣٨٦ ه / ٩٩٦ م) ثاني خلفاء الفاطميين في مصر [٤٥] .

ومن أعمال القاضي التي لها صفة ادارية أيضاً أن يجمع مع القضاء الوزارة ففي سنة (٤٤١ ه / ١٠٤٩ م) ولي القضاء (أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري) ، ثم اضيفت اليه الوزارة ، فكان أول من جمع بينهما ، ولما صرف في محرم سنة (٤٤٥ ه / ١٠٥٣ م) ، صارت الوزارة تضاف أحياناً للقاضي [٤٦] ولقد وردت كلمة (وزارة) في سجل تولية القاضي الجرجائي الذي خدم في دواوين الفاطميين ، في عهد الخليفة الحاكم وقد وزر الجرجائي بعد الحاكم للظاهر والمستنصر ، وتوفي سنة (٤٣٦ ه / ١٠٤٥ م) [٤٧] .

كذلك أضيف الى القاضي (أحمد بن عبد الكريم بن أبي سعيد الفارقي) سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م) في خلافة المستنصر الوزارة [٤٨] ، ثم ولى القاضي (الحسن بن كدنية) سنة(٤٦٤ ه / ١٠٧١ م) الوزارة ، ولقب (ثقة الدولة وسناؤها)[٤٩] .

لقد كلف القضاة من قبل الخلفاء الفاطميين بمهام للسفارة خارج حدود الدولة الفاطمية ، وكان اختيار القضاة لأداء هذه المهمة اختباراً موفقاً ، بفضل القدرات العلمية والمؤهلات الثقافية ، ولقد أولت المصادر التي اطلعت عليها أهمية خاصة للسفارة التي قام بها (أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي) ، توفي سنة (٤٥٤ ه / ١٠٦٢ م) الفقيه المحدث ، تولى القضاء وغيره من مهام الدولة في عهد الخليفة المستنصر بالله ، وأوفده المستنصر سفيراً الى (تيودورا) ، قيصرة القسطنطينية سنة (٤٤٧ ه / ١٠٥٥ م) لعقد الصلح بينها وبين مصر [٥٠] وكان صاحب بيت المال وصاحب الباب او نائبه يستقبلون سفراء الدول والولايات ، وينزلونهم في الاماكن اللائقة بهم ، ويرتب لهم

القراء الذين يقرأون القرآن الكريم في حضرة الخليفة الفاطمي ويعرفون بقراء الحضرة [٥١] .

الشهود على البيعة والوصية :

كان الخلفاء الفاطميين لايدخرون وسعاً في التعبير عملياً عن احترامهم وتقديرهم للقضاة كلما سنحت الفرصة بذلك فكانوا حريصين على التقرب منهم ، وبسبب ذلك أحتل بعض القضاة مكانة متميزة عندهم ، فأخذ يناط بقاضي القضاة القيام بالأعمال الجليلة ، ويستشار في الأمور الهامة، فعندما شعر الخليفة العزيز بالله بدنو آجله استدعي القاضي (محمد بن النعمان) ليوصيه على خلافة أبنه الحاكم بأمر الله وعهد اليه قراءة السجل المتضمن وراثة الحاكم بأمر الله للخلافة بعد أبيه ، ثم تولى غسله بعد موته [٥٢] .

ولما لم يعرف سر موت الخليفة الحاكم بأمرالله أنيط بالقاضي الكشف عنه [٥٣] وأخذ قاضي القضاة (علي بن نافع بن الكحال) الشهود والبيعة على مقدمي الدولة ورؤسائها وأعيانها للخليفة المستعلي بالله [٥٤]

كما يعهد لقاضي القضاة بقراءة سجل ولاية كبار الدولة ، فقد قرأ القاضي (محمد بن النعمان) ، سجلا بالجامع يتضمن ولاية (الحسن بن عمار الكتامي) للوساطة ، كما قرأ قاضي القضاة سجل الوزير (أبي الفتح يانس) على المنبر بحضور الخليفة الحافظ [٥٥] ونرى تعدد أعمال القاضي وسعة سلطته واختصاصه في الدولة الفاطمية ، إذ أصبح غير قاصر على الفصل في الخصومات بين الناس ، بل اتسعت دائرة عمله فشملت حق النظر في أمور عدة جعلت سلطته كبيرة ، ونفوذه عظيماً ، ولم يقتصر القضاء آخر الامر على الفصل في الخصومة ، فأخذ ينظر في أمور اخرى كثيرة [٥٦] ومنها دور قاضي القضاة في تثبيت العدل وتجنب الجور ففي سنة (٣٦٥ ه) لما ولى العزيز بالله الفاطمي على دمشق (عيسى ابن نسطورس النصراني ومنشأ اليهودي) ، فكتبت اليه امرأة : (بالذي أعز اليهود بمنشأ والنصارى بابن نسطورس وأذل المسلمين بك ، الآ نظرت في أمري)[٥٧] فأشار قاضي القضاة الى الخليفة بأنصاف المظلوم ، (فقبض على اليهودي والنصراني وأخذ من أبن نسطورس ثلثمائة الف دينار) [٥٨] ثم ولى الخليفة الفاطمي على دمشق (ابراهيم بن جعفر الكتامي) سنة (٣٦٥ ه) وفي أيامه فتحت ولاية حمص وحماة وحلب والموصل [٥٩] .

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا : المصادر الأولية

ابن الاثير ،أبو الحسن علي ابن ابي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠/١٠٢٣م).

١- الكامل في التاريخ،(بيروت – ١٩٧٦م)

أبن تغري بردي ،جمال الدين ابي المحاسن(ت٨٧٤هـ /١٤٧٠م)

٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،(القاهرة – ١٩٥٥م)

أبن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)

٣- رفع الاصر عن قضاة مصر ، تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد المهدي ،المطبعة الاميرية ،(القاهرة – ١٩٥٧م)

ابن خلدون ،عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ/١٤٠٧م)

٤- مقدمة أبن خلدون ،باعتناء نصر الهوريني،(القاهرة-١٢٧٤هـ)

٥- العبر وديوان المبتدا والخبر ،(القاهرة -١٢٧٤هـ)

أبن خلكان ،شمس الدين بن أحمد،(ت٦٨١هـ/١٢٨٥م)

٦- وفيات الأعيان،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،(القاهرة-١٩٤٨هـ)

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت٩١١هـ- ١٥٠٥م).

٧- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ،تحقيق أبو الفضل ابراهيم،(القاهرة – ١٩٦٧م)٠

أبن الصيرفي ،أبو القاسم علي بن منجب (ت٥٥٠هـ- ١١٥٥م)

٨- الأشارة الى من نال الوزارة ،(القاهرة – ١٩٢٤م)

أبن طاهر ،جمال الدين أبو الحسن علي (ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م)

٩- أخبار الدول المنقطعة (القاهرة –لا ت)

العيني ، بدر الدين محمود(ت٨٥٥هـ/١٤٥١م)

١٠- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ،(القاهرة –لا.ت)

العيدروسي ،عبد القادر بن شيخ(١٠٣٨هـ/١٦٢٨م)

١١عمدة الطالب في أنساب أبي طالب ،(بومباي -١٣٦٨هـ)

القلقشندي، أحمد بن عبدالله (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

١٢- صبح الأعشى في صناعة الأنشا ،(القاهرة-لا.ت)

أبن القلانسي ، أبو يعلي حمزة(ت٥٥٥ هـ/١١٦٠م)

١٣- ذيل تاريخ دمشق ،(بيروت -١٩٨٠م).

الكندي،أبو عمربن محمد بن يوسف (ت٣٥٩هـ)

١٤- الولاة والقضاة ،(القاهرة -١٩٠٨م)

المقريزي ،تقي الدين احمد بن علي(ت ٨٤٥هـ)

١٥- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار،(القاهرة -١٢٧٠هـ)

١٦- اتعاظ الحنفا بأخبارالأمة الفاطمين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال ،(القاهره-١٣٦٧هـ)

أبن ميسر ،محمد بن علي بن جلب ،(ت٦٧٧ه/١٢٨٧م).

١٧- تاريخ مصر،(القاهرة -١٩١٩م)

النعمان ،أبو حنيفية ابي عبدالله محمد بن منصور المغربي التميمي (ت٣٦٣هـ/١٩٧٨م)

١٨- المجالس والمسايرات،تحقيق الحبيب الفقي وآخرون ،(تونس-١٩٧٨م)

النويري ،أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٣هـ/١٣٣١م).

١٩- نهاية الأرب في فنون الأدب ، (القاهرة-١٩٥٥م).

ثانيا : المراجع الثانوية

الامين ،حسن

٢٠- موسوعة المعارف الاسلامية الشيعية ،مطبعة دار الهدى ، (بيروت -١٩٧٢م).

حسن ،ابراهيم حسن

٢١- الفاطميون في مصر ، (القاهرة- ١٩٦٣م).

٢٢- اليمن البلاد السعيدة ،(القاهرة –لا.ت)

٢٣- تأريخ الأسلامي السياسي ،(القاهرة – ١٩٦٤م).

مشرفة ، عطية مصطفى

٢٤- نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ، مطبعة الاعتماد، (القاهرة -١٩٤٨م).

المناوي ، محمد حمدي

٢٥- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي دار المعارف في مصر،(القاهرة –لا.ت).

خليل ،عبد الحميد عبدة

٢٦- الأدب في العصر الفاطمي ،(القاهرة – ١٢٨٤هـ).

الهـوامش:

١- أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ١٧٦/٥
٢- أبن خلكان، وفيات الأعيان، ١٦٦/٢
٣- م . ن ١٦٦،١٦٢/٢٢
٤- القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، ٧٥/١
٥- ابن حجر ، رفع الاصر ، ٤٠٧/٢
٦- القلقشندي ، صبح الاعشى ،١٦٦/٣
٧- المقريزي ،٢٤٦/٢
٨- القلقشندي ، صبح العشى ، ٤٩٧/٣-٤٩٨
٩- المقريزي الخطط ، ٢٠٣،١٧٤/١
١٠-القلقشندي، م.ن ،٤٩٨/٣
١١-ابن الصيرفي ، الاشارة الى من نال الوزارة ، ص٤٥-٥٠
١٢-القلقشندي، م.ن ، ٥٠٠/٣؛ المقريزي ، م.ن ، ٢١٩/٢
١٣-المقريزي ، م.ن ، ٢١٨/٢
١٤-م.ن ، ٤٦٧،٤٣٣/١
١٥-م.ن ، ٤٠٤/١
١٦-م.ن ، ٤٠٤/١-٤٠٥
١٧-القلقشندي م.ن ، ٥٠١/٣-٥٠٢
١٨-م.ن ،٥٠٣/١
١٩-ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١٠٤/٤
٢٠-النويري نهاية الارب ، ٤٤/٢٦؛ المقريزي ، الخطط، ٣٢٢/٢
٢١-القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٥١٢/٣-٥١ ؛المقريزي ، الخطط، ٢/ ٣٢٩ ؛ ابن تغري بردي ، ٣٦٢/٤
٢٢-المقريزي ، الخطط ، ٣١٧/٣ (ويذكر ان المعز لدين الله هو الذي انشأ دار الصنعة التي بالمقس ، وبها ستمائة مركب لم ير مثلها في البحر على ميناء).
٢٣-المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ص١٩٢
٢٤-المقريزي، الخطط ، ٢/ ٢٨٩؛ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة،١٥٣-١٥٤
٢٥-القلقشندي، صبح الاعشى ، ٥٧٢/٣ ؛ المقريزي ، ٢/ ٢١٩؛ حسن ، ابراهيم ، الفاطميين في مصر ،ص٢٧٢
٢٦-ابن ميسر ، تاريخ مصر ،٧٢/٢
٢٧-ابن حجر ، رفع الآصر ، ١٦٥/١

obeikandi.com

٢٨-المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ص٧٩ (كان اول من جمع له القضاء والشرطة القاضي (عابس بن سعيد) جمعها له امير مصر (مسلم بن مخلد الانصاري)سنة ٦١هـ)

٢٩-ويذكر ان قاضي مصر (عبد الله بن لهيعة الحضرمي) من قبل جعفر المنصور سنة (١٥٤هـ / ٧٧٠م)أول قاضي حضر في طلب رؤية هلال شهر رمضان ، (الكندي ، الولاة والقضاة ،ص٣٧٠)

٣٠-القلقشندي،صبح الاعشى ، ٤٨٥/٣،٤٨٦؛السيوطي،حسن المحاضرة ، ١١/٢(نقابة الطالبيين نسبة الى الامام علي(عليه السلام)وكان لايتولى نقابة الطالبيين الا أكابر الشيوخ وأجلهم ، فيهتم بأمورهم ، ويمنع من يتدخل فيهم من الأدعياء ويهتمم بصحة الأنساب وثبوتها ، ويمشي في جنائزهم ، ويسعى في حوائجهم ، ويعود مرضاهم،ويمنع المعتدي منهم عليهم ويوثق عرى المحبة والمودة بين أفرادهم ولا يبت في أمر من أمورهم لأبعد استشارة مشايخهم)، (العيد روسي ، عبد القادربن شيخ (ت١٠٣٨هـ/١٦٨٢م)، عمدة الطالب في أنساب أبي طالب ،(بومباي - ١٣٦٨هـ)،ص٣٥-٤٠

٣١-القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٤٨٦/٣

٣٢-أبن حجر ، رفع الآصر ،٢٥٤/٢

٣٣-أبن ميسر ، تاريخ مصر ، ٩٤/٢؛المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ص٢٠١ ؛ أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٢٥٢/٤،٢٦٨ ؛ مشرفة ،نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ، ص١٤٤ ؛ حسن ، ابراهيم، اليمن البلاد السعيدة ، ص٦٥،٦٧

٣٤-أبن ميسر، تأريخ مصر،٣٦٠/٢

٣٥-سورة طه ، الاية /٢٩-٣٢

٣٦-المقريزي ، الخطط ، ٤٣٩/١

٣٧-المقريزي ، الخطط ، ٤٤٠/١؛القلقشندي ،صبح الأعشى ، ٢/ ١٤٩، ٤٨٩/٣

٣٨-المقريزي، الخطط٤٤١/١ ؛ أبن الصيرفي ، الأشارة الى من نال الوزارة ، ص٢٨

٣٩-أبن القلانسي ، ذيل تأريخ، ص٨١ ؛المناوي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص٦١-٦٣

٤٠-المقريزي الخطط ، ٢٤٢/١

٤١-أبن الصيرفي ، الأشارة الى من نال الوزارة ،ص ٢٩

٤٢-ابن حجر ، رفع الاصر ، ٤٠٩/٢

٤٣-ابن الصيرفي ، الاشارة الى من نال الوزارة ، ص٢٩ ؛ المناوي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ص١١٥-١٢٠

٤٤-ابن طاهر أخبار الدول المنقطعة، ص٤٣ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٢٦/ ٣٧

٤٥-السيوطي ،حسن المحاضرة ، ١١٦/٢ ؛ المقريزي ، الخطط ، ٨/٢؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤٥/٢ ؛ حسن ، ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي ، ٤٤٣/٣

٤٦-النويري، نهاية الارب ، ٦٦/٦٢؛ ابن حجر ، رفع الآصر، ٨٣/١؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٩١/٢

٤٧-ابن الصيرفي ، الأشارة الى من نال الوزارة ، ص ٣٥ -٣٧؛ أبن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٨١ ؛ المناوي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص٨٢

٤٨-أبن حجر ، رفع الآصر ، ٣٣/١

٤٩-أبن ميسر ، تاريخ مصر ٢١،٨٨/٢

٥٠-أبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٦٣/٣؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٦٩/١ ؛ خليل ، عبد الحميد ، الادب في العصر الفاطمي، ص٩٠

٥١-القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٤٩٥/٣

٥٢-أبن خلكان، وفيات الاعيان ، ٥٥/٣؛ العيني ، عقد الجمان ، ١٦٦/١٩

٥٣-أبن ميسر، ٧/٢-١٠ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدا والخبر، ٦١/٤

٥٤-النويري ، نهاية الارب ، ٧٣/٢٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١٥٣/٥ ؛ الامين ، حسن ، موسوعة المعارف الاسلامية الشيعية ، ٤/ ١٢٤-١٢٥

٥٥-ابن ميسر ، تاريخ مصر ، ٧٢،٧/٢

٥٦-ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٩٣

٥٧-ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ١١٥/٤

٥٨-أبن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٧/٩ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٢١٦/٤

٥٩-أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١١٥/٤-١١٦

obeikandl.com

العلاقات التاريخية بين اليمن والحبشة

للفترة (٦٤٧- ٨٢٧هـ/١٢٤٩- ١٤٢٣م)

(Historical relations between Yemen and Abyssinia for the period 647-827 AH / 1249-1423)

م.د نضال عبد جبار
كلية الأمام الكاظم للعلوم الإسلامية / قسم التاريخ
M.Dr: Nidhal Abd Jabbar
Department of History
Faculty of Imam Kadhim(p)

الملخص

ارتبطت اليمن ببلاد الحبشة بعلاقات قائمة على المصالح المشتركة نظراً لقرب المواقع لجغرافية بينهما وفي الجانب السياسي ازدهرت العلاقات وتطورت وقد تبلور بالمواقع التي أظهرها حكام بني رسول أمام ملوك الحبشة، فقد كان كثيراً ما يلجأ ملوك الحبشة الى ملوك بني رسول في إنهاء أزماتهم السياسية ففي سنة (٨٢٥هـ/١٤٢١م) تعرضت امارات الطراز الإسلامي إلى الاضطهاد فهرب أبناء أحد حكام الإمارات من ظلم وبطش ملك الحبشة، فأستقبله الملك احمد الرسولي ومد يد العون لما يحتاجونه من الأسلحة والمعدات الحربية.

أيضاً ازدهرت العلاقات الاقتصادية بين البلدين فقد لعبت الموانئ اليمنية والحبشة دور الوسيط في نقل البضائع والسلع، فضلاً عن مواقعها الجغرافية القريبة

obeikandl.com

سهلت التواصل وبالتالي نشاط حركة التجارة بين البلدين ومن أشهر هذه الموانئ عدن وزبيد وميناء مقديشو ومدينة دهلك، كذلك تنوعت الصادرات والواردات وتصدر التجارة الرقيق أهم واردات اليمن من الحبشة فضلاً عن الجلود والدواب وغيرها، وكانت واردات الحبشة من اليمن السلع المحلية اليمنية، فضلاً عن الدور الوسيط الذي قاده اليمنيون في تجارة البضائع والسلع الشرقية من الهند والصين.

اما العلاقات الثقافية فكان لها نصيب وافر من الازدهار وتطور فقد تمحورت حول الرحلات العلمية ومن اشهر هذه الرحلات رحلة الفقيه اليمني الشيخ صارم الدين داود بن صالح الى الحبشة ورحلة الفقيه الحبشي محمد بن بكر ال بجد أي الذي أخذ من علماء اليمن وأبدع في القراءات والنحو.

Abstract

Yemen was associated with the land of Abyssinia relations based on common interests due to the proximity of the geographical location between them on the political side increased relations and developed and was crystallized by the positions shown by the rulers of Bani Rasul in front of the kings of Abyssinia, In the year (825 AH / 1421 AD), the emirates of the Islamic style were persecuted. The sons of one of the rulers of the emirates fled from the oppression and oppression of the King of Abyssinia. King Ahmed Al-Rasooli received him and extended a helping hand with the weapons they needed. And war equipment

The economic relations between the two countries also flourished. The ports of Yemen and Habashiya played the role of intermediary, transporting goods and commodities, as well as their geographical locations, facilitating communication and thus the activity of the trade movement between the two countries and the most famous ports of Aden and Zabid, the port of Mogadishu and the city of Dahlak.

mports and exports of the most important slaves wanted Yemen from Abyssinia as well as leather and fat, etc. The imports of Abyssinia from Yemen were local commodities as well as the intermediary role led by Yemenis in the trade of goods and eastern commodities from India and China
The cultural relations have had a lot of prosperity and the development of relations delegation focused on scientific trips and the most famous of these trips the journey of the Yemeni jurisprudential Sheikh Saqr al-Din Daoud bin Saleh to Abyssinia and the journey of the jurisprudence of the Prophet Mohammed bin Bakr al-Jedaie, who took the scholars of Yemen and excelled in readings and grammar.

المقدمة

نظراً لقرب الجغرافية بين اليمن والحبشة، مهدت لإقامة علاقات بينهما، منذ أقدم العصور وخاصة العلاقات التجارية، وكانت الهجرات العربية الى سواحل البحر الافريقي مستمرة عبر التاريخ، إذ اتخذ العرب من الساحل الشرقي لأفريقيا مكاناً للهجرة والتجارة، فأسسوا مركز تجارية ثم تطورت بفعل الهجرات المتوالية عليها الى أمارات يحكمها العرب المسلمين عرفت بأمارات الطراز الإسلامي، استطاعت ان تمد علاقاتها مع البلاد الإسلامية ومنها الدولة الرسولية ،وكان لتغير طرق التجارة والدور الذي لعبته اليمن كوسيط تجاري بين المشرق والحبشة ونظرا لقيام أمارات الطراز في تلك المنطقة بتأمين تجارة اليمن وتنشيطها إذ كانت هذه الإمارات تسيطر على موانئ بهضبة الحبشة ،هذا فضلا عن التجانس الديني والعرقي واللغوي بين هذه الإمارات وبلاد اليمن الذي زاد من قوة العلاقات بين اليمن والحبشة.

ومن هنا جاء اختيار الموضوع البحث ((العلاقات التاريخية بين اليمن والحبشة للفترة ٦٤٧-٨٢٧هـ/١٢٤٩-١٤٢٣م)) مبرراً رئيسياً ، مع الأخذ بنظر الاعتبار انعدام الدراسة في هذا الجانب.

ومن أهداف دراسة الموضوع هو الاطلاع على العلاقات الخارجية التي قامت بها الدولة الرسولية، وكيف كانت طبيعة العلاقة التي أقامتها اليمن مع الحبشة، فضلاً عن التعرف على الأحوال السياسية والاقتصادية والفكرية لكل منهما.

وتم تقسيم البحث الى ثلاثة مباحث تناولنا في المبحث الأول العلاقات السياسية والمبحث الثاني تركز حول العلاقات الاقتصادية اما المبحث الثالث فكان عن العلاقات الثقافية بين اليمن والحبشة.

المبحث الأول: العلاقات السياسية بين البلدين:

ارتبطت اليمن ببلاد الحبشة بعلاقات ودية بصورة عامة، ذلك نظراً لقرب المواقع الجغرافية، إذ لا يفصلها سوى البحر الأحمر، فكان من الطبيعي ان تقوم علاقات بينهما، ففي عهد الدولة الرسولية ازدهرت هذه العلاقات وتطورت، وقد تجلى ذلك بالمواقف التي أظهرها ملوك الحبشة اتجاه ملوك بني رسول، فقد كان كثيراً ما يلجأ ملوك الحبشة إلى ملوك بني رسول للوساطة في حل أزماتهم مثل ما حدث سنة (٦٧٣هـ/١٢٧٤م) ليرسل لهم مطراناً مصرياً[١]فتجاهل السلطان بيبرس طلب ملك الحبشة فأرسل كتاب الى الملك المظفر الرسولي (٦٤٧/٦٩٤هـ/١٢٥٠/١٢٩٥م) ليتوسط لهم في هذا الأمر وبالفعل استجاب الملك المظفر وأرسل كتاب الى الظاهر بيبرس، فأذعن للأمر وأرسل مطراناً تلبية لرغبة صاحب اليمن[٢] الذي كان له السيادة في أمارات الطراز. [٣]

إذ كانت مساجد الحبشة تخطب بالسلطان المظفر[٤].

وفي عهد السلطان قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م) أرسل ملك الحبشة وفداً يطلب مطراناً، فتوجه أولاً إلى اليمن [٥] وربما لطلب الوساطة.

أيضاً كانت اليمن هي ملجأ الإمارات الطراز المسلمة عندما يتعرضون إلى الاضطهاد من قبل ملوك الحبشة ، ففي سنة (٨٢٥هـ/١٤٢١م) هرب أبناء احد حكام أمارات الطراز الإسلامي من ظلم وبطش حاكم الحبشة ، فأستقبلهم الملك احمد الرسولي (٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠٠-١٤٢٣م) بكل ترحيب وإكرام بل مد يد العون لهم بما يحتاجون من الأسلحة والمعدات الحربية[٦].

وعند حدوث الخلافات السياسية بين حكام أمارات الطراز كانوا حكام اليمن هم الملجأ، ففي سنة (٨٥١هـ/ ١٤١٢م) استغاث صاحب دهلك[٧] بالملك الناصر احمد الرسولي على أخوته، أذ سلبوه الحكم، فوصل الى اليمن حاملاً الهدايا الكثيرة فتقبلها السلطان الناصر ووعده بالمساعدة [٨]وبالفعل تمكن السلطان من عقد الصلح بين أهلها على أن تكون البلاد بينهم نصفين، فتراضى الطرفان بهذا الحكم نظراً لمكانة صاحب اليمن لديهم[٩].

وكانت من صور السيادة والقوة التي يمتلكها حكام اليمن على أمارات الطراز هو كثرة السفارات الواردة ففي سنة (٧٧٠هـ/١٣٦٨م) وصلت من الحبشة سفارة تحمل الهدايا العظيمة والتحف الغريبة الى ملك اليمن[١٠]، كما وصلت سفارة سنة (٧٨٠هـ/١٣٧٨م) سفارة صاحب دنكل[١١]تحمل هدايا إلى أصحاب اليمن من الدقيق والحمر الوحشية والبخور وغيرها من التحف[١٢].

وفي سنة (٧٨٧هـ/١٣٨٥م) وصلت هدية صاحب دهلك إلى اليمن، وكانت تحمل فيل ووحوش وأنواع الغرائب[١٣]كذلك وردت سفارة صاحب سواكن[١٤] في سنة

(٧٩٠هـ/١٣٨٨م) فيه من الهدايا أفيال وبخور وتحف[١٥].

زبدة القول أن العلاقات اليمنية الحبشية أتسمت بطابع الود والوئام على الصعيد السياسي والذي أنعكس بدوره على إقامة علاقات اقتصادية وثقافية والتي سوف نحول العرف عليها في بحثنا هذا.

المبحث الثاني : العلاقات الاقتصادية بين البلدين:

بعد تحكم اليمن في المدخل الجنوب للبحر الأحمر، موقعها من المحيط الهندي أحد الأسباب الرئيسي التي أكتسبتها أهمية كبيرة من الحركة التجارية العالمية، وبسبب القرب الجغرافي بين اليمن والحبشة أثره في ازدهار حركة التجارة بينهما، فضلاً عن

الموانئ التي لعبت دور الوسيط خاصة ميناء عدن في نقل السلع والبضائع من الهند والصين، فضلاً عن نشاط حركة التبادل التجار بين الحبشة واليمن والتي سوف نحاول معرفتها في المحاور التالية.

الموانئ اليمنية والحبشية وأثرها في ازدهار التجارة بين البلدين:

أتخذ ميناء عدن مركزاً رئيسياً للنشاط التجاري العالمي، ولا شك أن موقع عدن الاستراتيجي في طريق التجارة البحرية، والأمن والاستقرار الذي نعمت به بلاد اليمن في عصر بني رسول أدى إلى ازدهار هذا الميناء والى كثرة حركة السفن التجارية القادمة والمغادرة، فقد بلغت إيرادات الضرائب في سنة (٨١٧هـ/١٣١٨م) ثلاثمائة ألف دينار(١٦).

ومثل عدن دور الوسيط التجاري لتبادل السلع بين الحبشة والمشرق، فقد كانت تنقل العاج الحبشي الذي -يعد من أجود الأنواع- يرد إلى عدن، إذ تصل منه كميات كبيرة ليعاد تصديره الى الهند والصين وغيرها من البلدان(١٧) إلا أن أشهر ما كان يجلب إلى عدن هو العبيد، فكانت تجارتهم رائجة ومربحة(١٨).

ويصف الإدريسي ميناء زبيد(١٩)((وبها مجمع التجار من أرض الحجار ورضنا الحبشة وأرض مصدر وأهل الحبشة يجلبون رقيقهم إليها ويخرجون بدروب الافاوية(٢٠)الهندية والمتاع الصيفي وغيره...)).

وكان ميناء مخلافة مرسى ميناء زبيد تأتي اليه السفن الحبشية(٢١).

وفي الساحل الأفريقي يعد ميناء مقديشو من اهم الموانئ على بحر الهند كما أطلق عليه المقريزي حيث تجارات الصومال والحبشة والسودان وشرق أفريقيا(٢٢) كما كانت دهلك بالقرب من ساحل البحر الأحمر الغربي وغرب مدينة (حلى) من بلاد المن، وهي من مملكة الحبشة المسلمة حيث تربطها علاقات باليمن(٢٣)أيضاً من المدن التجارية المهمة كللوة– تنزانيا حالياً- التي لعبت دور الوسيط التجاري بين السلع الداخلة لأفريقيا وبين التجار الكارم الوافدين اليها(٢٤).

كذلك نال ميناء (حلى) (٢٥)اهتمام وحرص سلاطين بني رسول كونه يمثل موقعاً هاماً في مدخل البحر الأحمر في مواجهة الحبشة حيث تحيط به مجموعة من الجزر أهمها جزيرة كمران. (٢٦)

الصادرات والواردات بين البلدين:-

واردات اليمن من الحبشة كانت كثيرة ومتنوعة تصدر وارداتها الرقيق ويعود سبب ذلك ان لم يقتصر اقتناء الأحباش على الحكام أنفسهم، بل تعداه إلى ذوي اليسار، حيث ذكر ابن فضل الله العمري: ((ان غالب الأعيان يستكثروا من الجيوش حاشية والخصيان)) [٢٧].

كما شكل العبيد الأحباش قوة ضاربة ساهمت في إذكاء نار الثورات وإشاعة الاضطراب والفوضى في زبيد في أواخر عهد الدولة الرسولية[٢٨] بل تعدى الأمر الى استقلالهم بالأمر في زبيد، وأقاموا على كل طائفة منهم والياً وحاكماً. [٢٩]

على أثر ذلك ازدادت أعداد الاحباش المسلمين في اليمن، سواء من التجار او غيرهم، خاصة في المدن الساحلية مثل عدن والزبيد، فقد ذكر الإدريسي[٣٠]: ((ان أهل الحبشة يجلبون إليها رققهم، فهي مجمع التجار من الحبشة)) كما ذكر القلقشندي[٣١]: ((ان مجمع التجار في زبيد كان يضم أحباشاً)).

وكان ميناء عدن أشهر ميناء يجلب العبيد، اذ يصله أصناف مختلفة من الرقيق، أطلق عليها العال والوسط والدون، ولا يستغرب من هذا التصنيف للعبيد والجوار، خاصة وانه كان يتعامل مع هؤلاء البشر كبضائع الخيل والبغال، اذ كان لكل العبد او الجارية يتعرضون للفحص كما يفحص الحيوان، حتى يتبين علاماته وصفاته التي تتضح منها جودته، لذا نجد اختلاف أسعار الرقيق والإماء تبعا لتلك المواصفات، فقد كان العبد الجيد يشتري بسبعين وثمانية وقية فضة، إما إذا كانت مقايضة فيحسب بمائة وقية فضة، وهناك نوع أخر من العبيد يشتري بعشرين وقية وبخمسة عشر حتى يصل الى عشرة أوراق فضة[٣٢].

أيضا من واردات اليمن كانت الجمال التي تجلب من سواكن إلى بلاد اليمن[٣٣] والعاج الحبشي الذي يعد من أجود الأنواع التي ترد إلى ميناء عدن، والمعروف ان العاج كان يستخرج من ناب الفيل ويعتبر الناب الكبير أجود أنواع العاج الواصل إلى عدن، كانت تصل فيه كميات كبيرة ليعاد تصديره إلى الهند والصين وغيرها من البلاد[٣٤].

أيضا كان الورس- نبات يزرع في بلاد الحبشة[٣٥]والقسط- عود هندي يتبخر به[٣٦] والانطاع- بسط جلدية مصنوعة من الجلد كانت تستورد من الحبشة[٣٧].

ومما ورد من الحبشة هي البغال ذات النوعية الجيدة، كان عليها خراج يدفعه الوسيط التجاري، الذي يقوم بالاتجار بالبضائع المختلفة لتجار بلاد الحبشة، وأصله من أصحاب الجاه في الحبشة يكلفه تجارها بنقل بضائعهم وبيعها في اليمن مقابل حصوله على مبالغ مبالية منهم ويلقب بـ(النزيل)[٣٨].

ويُجلب من الحبشة نوع من الأغنام بيضاء والصوف على رأسها فهو أسود ويطلق عليه (بربري) يمتاز بجودة طعمه وجلوده الرقيقة[٣٩] وأيضاً اللبان[٤٠] من المواد التي وردت الى اليمن[٤١].

أما صادرات اليمن الى الحبشة فهي كانت متنوعة، فضلاً عن السلع المحلية، كان اليمنيون وسطاء تجارة يحملون البضائع والسلع الشرقية من الهند والصين مثل الاقمشة القطنية والحريرية والارز الهندي والمصنوعات الفضية والنحاسية والخز والأدوات الحديدية والبسط والزجاج وغيره

المبحث الثاني: العلاقات الثقافية بين البلدين:

نظراً لازدهار الحياة الثقافية باليمن في عهد الدولة الرسولية، فقد قصدها العلماء على اختلاف بلادهم ومعارفهم، ولم تكن الحبشة بمنأى عن هذا الشغف والتطلع للارتحال إلى اليمن ومن أشهر رحلات إلى اليمن من بلاد الحبشة.

- الفقيه ابو سليمان داود بن إبراهيم الجبرتي الزيلعي (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) من علماء الحبشة الكبار، تفقه بعلماء ذي جبلة[٤٢] ونواحيها، تولى التدريس في المدرسة الشمسية[٤٣]بتعز[٤٤] وألتف حوله الكثير من طلبة العلم في اليمن، نال مكانة عظيمة عند حكام بني رسول رغم انه كان مبتعداً عن السياسة، ومن صور تعظيمه كان يفرش له فرشاً خاصة يجلس عليه عند تدريسه بالمدرسة الشمسية بتعز، إلا انه أصيب بمرض أجلسه في بيته[٤٥].

- الفقيه محمد بن عمري الجبرتي:من أشهر فقهاء الحبشة، كان كثير التردد بين المدن، تفقه على يده جماعة منهم الفقيه عمر بن سعيد العقبي (ت: ٦٦٣هـ/١٢٦٥م) ولا يعرف له شيخ غيره في الفقه، وبعد ذلك انتقل الجبرتي من جبلة إلى قرية الظفير[٤٦]وتوفي بها وحضر الفقيه عمر بن سعيد دفنه[٤٧].

- أبو الحسن علي بن أبي بكر بن محمد الزيلعي العقيلي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م): وممن وفد إلى اليمن الفقيه أبو الحسن علي العقيلي نسبة إلى عقيل بن أبي طالب، وكان أول من سكن اليمن من أسرته جده محمد في قرية السلامة[٤٨] فسكنها وتزوج وأنجب أبو بكر، وهم بيت صلاح وعلم، وكان علي بن أبي بكر فقهياً ناسكاً عالماً، برز في الشعر وله ديوان يسمى ((الجواهر البهية في مدح خير البشرية))[٤٩] وكانت وفاته بمكة سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٩م)[٥٠].

- الأمام أبو العتيق أبو بكر بن جبري بن أوسام العدلي (ت٧٤١هـ/١٣٤١م):- ينسب إلى قوم عرفوا بالحبشة بالعدل، وقد أخذ على علماء اليمن، وتفقه على أيديهم حتى أضحى حجة في الفقه مما حدا بالملك المجاهد الرسولي (٧٢١-٧٦٤هـ/١٣٢١-١٣٦٣م) أن جعله على قضاء زبيد بإيعاز من قاضي قضاة الجند[٥١]، كما درس بعدة مدارس مثل المدرسة الشمسية[٥٢]بتعز والمدرسة الصلاحية[٥٣] بزبيد، وقد كان أثره العلمي في كثير من علماء اليمن[٥٤].

- الفقيه علي بن نوح الأيوبي الزيلعي (ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م): كان فقيهاً بارعاً،حنفي المذهب، نقالاً للحديث، حافظاً لمعانيه، سكن قرية السلامة ثم أنتقل إلى زبيد، وقد أسندت إليه مهمة التدريس[٥٥] بمدرسة المنصورية[٥٦].

- الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر بن سلمة الحبشي الوصابي (ت: ٧٥٣هـ/١٣٥٢م): ولد سنة (٧٣٢هـ/١٣١٢م) وقد نشأ نشأة صالحة حيث أتم حفظ القرآن من صغر سنهِ، وتفقّه على يد والده، وكان ذا فهم وفطنة في جميع العلوم، وملازماً للقراءة حتى وفاته[٥٧].

- الفقيه محمد بن بكر الجدائي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م): أشتهر بلقب الزيلعي، أخذ من علماء اليمن، وبدع في علم القراءات والنحو، فأخذ عنه جماعة، وظل على هذا الحال حتى وفاته[٥٨].

- أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان آدم الجبرني (ت ٧٠٤هـ/١٣٠٤م): كانت له مسموعات وإجازات أخذها عن علماء اليمن[٥٩].

- رحلات علماء اليمن إلى الحبشة:

لم تكن اليمن وحدها محط رجال علماء الحبشة المسلمين، بل كانت الحبشة مقصد الكثير من علماء اليمن ومنهم:

- الشيخ صارم الدين داود بن صالح المصنف (ت: ٧٣٥هـ/١٤٣١م):- من فقهاء اليمن وعلمائها، حجّ مكة ودرس بها سنتين، أخذ من علماء مكة ولزم طريقة التصوف وتأدب بآدابهم، ثم رجع إلى بلده إب[٦٠] ومنها هاجر إلى الحبشة [٦١].

-الفقيه أحمد بن أبي بكر بن عجيل (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م): أحد فقهاء اليمن الكبار هاجر إلى الحبشة وسكن مدينة أوفات[٦٢]وقربه حاكم المدينة ورغبه في الاستقرار

ببلده، لكنه عاد إلى اليمن تلبية لرغبة والده، وبعد عودته إلى اليمن قصده طلاب العلم من أهل الحبشة(٦٣) .

- الفقيه إبراهيم بن محمد بن عمرو التباعي: أحد علماء اليمن وفقهائها وممن هاجر إلى الحبشة وأستقر فيها حتى وفاته(٦٤).

الخاتمة

يمكن إيجاز أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة بما يلي:

١- سادت علاقات وطيدة بين اليمن والحبشة، فكانت اليمن ملجأ حكام الحبشة المسلمين ووسائطهم في أزماتهم، ففي سنة (٦٧٣هـ/١٢٧٤م) أرسلوا طلباً إلى السلطان الظاهر بيبرس ليرسل لهم مطراناً فتجاهل طلبهم فتوسطوا عند السلطان المظفر فاستجاب بهم ولبّى طلبهم.

٢- انعكست قوة العلاقات السياسية بين البلدين إلى ازدهار العلاقات الاقتصادية والثقافية وتطورها.

٣- لعبت الموانئ اليمنية والحبشية دوراً مميزاً في ازدهار التجارة بين البلدين، فقد مثل ميناء عدن الوسيط التجاري لتبادل السلع بين الحبشة والمشرق وكذلك ميناء مقديشو الذي يعد أهم موانئ الحبشة الذي يصل الشرق الأفريقي باليمن.

٤- تنوعت الواردات والصادرات اليمنية الحبشية إلا أن تجارة الرقيق كان بالدرجة الأولى على السلع والمنتوجات، فقد ركزت اليمن تجارتها مع الحبشة على تجارة الرقيق فدخل اليمن أعداداً كبيرة جداً فشكلت طبقة في المجتمع اليمني.

٥- مما زاد من ازدهار النشاط التجاري بين البلدين هو وجود الوسيط التجاري في الحبشة الذي يقوم بالاتجار بالبضائع المختلفة لتجارة بلد الحبشة، وهو حبشي الأصل، مقابل مبالغ مالية منهم ويلقب بـ (النزيل).

٦- كان اليمنيون وسطاء تجارة يحملون البضائع والسلع الشرقية من الهند والصين إلى بلاد الحبشة.

٧- تركزت العلاقات الثقافية بين البلدين على الرحلات العلمية ومن أشهرها رحلة الفقيه اليمني أحمد بن ابو بكر بن عجيل (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) ومن فقهاء الحبشة من رحل إلى اليمن لنهل العلوم الفقيه محمد بن بكر الجدائي.

الهوامش:

([1]) المقريزي ، تقي الدين ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت٨٤٥هـ/١٤٤١ م) ، المواعظ والاعتار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط١ (القاهرة، ١٩٧٧م) ج١، ص٥١.

([2]) ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م) تاريخ ابن الفرات، عن تحرير نصه ونشره، قسطنطين زريق (بيروت-١٩٣١م)، ج٧، ص٢٤-٢٥، القلقشندي، احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤٤٨م) صبح الأعشى في صناعة الأنشا، تحقيق: حمد حسين شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ج٨، ص١٢٠.

([3]) أمارات الطراز: وهي سبع أمارات إسلامية في بلاد الزيلع في الحبشة، كان بداية ظهورها كمراكز تجارية أسهمت في انتشار الإسلام في الحبشة ثم تحولت الى إمارات مستقلة وهي أوقات، هدية، فطجار دارة، مالي، أرابينس، شرخا، وتميزت هذه الأمارات بأنها لم تكن مرتبطة، ولا يجمعها سوى الرباط الروحي فقط، اذ كان هناك تنافسً شديد بين هذه الإمارات، ونتيجة هو سقوطها فريسة بيد الحبشة النصارانية. ينظر: المقريزي: تقي الدين علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٤٧م) الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق ودراسة: عبد النعيم ضيق عثمان عبد النعيم، المكتبة الأزهرية للتراث، (مصدر – ٢٠٠٦م)، ص٢٩

([4]) الافضل الرسولي، العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي (ت٧٧٨هـ/١٣٧٦م) العطايا السنية ولمواهب الهنية في المناقب المنية، دراسة وتحقيق : عبد الواحد عبد الله احمد الخامدي، وزارة الثقافة والسياسية اليمنية (صنعاء – ٢٠٠٤م) ص٦٩٢.

([5])ابن عبد الظهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله بن رشيد الدين (ت: ٦٩٢ه/١٢٩٢م) تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، مراجعة: محمد علي النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر (مصر – ١٩٦١م)، ص٧٠.

([6])الخزرجي، علي بن الحسين بن وهاب الزبيدي (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م)، رقم عام ٥٧٢، رقم الخاص ٥٣٢ و ٩٢٣، رقم الإيداع ٧٧ ، ت٥ (صنعاء – ١٩٨١م) ص٣٥.

(7) دهلك: هي جزيرة في بحر اليمن، وهو مرسي بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة كان بنو أمية إذا سخطوا من احد نفوذه إليها. ينظر: العقوبي، ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٧م) معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي (بيروت – ٩٧٩م)ج٢، ص٤٩٢.

(8) يحيى بن الحسين، القاسم بن احمد بن علي (ت: ١١٠٠هـ/١٦٨٩م) غاية الأماني في اخبار القطر اليماني، تحقيق وتقديم: سعد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، در الكتاب العربي للطباعة والنشر (القاهرة – ١٩٦٨م)، ص٥٦٥، ٥٦٦.

(9) مؤلف مجهول: (عاش في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، تاريخ الدولة الرسولية في اليمن: تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، در الجيل، (صنعاء – ١٩٨٤م) ص١٦٦.

(10) مؤلف مجهول، تاريخ الدولة الرسولية، ص٦٨.

(11) دنكل: من مدن الحبشة المشهورة والمهمة، تقع بالقرب من باب المندب، جنس سكانها من السودان، لغتهم دنكلية، وديانتهم الإسلام. ينظر: ابو الفداء، المؤيد عماد الدين بن الملك الافضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م) تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه ريفود وماك كوكين ديسلان (باريس – ١٨٣٠م) ص٣٧٣.

(12) مؤلف مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية، ص٨١.

(13) مؤلف مجهول، تاريخ الدولة الرسولية، ص٩٨.

(14) سواكن : بلاد مشهورة على ساحل بحر الجار قرب عيذاب ترفأ اليه سفن الذين يقدمون من جدة، وأهله بجاه سود نصارى. ينظر: اليعقوبي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٦.

(15) مؤلف مجهول، تاريخ الدولة الرسولية، ص٩٨.

(16) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٧٧.

(17) مؤلف مجهول، نور المعرف ونظم وقوانين وأعرف اليمن في العهد المظفري الوارف، تحقيق : حمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية (صنعاء – ٢٠٠٣م) ص٣٦٤.

(18) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص٣٥٩.

(19) ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن أدريس الحموي الحسيني (من علماء القرن السادس الهجري / القرن الثاني عشر الميلادي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية (بلا م.ت) ج٣، ص٥٣.

(20) الأفاوية: أسم جامع لجميع أنواع البهارات والتوابل والهيل والفلفل والكافور والزعفران والقرنفل: ينظر: ابن مجاور، محمد بن مسعود بن علي بن احمد (ت: كان حياً سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) صفة بلاد اليمن ومكة وبضعها الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، راجعه ووضع هوامشه: ممدوح حسين محمد، مكتبة الثقافة الدينية (بورسعيد – ١٩٩٦م) ج١، ص١٤٢-١٤٣.

(21) العمري، فضل الله شهاب الدين احمد بن يحيى (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) مسالك الأبصار وممالك الأمصار، تحقيق: حمزة احمد عباس، المجمع الثقافي، ط١ (ابو ظبي – ٢٠٠٢م)، ص١٥٤.

(22) المقريزي ، الإلمام ، ص٣٥.

(23) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣، ص٢٣٥.

(24) المقريزي ، الإلمام، ص٢٣.

(25) حلى: مدينة ساحلية كبيرة حسنة العمارة بها أسواق كبيرة ويتبع لها قرى وبينها وبين السرين يوم واحد وبينها وبين مكة ثمانية ايام. ينظر: ياقوت الحموي، ج٣، ص١٣٩.

(26) كمران : وهي جزيرة دهلك تقع بحذاء مخلاف عك باليمن. ينظر: ابن خرداذبة، عبيد الله (ت: ٢٨٠هـ/٨٧٠م) المسالك والممالك، دار صادر أفست بعدن (بيروت – ١٨٨٩م) ص١٤٢.
(27) العمري ، مسالك الأبصار، ص١٥٩.
(28) ابن الديبع، بغية المستفيد ص١١٦-١١٧، بامخرمة، جمال الدين عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد الحميري (ت: ٩٤٧هـ/١٥٤٠م) قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دراسة وتحقق: محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة والساحة (صنعاء – ٢٠٠٤م)، ص١٢٣٠.
(29)يحيى بن الحسين، غاية الاماني، ص٥٨٤.
(30) ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني (من علماء القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، (بلا. م.ت)ج١، ص٥٢.
(31) صبح الأعشى، ج٥- ص١٠.
(32) مؤلف مجهول، نور المعارف، ج١، ص٢٦٢-٢٦٣.
(33) مؤلف مجهول، نور المعارف، ج١، ص١٠٧.
(34) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ح١، ص٣٦٤.
(35) مؤلف مجهول، نور المعارف، ج١، ص٣٦٠..
(36) مؤلف مجهول، نور المعارف، ج١، ص٣٦٠؛ المظفر الرسولي، يوسف بن عمر بن علي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٥م)، المعتمد في الأدوية المفردة، دار الكتب العربية الكبرى (مصدر- بلا.ت) ص٣٨٦..
(37) مؤلف مجهول، نور المعارف، ج١، ص٣٦٠.
(38) مؤلف مجهول ، المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٣.
(39) مؤلف مجهول، نور المعارف، ج١، ص١٩١.
(40) اللبان: شجيرة شوكة لا تنمو أكثر من ذراعين وهي مادة تستخدم كعلك بالفم لتطيب رائحته ويدخل في صنع البخور ويستعمل في الطب الشعبي. مجهول، نور المعارف، ج١، ص٤٥٢؛ الزبيدي، محي الدين ابي فيض السيد محمد مرتضى الحسين الواسطي، تاج العروس (ت: ١٢٠٥هـ/١٩٩٤م) دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، (بيروت – ١٩٩٤م) ج١٨، ص٤٩٧.
(41) العمري ، مسالك الابصار، ص١٥٥.
(42) ذي جبلة: مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من مدينة إب، بينهما أربعة أحيان، اختطت في عهد الدولة الصليحية (٤٢٩-٥٦٩هـ/١٠٣٧-١١٧٣م) وذلك في سنة (٤٥٨هـ/١٦٥م) ينظر: المقحفي، إبراهيم احمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر (صنعاء – ٢٠٠٢م)، ص٢٨٥.
(43) المدرسة الشمسية: ابتناها الأمير شمس الدين ابو بكر بن فيروز احد أمراء السلطان المظفر، تقوم هذه المدرسة بتحفيظ القرآن وتدريس العلم. ينظر: الجندي، السلوك، ج٢، ص١٤٠؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص٢٤٦، إبن الديبع، قرة العيون، ص٣٣٥.
(44) تعز: من مدن اليمن المشهورة في الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة ثماني مراحل وهي بالقرب من الجند في سفح جبل صبر غربي الجنيد وهي اليوم مركز تلك البلاد وقد صارت من أعمال تعز بعد أن كانت تعز معدودة من أعمال الجند، كانت محل إقامة بني رسول. ينظر: الحجري، محمد بن احمد اليماني، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي، الأكوع، ط١، (اليمن – ١٩٨٤م) مج١، ص١٤٥.
(45) الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الساساني الكندي (بين سنة ٧٣٠ وسنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١،١٣٢٩م) السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بنعلي

بن الحسين الاكوع الحولي، مكتبة الإرشاد، ط٢ (صنعاء – ١٩٩٥م)، ج٢، ص١٢٦-١٢٧؛ الأفضل الرسولي، العطايا السنية، ص٣١٧،

(46) قرية الظفير: حض من أعمال حجة مشهورة يعرف بظفير حجة، هذا الحج تابع إلى أعمال ذي جبلة. ينظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن، مج٢، ص٤٦٧.

(47) الجندي، السلوك، ج٢، ص١٦٦-١٦٨، بامخرمة، جمال الدين عبد الله الطيب بن عبد الله براز احمد الحميري (ت: ٩٤٧هـ/١٥٤٠م)، تاريخ ثغر عدن مع نخب من توريخ أبن مجاور والجندي والأهدل، مكتبة مدبولي، ط٢ (القاهرة – ١٩٩١م) ح٢، ص٢٢٥.

(48)قرية السلامة: من قرى زبيد ما بين حجة وشرس. ينظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن، مج٢، ص٤٢٩.

(49) الأفضل الرسولي، العطايا السنية (حاشية ٩).

(50) الجندي، السلوك ج٢، ص٣٧٣-٣٨٤؛ الخزرجي، علي بن الحسين بن وهاب الزبيدي (ت ٨١٢ هـ/١٤٠٩م) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، عُني بتصميمه وتنقيحه: محمد بسيوني عسل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط٢ (صنعاء – ١٩٨٣م) ح٢، ص٥٤.

(51) الجند: مدينة في الشمال الشرقي من تعز، كانت قديماً مدينة اليمن الأولى بعد صنعاء وأحد أسواق العرب المشهورة في الجاهلية والإسلام. ينظر: المقحفي: معجم البلدان، ص٣٥٩.

(52) المدرسة الشمسية: أنشأها الدارس الشمس بنت عمر بن علي بن رسول، شقيقة الملك المظفر ورتب فيها المدرسين وطلبة العلم وأوقفت عليه وقفاً جيداً تقوم بكفايتهم جميعاً. ينظر: الجندي، السلوك، ج٢، ص٤١؛ إن الديبع، قرة العيون، ص٣٣٥.

(53) المدرسة الصلاحية: نشأتها الأميرة آمنة بنت الشيخ إسماعيل والدة السلطان المجاهد، يطلق عليها البعض مدرسة أم المجاهد، وجعلت فيها ثلاثة مدرسين أحدهم للفقه، والآخر للحديث، والثالث للنحو، كما ضمنت إليها معلامة لتدريس الأيتام،، وأوقفت على الجميع وقفاً حسناً. ينظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص٨١؛ ابن الربيع، بغية المستفيد، ص٩٤.

(54) الأفضل الرسولي، العطايا السنية، ص٢٠٦-٢٠٧؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص٦٩.

(55) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص٨٥-٨٦.

(٥٦) المدرسة المنصورية: أنشأها الملك المنصور نور الدين (٦٢٦-٦٤٧هـ/١٢٢٨-١٣٤٥م) ورتب فيها مدرساً ومعيداً وطلبة وإماماً ومؤذناً ومعلماً للأيتام يعملهم القرآن الكريم، وأوقفت عليها وقفاً يكفي جميع ما فيها. ينظر: ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٩؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص١٩٣.

(57) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج٢، ص٩٣.

(58) الجندي، السلوك، ج١، ص٣٩٣-٣٩٤.

(59) الجندي، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٦.

(60) إب: مدينة في الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة ست مراحل، وهي من أجمل مدن اليمن ذات الأرض خصبة وهواء معتدل عن سطح البحر نحو ألفي متر تقريبا. ينظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن، مج، ص٣١.

(61) البريهي: عبد الوهاب بن عبد الرحمن السكسكي اليمني (ت٩٠٤هـ/١٤٩٨م) طبقات صلحاء أهل اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد (صنعاء – ١٩٩٤م) ص٦٤-٦٥.

(62) أوفات: من أكبر الأمارات في الحبشة أسسها مجموعة من قريش تسمى بن عبد الدار، أو بني هاشم من ولد عقيل بن ابي طالب، وكانت تعرف بأسم جبرت، وكانت تتحكم في الطريق التجاري الذي يربط الداخل بميناء زيلع أستطاعت توسيع حدود أمارتها في الحبشة ودخلت في حروب معها أنتهت بضعفها وانهيارها. ينظر: المقريزي، الألمام، ص٢٩-٣٢.

(63)ابو الفدا، تقويم البلدان، ص٢١.

الأهدل، الحسين بن عبد الرحمن اليمني (ت: ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) تحفة الزمن من سادات اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي (بلا. م.ت)ج٢، ص٩٧٠-٢٩٨.
(64) الجندي، السلوك، ج٢، ص٣٤٣؛ الأهدل، تحفة الزمن، ج٢، ص١٤٥.

قائمة المصادر والمراجع

- المخطوطات

- الخزرجي، علي بن الحسين بن وهاس الزبيدي (ت: ٨١٢هـ/١٤٠٩م).
١- العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، دار الكتب، ط٢، مصورة رقم عام ٥٧٢، رقم خاص ٥٣٢ و٩٣٢، رقم الإيداع ٧٧، ت٥ (صنعاء – ١٩٨١) ص٣٥.

المصادر:-

- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني (من علماء القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي).
١- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية (بلا م.ت).
- الأفضل الرسولي، العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي (ت: ٧٧٨هـ/١٣٧٦م).
٢- العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، دراسة وتحقيق: عبد الواحد عبد الله احمد الخامدي، وزارة الثقافة والسياسة اليمنية (صنعاء – ٢٠٠٤م).
- الأهدل، الحسين بن عبد الرحمن اليمني (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م).
٣- تحفة الزمن في سادات اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي (بلا م.ت).
- بامخرمة، جمال الدين عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد الحميري (ت: ٩٤٧هـ/١٠٥٤م).
٤- قلادة النحر في وفيات أعباء الدهر، دراسة وتحقيق: محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة والسياحة (صنعاء – ٢٠٠٤م).
٥- تاريخ ثغر عدن مع نخب من تواريخ ابن مجاور والجندي والأهدل، مكتبة مدبولي، ط٢، (القاهرة – ١٩٩١م).
- البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن السكسكي اليمني (ت ٩٠٤هـ/١٤٩٨م).
٦- طبقات صلحاء أهل اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد (صنعاء – ١٩٩٤م).
- الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي الكندي (بين سنة ٧٣٠هـ وسنة ٧٣٢/ ١٣٢٩، ١٣٣١م).
٧- السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الاكوع الحولي، مكتبة الارشاد، ط٢ (صنعاء – ١٩٩٥م).
- أبن خرداذبة، ابو القاسم عبد الله بن عبد الله (ت: ٣٠٠هـ/٩١٢م).
٨- المسالك والممالك، مطبعة أبريل (ليدن – ١٨٨٩).
- الخزرجي، علي بن الحسين بن وهاس الزبيدي (ت: ٨١٢هـ/١٤٠٩م).
٩- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدول الرسولية، عُني بتصميمه وتنقيحه: محمد بسيوني عسل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط٢، (صنعاء – ٢٠٠٩م) .
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني الزبيدي، (ت: ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م).
١٠- بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق: عبد الله الحبشي، مركز الدراسات والبحوث (صنعاء – ١٩٧٩م).
- الزبيدي، مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت: ١٢٠٥هـ/١٢٩٠م).

١١- تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر (بيروت – ١٩٩٤م).
- عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبد الله رشيد الدين (ت: ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م).
١٢- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، مراجعة: محمد علي النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر (مصر – ١٩٦١م).
- العمر، فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨).
١٣- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، ط١ (أبو ظبي – ٢٠٠٢م).
- أبو الفدا، عماد الدين بن الملك الأفضل نور الدين علي بن جمال الدين (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م).
١٤- تقويم البلدان، أعتنى بتصحيحه وطبعه ريفود وماك كوكين ديسلان (باريس – ١٨٣٠م).
- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٤م).
١٥- تاريخ ابن الفرات، عُنى بتحرير نصه ونشره: قسطنطين زريق (بيروت – ١٩٣١م).
- القلقشندي، احمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/ ١٤٤٨م).
١٦- صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت –بلا.ت).
- أبن مجاور، محمد بن مسعود بن علي بن احمد (ت: كان حياً سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
١٧- صفة بلاد اليمن ومكة وبعضها الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، راجعهُ ووضع هوامشه: ممدوح حسين محمد، مكتبة الثقافة الدينية (بور سعيد – ١٩٩٦م).
- مظفر الرسولي، يوسف بن عمر بن علي (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٥م).
١٨- المعتمد في الأدوية المفرد، دار الكتب العربية الكبرى (مصر – بلا. ت).
- المقريزي، تقي الدين أبو العباس بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت: ٨٤٥هـ/١٤١١م).
١٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط١ (القاهرة – ١٩٧٧م).
٢٠- الألمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق ودراسة: عبد النعيم ضيفي عثمان عبد النعيم، المكتبة الأزهرية للتراث (مصر – ٢٠٠٦م).
- مؤلف مجهول (ت: عاش في القرن التاسع/ الخامس عشر الميلادي).
٢١- تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، دار الجيل (صنعاء – ١٩٨٤م).
- مؤلف مجهول.
٢٢- نور المعارف ونظم قوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية (صنعاء – ٢٠٠٣م).
- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٧).
٢٣- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي (بيروت – ١٩٧٩م).
- يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت: ١١٠٠هـ/١٦٨٩م).
٢٤- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق وتقديم: سعد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (القاهرة، ١٩٦٨م).

المراجع:

- الحجري، محمد بن احمد اليماني (ت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).
١- مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الاكوع، وزارة الأعلام والثقافة، ط١ (اليمن – ١٩٨٤م).
- المقفي، أبراهيم أحمد.
٢- معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة (صنعاء – ٢٠٠٢)

الحمامات التراثية

حمامات مدينة كربلاء المقدسة (انموذجا)

Bathrooms heritage
The holy city of Karbala baths form

م..د.سيماء عطا الله حسين
كلية الآثار – جامعة الكوفة
M.Dr.seemaa attallah Hussein
Faculty of archaeology-university of kufa
Iraq-karbal

الخلاصة :

إن حضارة وادي الرافدين العريقة والغزيرة بآثارها الشاخصة وغير الشاخصة والتي تتمثل بالتحف المنقولة والصروح والأبنية غير المنقولة لها أثرها البالغ في هذه الحضارة وتعد العمارة التراثية آخر الحلقات في سلسلة تطور هذه الحضارة العظيمة والحمامات التراثية إحدى الوجوه البارزة من هذه الحضارة وتناولت في بحثي الحمامات التراثية حمامات مدينة كربلاء المقدسة انموذجا، وقمت بتقسيم البحث إلى فصل واحد تضمن ثلاثة مباحث وتناولت في المبحث الأول الحمام لغة واصطلاحا ومواصفات الحمام وفي المبحث الثاني أولى الحمامات الإسلامية وثم الحمام في البيوت التراثية وفي المبحث الثالث كانت هناك وقفة على حمامات مدينة كربلاء المقدسة ووصف الحمامات وتطرقت أيضا إلى الحمامات الشعبية والعاملون في الحمام وما يستخدم في الحمام وكانت هناك وقفة على حمامات النساء وكيفية إشعال الحمام ثم الخاتمة وعززت بحثي بمجموعة من الصور والأشكال لزيادة الفائدة العلمية.

وان الحمامات تشكل مرفقا حيويا من بين المرافق الأكثر أهمية في المدينة العربية الإسلامية منذ بداية العصر الإسلامي فبات وجودها في كافة الأزمنة من المكملات الأساسية في رسم نسيج المدينة أو جزءا أساسا من تخطيطها ، وان الحمامات من المؤسسات الخدمية التي لها علاقة مباشرة بحياة الفرد والمجتمع ومن ثم يكون لها دور حضاري متميز ولما كان من مبادئ الإسلام الطهارة والنظافة لذلك كان ظهور هذه المؤسسة الخدمية التي تسمى حمام من الضروريات في المجتمع الإسلامي وان

obeikandi.com

الحمامات تشترك فيما بينها بجملة خصائص منها الخصوصية في التخطيط فهي تعتمد على النظام الثلاثي (القاعة الباردة ،الدافئة ،الساخنة) وتميزت واجهاتها الداخلية والخارجية بالبساطة وخلوها من أي ضرب من ضروب الزخرفة إذا كان لهذا المعلم العمراني أهمية كبيرة في المجتمع لارتباطه براحة الفرد ونظافته وطهارته.

Abstract:

The civilization of Mesopotamia, ancient and heavy effects pillar and pillar and whose antiques immovable monuments and buildings immovable an impact of this civilization is the architecture heritage last in the series of the evolution of this great civilization heritage and bathrooms one of the prominent figures of this civilization and dealt with in a research baths heritage history and origins and planning andthe bathroom in The holy city of Karbala Form .in a research baths heritage in the city Karbala and you divide the search to a single chapter included three topics dealt with in section one bathroom language and idiomatically and specifications of the bathroom and in the second part, the first Islamic bathrooms and then the bathroom at heritage houses in the third section, there was a pause on the pools holy city of Karbala and description bathrooms also touched upon the popular baths and workers in the bathroom and what is used in the bathroom and there was a pause on the pools of women and how to ignite the bathroom and then the conclusion reinforced a research group of images and shapes to increase scientific interest.

Bathrooms are a vital facility is among the most important in the Arab and Islamic city since the beginning of the Islamic era facilities shreds presence at all times of the basic

supplements in shaping the fabric of the city or essentially part of the planning, and that the bathrooms of service organizations that are directly related to the life of the individual and society and then have her role civilized privileged because of the principles of Islam purity and cleanliness so it was the emergence of these service organization called bath necessities in the Muslim community and bathrooms shared between them, inter features including privacy in the planning, they rely on the tripartite system (cold room, warm, hot) and characterized internal and external façades are simple and free of any figment of decoration If this urban teacher of great importance in the community for its association with the comfort of the individual and the cleanliness and purity.

المقدمة:

إن حضارة وادي الرافدين العريقة والغزيرة بآثارها الشاخصة وغير الشاخصة والتي تتمثل بالتحف المنقولة والصروح والأبنية غير المنقولة لها أثرها البالغ في هذه الحضارة وتعد العمارة التراثية آخر الحلقات في سلسلة تطور هذه الحضارة العظيمة والحمامات التراثية إحدى الوجوه البارزة من هذه الحضارة وتناولت في بحثي الحمامات التراثية حمامات مدينة كربلاء المقدسة (انموذجا) وقمت بتقسيم البحث إلى فصل واحد تضمن ثلاثة مباحث وتناولت في المبحث الأول الحمام لغة واصطلاحا ومواصفات الحمام وفي المبحث الثاني أولى الحمامات الإسلامية وثم الحمام في البيوت التراثية وفي المبحث الثالث كانت هناك وقفة على حمامات مدينة كربلاء المقدسة ووصف الحمامات وتطرقت أيضا إلى الحمامات الشعبية والعاملون في الحمام وما يستخدم في الحمام وكانت هناك وقفة على حمامات النساء وكيفية إشعال الحمام ثم الخاتمة وعززت بحثي بمجموعة من الصور والأشكال لزيادة الفائدة العلمية.

الفصل الأول :

المبحث الأول :

اولا / الحمام لغة واصطلاحا

هناك الكثير من التفسيرات لأصل كلمة (حمام) في المعاجم اللغوية فنجد الرازي (١) يعود بالكلمة الى (الحمّة) بفتح الحاء وهي العين الحارة التي يستشفي بها المرضى ، ويرجعها البعض الاخر الى كلمة (الحميم) والتي تعني الماء الحار ، فنقول حمّ الماء اي سخنه ، واستحم اي اغتسل بالحميم ، هذا هو الاصل ثم صار كل اغتسال استحماما بأي ماء كان سواء كان باردا او ساخنا كما سمي حماما كل مسبب للعرق (٢) كما يجمع اللغويين العرب على إن كلمة حمام وجمعها حمامات ، تعني الموضع المعد للاغتسال (٣) ويسمى صاحب الحمام أو العامل فيه ب(الحمامي).(٤)

والحمامات بمعناها الاصطلاحي هي المباني القائمة برأسها تتصل بالطريق والسوق.

وفي العادة يتألف الحمام من بضع حجرات كبيرة تحيط بها حجرات أخرى صغيرة تعلوها في معظم الأحيان قباب وتتخلل بعض هذه القباب ثقوب ينفذ منها الضوء من خلال مناور صغيرة مغطاة بقطع من الزجاج (٥) الملون كي يضفي على الداخل رونقا وبهاء يبعث في الوقت نفسه السرور والانشراح في نفوس المستحمين نتيجة لحركة الظلال وانعكاس ضوء الشمس .(٦)

والحمامات من جهة أخرى اختلفت فنونها ونمط بناء كل حمام من حيث الزخرفة والمواد المستخدمة وطريقة بنائه والمساحة التي بني عليها إلا أن غالبيتها، تتألف من ثلاث دوائر أساسية هي : البراني والوسطاني والجواني، والبعض القليل منها كان مكوناً من دائرتين : البراني والجواني ، و كان يدخل إلى الدائرة الخارجية منها (البراني) من باب الشارع أو الحارة، وعلى جانبي المدخل توجد غرفتان صغيرتان تليهما مصطبتان أو أكثر مرتفعتان عن أرضية البراني بمقدار يصعد إليهما بدرج خاص فيخلع عليهما المغتسلون ثيابهم ويقدم لهم ما يلزم من البشاكير والمناشف وما شاكل ذلك للرجال، أما النساء فكن يجلبن الاحتياجات الخاصة بالغسل من بيوتهن، وكانت مصاطب الحمام مكسوة بالسجاد والبسط، وفي داخلها نافورة ماء تطوقها من جهاتها الثلاث مصاطب صغيرة أو مقاعد لجلوس المستحمين عليها، وفي وسط المصاطب الكبيرة توجد بركة ماء كبيرة توجد بها فسقية ونافورة وغالباً ما تكون

مزينة بتماثيل من الأسود الحجرية التي تخرج من أفواهها المياه لتصب في البركة كما في حمام نور الدين الزنكي في البزورية في سوريا ، ولتأمين الإضاءة للحمام نهاراً توجد به شبابك علوية، أما الدائرة الثانية فتتكون من الوسطاني والجواني، وهي خاصة بالاستحمام وبها منافع (دورات مياه) ويوجد في كل منها أجران، وهذه الأجران من الرخام أو الحجارة تنصب فيها المياه من فتحتين أنبوبين، الأول حار والثاني بارد تتحكم فيه قطعتان من الخشب، أما جدار البناء وأرضيته فغالباً من الرخام والسقف من حجارة القعد أو على شكل قباب بها فتحات توضع عليها قطع زجاجية للإضاءة كما مر بنا ويطلق على هذه القطع اسم القماري. (٧)

ثانيا/ بدايات ظهور الحمامات في الدولة العربية الاسلامية :

الحمامات في العصر السابق للإسلام :

تعود بدايات ظهور الحمام في العصور السابقة للإسلام إلى الفراعنة في مصر (٨) وهناك إشارات أخرى الى ان النبي سليمان (عليه السلام) هو اول من صنع الحمام وبمساعدة الجن (٩) ، كما إن إنشاء الحمامات تعود الى العصر الروماني في القرن الثاني قبل الميلاد وكانت الفكرة في انشائها بسيطة وهي تقوم على مجموعة من الاحواض الصغيرة التي تحتوي على الماء البارد والساخن وبعض دهانات المساج وبعض التدليك ، وكانت مفتوحة امام العامة صغارا وكبارا دون مقابل ، وتواجدت حمامات خاصة بالأباطرة مثل نيرون ودقلديانوس وغيرهم ، اتسمت بضخامتها اذ ضمت داخلها على مكتبات وملاعب وحدائق ، فكانت بذلك تقوم بدور ترفيهي استجمامي الى جانب دورها في عملية الاغتسال .(١٠)

أما الحمامات التي ظهرت في العصر الاسلامي :

كان اول ظهور للحمامات في الفسطاط في مصر وكانت في عهد عمرو بن العاص وهو يعتبر أول حمام عمومي أيضا (١١) ، أما في العصر الفاطمي فيذكر المقريزي أن الخليفة العزيز بالله هو أوّل من بنى الحمامات بها (أي بمصر)، وازدادت ازدهارا وانتشارا بشكل خاص في العهد العثماني، ومن الحمامات المصرية التي لا تزال قائمة نذكر حمام الملاطيلي الواقع في حي باب الشعرية والذي يزيد تاريخ تشييده عن الخمسمائة وثمانين عاما، وحمام قلاوون وحمام السلطان أينال وحمام باب البحر،و باتساع رقعة الدولة الإسلامية وازدياد عدد المسلمين، ازدادت أعداد هذه الحمامات

بشكل مذهل، فلقد اشتهرت بلاد الأندلس المفقود بحماماتها الكثيرة وخاصة مدينة قرطبة، التي تجاوز عدد الحمامات بها التسعمائة(١٢) ، فكانت ملازمة لدور العبادة ، وتقترن دوما بكلمة المسجد.(١٣)

أما بالنسبة لبلاد الشام، التي يقول عنها ابن بطوطة حين زيارته لها : "وأكثر قرى دمشق فيها الحمامات والمساجد الجامعة" (١٤) ، وينطبق الأمر ذاته على فلسطين ولبنان، إذ نجد نفس هذا الرحالة ينبهر بما رآه بهما من حمامات حسان كحمام القاضي القرمي بطرابلس ، وحمام سمندورنسبة الى أمير هذه المدينة (١٥) ، أما ابن جبير فيذكر أنه كان بدمشق عند زيارته لها سنة (٥٨٠هـ/١١٨٥م) ما يقارب المائة حمام ونحو أربعين دارا للوضوء يجري بها الماء (١٦) ، ومن أشهر هذه الحمامات حمام نور الدين في محلة البزورية الذي أنشئ في عهد نور الدين بن زنكي، الذي لايزال متواجدا، وقد رمّم وأصبح من المعالم السياحية السورية، هذا الى جانب حمام التّوريزي الذي يعود بناؤه الى العهد المملوكي، أمّا ما يعود منها الى العهد العثماني، فنجد حمام فتحي وحمام الرّفاعي، كما لم تغب هذه الحمامات عن مدينة حلب إذ انتشرت في معظم أحيائها، حتى بلغ عددها حسب بعض المؤرخين المائة وسبعة وسبعين حماما ، ومن أشهر تلك الحمامات، حمام يلبغا الناصري الذي يعود بناؤه إلى بداية العصر المملوكي في حلب في منتصف القرن الثامن الهجري، الذي أهمل منذ مجيء المغول حتى نيابة الأمير المملوكي سيف الدين يلبغا الناصري الذي قام بترميمه حوالي سنة ١٤١٧م ،فحمل اسمه منذ ذلك الوقت، ثم أعيدت عملية ترميمه سنة ١٩٦٠م.(١٧)

اما اليمن فيمكن أن نعتبر الحمامات الشعبية أحد أبرز معالمها، وخاصة بمدينة صنعاء القديمة، حتى أنها أصبحت جزءا من طابعها الاجتماعي وتقاليد المنطقة التاريخية، اذ يعتبرها سكان المنطقة فضاء صحّيا للاسترخاء وتجديد النشاط والحيوية، ويعود إنشاء هذه الحمامات باليمن حسب الكثير من الاكتشافات، إلى الدولة السبئية في الألف الأولى قبل الميلاد، لكن أكثرها تم تشييده في العهد العثماني الأول بالمنطقة، ولهذا أخذت اسم الحمامات التركية، ومن أشهر هذه الحمامات حمام الحميري وحمام الأبهر وحمام الجلاء وحمام القزالي وحمام القرعة وحمام سبأ وغيرها.(١٨)

أما في بلاد المغرب الإسلامي فظهرت الكثير من الحمامات التي تأثرت في بناءها وشكلها بالطراز الأندلسي، ففي المغرب الأوسط وتحديدا بعاصمة الدولة الزيانية (تلمسان) ، نجد أحياء المدينة ودروبها تزخر بالحمامات الأنيقة، التي كانت تلحق

بالبناءات الاجتماعية والدينية بما في ذلك بيوت الله (١٩) ، والتي كان العاهل أبو تاشفين أكثر المهتمين ببنائها (٢٠) ، ومن تلك الحمامات (حمّام العالية) الذي يقع بالقرب من باب الحديد، والذي يوصف بأنه أحسن وأنظف حمامات المدينة، وبذلك أكتسب شهرة فائقة ، فقل أن تجد له نظيرا في تلك الفترة (٢١)
أما حمّام الصبّاغين و الذي كان الشّيخ أحمد بن الحسن الغماري كثير التردد عليه، فيعد من أقدم حمامات تلمسان، ويقع بالزقاق الرابط بين شارع معسكر وخلدون، ويعود سبب هذه التسمية الى وقوعه بجوار سوق الصباغين بذلك الحي، ولا يزال موجودا الى اليوم ، كما نجد حمام الطّبول الذي ورد اسمه في وثيقة الأوقات التي أصدرها أبو حمو موسى الثاني والخاصة بالمدرسة اليعقوبية ،وحمام سيدي بومدين بالعباد والذي لا يزال يقوم بوظيفته الى يومنا هذا ،فكان لكل حي حمام خاص به تقريبا،كما وجدت حمامات خاصة في منازل الأغنياء وفي قصور السلاطين والأمراء والوزراء(٢٢) تجنبا لمخالطة العوام بهذه الحمامات.

وبمدينة فاس المغربية وجدت أيضا الكثير من الحمامات والتي كانت أوفر ماء من نظيرتها في المغرب الأوسط ، وتعود بداية بنائها الى عهد يحيى بن محمد بن إدريس في النصف الأول من القرن الثالث الهجري الذي أمر ببناء الحمامات والفنادق للتجار، ثم ازدادت عددا في عهد المرابطين وتحديدا في عهد يوسف ابن تاشفين مؤسس دولة المرابطين، إذ بدخوله مدينة فاس، أمر بهدم الأسوار التي كانت فاصلة بين المدينتين عدوة القرويين وعدوة الأندلس وصيرهما مصرا واحدا، حصّنهما وأمر ببناء المساجد في شوارعها وأزقتها، وأي زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب أهله، وأمر ببناء الحمامات والأرحاء فكان إنشاء الحمامات من أولويات هذا الأمير إذ ارتبطت ارتباط وثيق ببيوت العبادة لان الدولة المرابطية، كانت دولة دينية وبالتالي فالطهارة هي إحدى أهم أسس الدين الإسلامي الذي قامت عليه.(٢٣)

نفس الشيء يمكن قوله بالنسبة لبلاد الأندلس، فقد ارتبطت الحمامات فيها بدور العبادة، فنجد المقريزي يذكر من حين لآخر ما كانت تزخر به مدن الأندلس بها كالمرية التي كان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف، ناهيك عن ما كانت تحتويه أرباضها هي الأخرى من فنادق وحمامات وخنادق وصناعات، مستغلة في ذلك الأنهار المتصلة والدائمة الجريان كربض الوحض.(٢٤)

ثالثا / دور الحمامات في المجتمعات العربية والإسلامية:

لعبت الحمامات بأنواعها المختلفة دورا هاما في حياة الشعوب منذ آلاف السنين، حيث كانت وسيلة هامة للنظافة وتخفيف آلام الجسم والبحث عن الجمال أيضا، فالفراعنة استعملوا حمامات الطمي، وواروا أجسامهم في الرمال الساخنة، كما عرفوا فوائد الحمامات البخارية وطرق العلاج المائي، فكانت لهم في ذلك طقوس خاصة بهم، ولا تزال بعض آثارهم من تلك الحمّامات قائمة الى غاية اليوم، كحمام كيلوباترا بمحافظة قنا، وحمام فرعون بصحراء سيناء.

أما فيما بعد وبانتشار هذه الحمامات وازدياد أعدادها، أصبحت فائدتها لا تخفى على أحد، فنجد صديق بن حسن القنوجي، الذي عاش في القرن الثالث عشر الهجري يقول: (والحمّام وضع صناعي مركب الكيفية للتدبير والاستفراغ في الداخل والخارج معا، وغايته جلب المنافع للبدن ودفع المضار عنه باعتبار حالة عناصر ذلك البدن، فيتبعها صحة أو فساد، والحاجة باعثة الى اتخاذه)(٢٥) أي أن الاستحمام قد يساعد على التخلص من بعض الأمراض وقد يؤدي في نفس الوقت الى مضاعفتها أو الى عكس النتائج المرجوة منه وذلك حسب طبيعة المرض، ومن الأمراض التي تناقل الناس شفاءها بواسطة الحمامات الشعبية الأمراض الجلدية وأمراض العظام والمفاصل، رغم إنكار بعض الأطباء المعاصرين لهذا الاتجاه باعتبار أن سكون الألم يكون مؤقتا، وأن مياه هذه الحمامات ليست معدنية ولا تحتوي على كبريت قد يساعد على تسريع عملية الشفاء منها، كما أشار القدماء الى ما تعطيه هذه الحمامات من نشاط لجسم الإنسان، أي أنه بقدر ما يؤدي التعب والإجهاد الى تناقص نشاط الجسم ، فان الحمام يعمل على إعادته (٢٦) ، ويرى الكثيرون وخاصة في الوسط النّسوي أن هذه الحمامات تعيد لهن نضارتهن وحيويتهن، ولذا كنّ أكثر المترددات عليها، ويرى البعض بأن دخول الحمام يعد رياضة فاضلة ومهنة نافعة لتفتيحه المسام وتلطيفه إذا استعمل بالترتيب الذي ينبغي (٢٧).

ومع ذلك فهناك بعض الأضرار الناجمة عن هذه الحمامات، حيث ان تغير درجة حرارة هواء الحمام بين ما يلائم رئتي المستحمّ، و الهواء اللازم للدورة الدموية، فيؤدي ذلك الى وفاته (٢٨)

وهناك من الأطباء المسلمين الذين نهوا عن دخول الحمام بشكل نهائي باعتبار ذلك معفّنا للأجسام ومفسدا للأمزجة (٢٩) ، والى جانب دور الاستشفاء الذي تقوم به

الحمامات، فقد ارتبطت ظاهرة الاستحمام أيما ارتباط بالمدنية وتطور العمران وتوسعه، فأصبحت بذلك مظهرا من مظاهر الترف والتنعم المقتصر على فئة معينة من الناس، وهم الأغنياء،ولذا تواجدت تلك الحمامات بكبريات المدن، وقلما تواجدت بالقرى والمدن المتوسطة وان حدث، فيكون قد تكفّل بها وبإنشائها بعض الملوك والرؤساء،لكنها سرعان ما كانت تهجر لعدم تلاؤمها مع مزاج أهل تلك القرى لقلة فائدتهم ومعاشهم منها (٣٠) ، وهذا ما نجده انعكس تماما اليوم إذ أن أغلب من يرتاد هذه الحمامات هم الفقراء أو الطبقة المتوسطة وعامة الناس.

أما عند المسلمين القدامى فقد ارتبط اسم الحمامات بالطهارة ، فكانت تغص بالناس أيام الأعياد، التي كانت أكثر أيام السنة إقبالا عليها، ولذلك فقد خضعت للرقابة الشديدة من المحتسب أو صاحب الشرطة، ضمانا لنظافتها وإتباع القواعد الصحية بها واحتراما للآداب العامة والقواعد الأخلاقية ككشف العورات أمام الآخرين أوكل من يتسبب في إزعاج الآخرين وإلحاق الضرر بهم كالدباغين خشية انتشار الرائحة الكريهة أو ذوي الأمراض المعدية كالبرص والجذام. ووجدت ببعض المناطق العربية بعض العيون الحارة التي يخرج مع مياهها القار فيقصده سكانها للاستحمام قصد التخلص من البثور وغيرها من الأدواء، ومن أمثلتها عين القار بالقرب من الموصل والتي تصب في نهر دجلة بالعراق.(٣١)

والى جانب دور الاغتسال والتطهر والترفيه عن النفس، فقد لعبت هذه الحمامات دور الفندق، فاشتملت على أماكن خاصة لذلك يقصدها الغريب عن المدينة للمبيت مقابل مبلغ من المال، ومازالت هذه العادة مستمرة في الكثير من مدن المغرب العربي كالجزائر والمغرب الأقصى.(٣٢)

رابعا / تصاميمها وطرق عملها في المدن العربية الاسلامية :

اختلفت الحمامات فيما بينها سواء من حيث طريقة بنائها أو طريقة عملها وتنظيمها، ففي بغداد التي أخذت شهرتها من حماماتها التي فاق عددها الستين ألفا، وأحسن ما كانت في أيام الرشيد (٣٣) ، فإلى جانب عددها الكبير، فقد تميزت بطريقة خاصة في بنائها وإبراز مظهرها الخارجي للناس، إذ كانت تطلى بالقار فيتبادر الى ذهن الرائي أنه رخام أسود، وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة، تنبع به ولا تنقطع حتى يصير في جوانبها كالصلصال، فيجرف منها ويجلب إلى بغداد (٣٤).

أما في بلاد الشام فقد استعمل نوع من الآجر الخاص بالحمامات يعرف بالقرميد، وهذا ما نستشفه مما ورد في لسان العرب (القراميد في كلام أهل الشام آجر الحمامات)(٣٥) نظرا لما لها من قوة وقدرة على تحمل حرارة النار المستعملة في تسخين المياه وحفظ حرارة الحمام.

وما يمكن قوله أن الحمامات الشعبية قد تميزت في تخطيطها وعناصرها بالاستقرار، لكن قد تختلف في التفاصيل والعناصر الأخرى ، ففي مصر كانت الحمامات إما مقتصرة على الرجال أو مزدوجة، أحدها للنساء والآخر للرجال على شكل متناظر يفصل بينهما حائل وهي تحت تصرف نفس العائلة كما هو الحال في حمامات طبرية (٣٦) أو مختلطة، يدخلها الرجال ثم النساء، أو العكس وما زالت الكثير من الحمامات الشعبية وخاصة في بلاد المغرب العربي تتبع النظام الأخير، كما كانت تلحق في بعض الأحيان بمطاعم شعبية.

وما تشترك فيه الحمامات العامة هو تكوين الحمام، من حيث الحجرات واختلاف حرارتها، حيث يقال أنّ أصل وضع الحمام أربعة بيوت بعضها دون بعض على التدريج ترتيبها على الفصول الأربعة، إذ يمكن تجزئته الى ثلاثة أقسام هي البارد أو البرّاني حسب أهل بلاد الشام حيث نجد (المعلم) صاحب الحمام أو (المعلمة) أو شخصا ينوب عنه في تحصيل الرسوم ، وحيث يتخلص الناس من لباسهم مقابل ثمن يأخذه الحمّامي إذ توضع في دواليب أو رفوف، ثم يرتدون المآزر الخاصة بالعملية، ويقومون ببعض التمارين الجسمانية، وهي ظاهرة متوارثة من أيام الرومان، وتعرف هذه الحجرة أيضا بالمسلخ، وكثيرا ما كان المستحمّون يتبادلون الثياب فيما بينهم دون قصد، ثم يلي ذلك القسم الفاتر (الوسطاني) والذي يعتبر مرحلة انتقالية، حتى لا يصطدم جسم المستحمّ مباشرة بالساخن، وحجرة يستريح فيها المستحم إذا أتعبه الجو الحار للحمام أيضا، أما الجزء الأهم فهو الساخن (الجويني) أين تتم عملية الاستحمام و التعرّق وعمليات التدليك وغيرها،كما أن معظم هذه الحمامات تبتدئ بممر طويل يصل بين المدخل و المسلخ أو ما سبق أن أسميناه بالبارد هذه الصفة التي بدأت تندثر تدريجيا في الحمامات الشعبية العصرية إذ لم يعد هذا الممر من أساسياتها إذ اختصر في بعضها لمتر أو مترين.(٣٧)

وفي اليمن يتكون مبنى الحمام من ثلاث غرف أيضا تأخذ نفس الترتيب من حيث درجة الحرارة، وهي متلاصقة تبنى تحت الأرض، أما ما يظهر على السطح فهو قباب تشكل سطح تلك الغرف الثلاث، وتؤمن لها دخول الضوء عبر نوافذ زجاجية.

وقد تواجدت بعض الحمامات العثمانية التي تختلف في تصميمها العام نسبيا عن الحمامات الشعبية الأخرى، إذ تتكون من عدة غرف متدرجة من حيث سخونتها تنتهي بقاعة كبيرة توجد بمنتصفها نافورة للماء الساخن ينبعث منها البخار ، حيث تتم عملية الاسترخاء والتدليك من طرف مختصين.

كانت مياه الحمامات تسخن بالحطب ، وكان لكل نوع من الحطب درجة حرارة معينة تنعكس على لذاذة الحمام وعشق الناس لهفحمامات بلاد الشام ومعظم بلاد المغرب الإسلامي توقد النار بها تحت أرض الصهريج المعد لتسخين الماء، ويعرف هذا المستوقد بالارّة ليتم توزيعها في قساطل قرميدية أو إسمنتية داخل القسم السّاخن، كما استعملت في بعض الأحيان المخلفات الحيوانية الجافة في ذلك وبقايا الزيتون المعصور في بعض بلدان المغرب العربي كالجزائر والمغرب الأقصى، أما حاليا فقد أصبحت طاقة الديزل والغاز هي البديل والمسيطر عليها، كما كان لنوعية المياه دور في جودة وشهرة الحمام، ففي مصر مثلا نجد أن الحمامات التي كانت تقع بالقرب من نهر النيل كانت جيدة لأن مياهها كانت تجلب من الآبار ذات المياه العذبة أو الحلوة وكلما ابتعدنا عن هذا النهر كلما قلت جودة المياه .(٣٨)

وفي بعض البلاد العربية وضعت قوانين صارمة بخصوص المياه المستعملة التي تخرج من الحمامات إذ منع صرفها نحو الأنهار كنهر دجلة ، أو حتى جلب مياه الحمامات منها فألزم أربابها بحفر آبار للمياه، وفي بلاد الأندلس كانت توضع في بهو بعض الحمامات بعض الصور الملفتة لانتباه العوام الذين يترددون عليها،فقد وجدت بأحد حمامات اشبيلية صورة جارية من مرمر معها صبي، تبين من خلال ملامح وجها وجسدها وكأن حية تريد ابنها بسوء ، فكانت لا تحاكى في إبداعها وإتقانها.(٣٩)

اما في بلاد الاندلس فان الحمامات الباقية في إسبانية من الحقبة العربية الأندلسية فيعود أكثرها إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وهي وثيقة الصلة بالحمامات الشرقية والرومانية إذ تتألف من قاعة كبرى مخصصة لخلع الملابس وتضم إيوانات مرتفعة حول قبة قائمة على أعمدة، وكان لكل من القسم المعتدل الحرارة والقسم الساخن في الحمام قباب فيها فتحات صغيرة لدخول الضوء، وابتكر العرب مجاري لنشر أريج العطر والطيب في أرجاء الحمامات، ومدوا أقنية من الرصاص لجر المياه إليها وإلى المنازل والحدائق والبرك وإلى السبل العامة كما شيّدوا البيمارستانات(المستشفيات) .

يستمد الحمام العربي أصله من الحمامات اليونانية والرومانية التي وجدها الفاتحون العرب في الشام. وقد طُوّرت الحمامات على يد العرب واكتسبت طابعًا دينيًا بإلحاقها بالمساجد لتيسير أداء الأحكام الإسلامية الخاصة بالنظافة والطهارة، بينما كانت الحمامات الرومانية ذات مبان كبيرة. كما فضَّل العرب اقتناء حمامات صغيرة منتشرة في أماكن كثيرة من المدينة، وفي كلتا الحالتين أصبحت أيضًا أماكن للتعارف الاجتماعي.

حمام غرناطة أو البانويلو:(٤٠)

ويوجد حاليا في غرناطة العديد من المنشآت التي تستخدم تقليد الحمام كمكان للقاء والاسترخاء، ومن أشهر هذه الحمامات حمام غرناطة البانيويلو(El Bañuelo) وهو حمام أثري أندلسي، يقع بمنطقة كاريرا ديل دارُّو بغرناطة، بُني الحمام في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي في عهد باديس بن حبوس المنتمي لعائلة بني زيري الملكية في غرناطة الإسلامية، سُمي هذا الحمام بـ "حمام الجوزة" أو "حمام الجوز"، كما سمي في بعض الحقب بـ "حمام القصور"، وأيضًا "حمام باب وادي آش"، وهي بلدية تقع في غرناطة.

ما زال حمام غرناطة محافظا على هيئته وأقواسه العربية، وهو يضم ثلاث صالات رئيسية، وفي سقفه شبابيك زجاجية على شكل نجوم ينفذ منها الضوء.

يتم الولوج الى حمام الجوز عن طريق فناء تتوسطه بركة مياه، تحتوي قاعة الحمام الرئيسية على رواق معمد على هيئة ممرٌ مَسْقوف ذا وظيفة حماية وزخرفة، يمر الرواق بثلاث جهات للقاعة الرئيسية مصحوبا بأقواس على هيئة حدوة الحصان، تقف الأقواس على أعمدة ذات تيجان مأخوذة من مآثر عمرانية قديمة ليعيد استخدامها في بناء هذا الحمام.

اما قاعات الحمام فبالإضافة للقاعة الرئيسية، هناك قاعتين إضافيتين، تقع الأولى مباشرة بعد اجتياز مكان حفظ الملابس، أما الثانية فبعد القاعة الرئيسية اتّباعا للنمط العام الذي تتبعه الحمامات (غرفة باردة ثم غرفة دافئة ثم غرفة ساخنة).

تحتوي هذه الأخيرة على نظام حراري، تحت الارض لتسخين القاعة بشكل جيد، بالإضافة لخزانين لحفظ وتزويد المكان بالمياه. يحتوي الجزء الخلفي للمبنى على

ملحق للقاعة الثالثة وهو عبارة عن غرفة دون سقف حاليا تضمنت، في ذلك الوقت، نظاما للتسخين.

تحتوي جميع القاعات على فتحات أو نوافذ صغيرة، مثمَّنة الزوايا، وأحيانا على شكل نجمة لتسهيل التهوية وتنظيم تكييف الهواء، كانت تُقفل بقطع زجاجية متعددة الألوان في السابق.

اما عن صالات حمام غرناطة فتتكون من ثلاث صالات: هي صالة حارة، وأخرى معتدلة الحرارة، والثالثة باردة، وما إن يدخل الزائر إلى الصالة الحارة حتى يسمع صوت غليان الماء الحار وهو ينفث البخار، وكل ذلك من خلال الصورة والصوت والضوء مع إيهام الزائر بالحرارة، أما في الصالة الثانية المعتدلة فينبعث صوت المياه الجارية، حتى إذا وصل الزائر إلى الصالة الثالثة الباردة، اختلطت الوسائل الفنية الثلاث لإشعار الزائر بأن الصالة باردة حقا.

وتم تشييد حيطان حمام غرناطة باستعمال طبقات سميكة من ملاط الجير والرمل و الماء لعزل الحمام بشكل جيد عن حرارة محيطه الخارجي.(٤١)

وقد أضافت الحمامات في العصر الإسلامي إلى فن العمارة عناصر عمارية وزخرفية كثيرة فوق الأرضيات والجدران والنوافذ والقباب والأبواب فكانت تبنى على جانب كبير من الدقة والتنظيم من حيث التهوية والإضاءة ، ومن الأمور المهمة التي يجب مراعاتها في بناء الحمامات إن يكون الحمام كثير الضياء لان المكان المظلم الرطب يكون شديد الضرر بالصحة وكذلك ارتفاع السقف وسعة المكان لأنه يساعد على التهوية والإضاءة (٤٢) فالحمام الجيد هو الحمام الحار المضيء المعتدل في حره وبرده الطيب الرائحة العذب الماء وتكون أضواءه كثيرة مشرقة وفناؤه واسعا وفيه تصاوير بديعة الصنعة وبالإضافة إلى مراعاة علو السقوف وسعة البيوت ،يجب ملاحظة التدرج بالحرارة بأقسامه الثلاثة ،قسم معتدل لايشعر فيه المستحم عند دخوله ببرد أو حر ، وقسم آخر حرارته معتدلة أعلى نسبيا من القسم الأولأماالأخير فتكون حرارته أكثر من الثاني (ساخن) ويشتمل على الأحواض ويجب أن تكون النفس فيه مستقيمة غير متوترة (٤٣) ولكي لا يشعر المستحم بطول الوقت الذي يقضيه في الحمام والتضجر الذي قد يصيبه نتيجة ارتفاع الحرارة لطول البقاء في مكان محدد ، فقد رسموا في الحمام صورا مزوقة بأصباغ مريحة مفرحة شملت الصور الحيوانية

والخيل والحروب والقنص والعاشق والمعشوق والبساتين وصور للأشجار والأزهار وغيرها (٤٤).

أما بالنسبة للوقت أو الساعة من النهار التي يفضل فيها الاستحمام فليس هناك وقت معين ماعدا الفترة القريبة من الغروب وبالتحديد مابين العشاءين ،معللين ذلك بأنه وقت انتشار الشياطين .(٤٥)

وان أفضل وقت للاستحمام أن يكون على الشبع بعد الهضم الأول ، أو يكون موعده بعد الأكل بثلاث أوأربع ساعات فانه يرطب البدن ويسمنه ويحسن بشرته ، ومن لم يراع هذه المدة فانه يعرض نفسه إلى عواقب وخيمة لأشد الأمراض وللموت المفاجئ (٤٦).

أما عن موقع الحمامات فقد جرت العادة أن يكون في المدينة العربية الإسلامية قرب المساجد أو ليس بعيدا من مركز المدينة (٤٧) ، ومن الطبيعي ان ازدياد عدد الحمامات في المدينة الواحدة يسبب الأذى للقاطنين قرب الحمام ،وذلك لما يسببه الدخان الكثيف الملوث المنبعث من المواقد وكذلك مجاري تصريف المياه أدىإلى وضع المحتسب ضوابط عند اختيار الموضع المعد لها فأصبحت تبنى بمعزل عن البيوت السكنية أو تكون متصلة بالأسواق .(٤٨)

المبحث الثاني :

اولا / الحمامات الإسلاميةالأولى في العراق :

أشارت المصادر التاريخية إلى أولى الحمامات في البصرة في القرن الأول الهجري (٤٩) هو حمام عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي في الخريبة والحمام الثاني كان حمام (فيل)المنسوب لمولى زياد بن أبيه الذي تولى إمارة البصرة والكوفة وقد امتاز هذا الحمام بجماله وروعته حتى ضرب به المثل (٥٠) والحمام الثالث الذي شيد في البصرة حمام مسلم بن أبي بكره في بلال اباذ وظلت كذلك فترة من الزمن لايوجد في البصرة سوى هذه الحمامات الثلاثة إلىأن صار في البصرة أواسط القرن الأول الهجري احد عشر حمام اشهرها هو حمام فيل الأنف الذكر(٥١).

أما عن مدينة الكوفة ثاني المدن الإسلامية التي شيدت في العراق العام ١٧هـ (٦٣٨م) ،فقد كشف عن حمام يعود بناؤه إلى الفترة التي بني فيها دار الإمارة ، ويقع فيقسمها

الشمالي الغربي.(٥٢) وكشفت التنقيبات الأثرية عن حمام قصر الشعيبة الواقع بالقرب من مدينة البصرة جنوب العراق في الفترة الأموية (٥٣)

وتذكر المصادر التاريخية عن مدينة بغداد أنه في النصف الأول من القرن الرابع الهجري كان بها أكثر من عشر آلاف حمام تناقصت حتى وصلت إلى ألفي حمام في القرن السادس الهجري(٥٤)

ويذكر أبن بطوطة في رحلته إلى العراق أن في بغداد حمامات كثيرة ، وهي من أبدع الحمامات ، وكانت مطلية بالقار. ويذكر أيضاً أن لهذه الحمامات خلوات كثيرة ، وكانت كل خلوة مفروشة بالقار الأسود ، أسافل جدرانها مطلية به أيضاً وذلك لمنع الرطوبة وتسرب المياه إلى أعلى الجدران ،أما القسم الأعلى من الجدران فكان مبيضاً بالجص الأبيض الخالي من الشوائب، وفي كل خلوة من خلوات الحمام يوجد أنبوبان ، أحدهما للماء الحار والآخر للماء البارد(٥٥)

كما ذكر عن حمامات بغداد : " أن الحمامات بلغ عددها ببغداد لعهد المأمون خمسة وستين ألف حمام، وكانت مشتملة على مدن وأمصار متلاصقة ومتقاربة تجاوز الأربعين" (٥٦) ، ومما تجدر الإشارة إليه أن بناء هذا النوع من الحمامات بدأ بها محتشما وخاصة بالبصرة، فكانت لا تبنى إلا بإذن من الولاة، ليصدر بيان منهم فيما بعد يسمح بتشييدها، فكثرت بذلك الحمامات وأصبحت أمرا عاديا(٥٧). و أن أول حمام اتخذ بالبصرة هو حمام عبد الله بن عثمان ابن أبي العاص الثقفي، في موضع بستان سفيان بن معاوية الذي بالخريبة، أما الثاني فهو حمّام فيل مولى زياد، و الثالث حمام مسلم ابن أبي بكرة في بلال آباذ ، وهو الذي صار لعمرو بن مسلم الباهلي.(٥٨)

وبهذا فقد اشتهرت بغداد منذ بنائها من قبل الخليفة ابو جعفر المنصور بالكثير من المميزات التي جعلتها قبلة للأدباء والشعراء والعلماء وطالب الراحة والجمال وللراغبين بالتعرف على التقدم والانجازات واستنساخها لبلدانهم ، ومن المعالم التي كتب عنها الكثير من الرحالة والكتاب هي الحمامات العامة حيث كانت عدد الحمامات في الجانب الغربي (الكرخ) عشرة الاف حمام وفي الجانب الشرقي (الرصافة) خمسة الاف حمام وفي كل حمام يعمل خمسة افراد (حمامي ، قيم ، زبال ، وقاد ، سقا) وتناقص عددها الى ١٥٠ حمام في عام ١٢٥٨ م وكانت اهم الحمامات في تلك الفترة هي:

(حمام السراي في الميدان ،حمام الباشا ،حمام عيفان ، المالح) في الرصافة وبقدرها في الكرخ، في مطلع القرن العشرين وحتى منتصفه لم تكن بغداد قد استوعبت الحداثة في موضوع السكن والاعمار وكانت أكثر البيوت تفتقر إلى المرافق الصحية بالمعنى المعروف ، وفيها حمامات تستخدم صيفا فقط لأسباب عديدة منها الفقر ، سكن أكثر من عائلة في دار واحدة ، صعوبة تامين وسائل الطاقة ، عدم توفر شبكة مياه سائلة إلى الدور ، كلفة عالية للمياه المنقولة يدويا ، وقليلا من العوائل كانت في دورها حمامات خاصة وحديثة.

كان البغداديون يتواجدون على ضفاف نهر دجلة وكانوا بحكم تواجدهم هذا مولعين في موضوع النظافة ولذلك كان موضوع الاستحمام من الاولويات في كل عائلة ولذلك كان للحمامات العمومية مكانة خاصة ولها طقوس خاصة لكلا الجنسين الرجال والنساء والاطفال .. وقبل الدخول في تفاصيل الحمامات لابد من وصف بسيط للحمام العمومي بشكل يشترك فيه كل الحمامات حيث تتكون من ثلاثة اجزاء رئيسية وهي:
الصالة الخارجية والصالة الداخلية واماكن الخلوة، الصالة الخارجية هي التي تستقبل وتودع الزبون وفيها اماكن وضع الملابس وفيها المناشف و(الوزره) قطعة قماش يتوزر فيها الزبون قبل الدخول الى الصالة الداخلية.

التـي تتكـون مـن دائـرة كبيـرة فيهـا دائـرة اصـغر مرتفعـة عـن الأرض (تسـمى الصبة)وتكون حرارتها أعلى من حرارة الأرض يضطجع عليها الزبون لاكتساب الحرارة لجسمه ثم ينتقل إلى الخلوة وهي مكان منفرد فيه حوض من الماء وحنفيتين أحداها للماء الحار والأخرى للبارد مع دكه للجلوس دائما ما تكون من الحجر .

الاستحمام نوعين الاول منفرد والثاني مع التدليك الذي يقوم به (المدلكجي) ومن التجهيزات التي يصطحبها الزبون هي:

الليفة ، الصابون الرقي .. يسمى الرقي (الركي) لكونه من مدينة الرقة في سوريا ، الحناء البيضاء ، والبعض يصطحب معه المناشف الخاصة به ، بعض الفواكه وخاصة الليمون والبرتقال.

اما التجهيزات التي تتواجد في الحمام هي (القبقاب ، الليفة ، الحناء البيضاء ، المناشف ، الشاي ، الدارسين ، الماء البارد ، كيس الحمام ،الصابون، حجارة الحمام.

تعتبر عملية الاستحمام ايضا فرصة للحديث بين الرجال والتلاقي والجلوس بعد الاستحمام في الصالة الخارجية لشرب الدارسين او الشاي والتكيف على تغيير درجة الحرارة قبل الخروج الى الخارج ، وللنساء دور ايضا في الحمامات وفيهن يضرب

المثل (حمام نسوان) من كثرة الضجيج والكلام والصياح ولحمام النسوة طقس خاص فإنها تتهيأ للحمام من قبل يوم وتهيء الفواكه و(البقجة) التي هي قطعة قماش توضع فيها الملابس الخاصة بالحمام ، وكانت الحمامات تخصص الى الرجال في ايام معدودة والنساء في ايام اخر في حالة عدم توفر حمام خاص لكل فئة ، وكانت اسعار الاستحمام لا تزيد عن ٢٠ فلسا ثم ارتفعت الى 50 فلسا واليوم اسعارها قد تصل الى ١٠٠٠٠ دينار ومن الحمامات المشهورة في بغداد في تلك الفترة في الكرخ (حمام شامي حمام ايوب ، حمام الجسر ، حمام الجعيفر)وفي الرصافة (حمام حيدر ، حمام الشورجة ، كجو ، كنجه علي ، الباشا ،المالح ، يونس ، القاضي.

اما في العصر العباسي فيعتبر حمام قصر الأخيضر أقدم ما وصلنا وهوبناء مستطيل الشكل يقع بين البيت الجنوبي من بيوت السكنى ، وبين قسم الخدم ، طوله ٩,٩٠متر وعرضه ٩,٣٠ متر، ويقع مدخله في الركن الجنوبي الشرقي من الرواق الكبير، يحيط بالحمام جدار داخلي إضافة إلى الجدران الأساسية التي هي من أصل القصر، وهذا الحمامخاص بالقصر جدرانه الداخلية مشيدة من الطابوق والنورة ، أما أرضية الحمام فهي مبلطة بالرخام الأبيض، وله مدخل رئيسي داخلي يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للرواق الكبير ومداخل فرعية أخرى، وقسم الاستحمام يتكون من ثلاث قاعات متداخلة، يؤدي إليه مدخل في الضلع الغربي، والتصميم العام للحمام يشبه تصميم الحمامات التيشيدت في العصور الإسلامية،كما توجد بناية صغيرة في الجهة الشمالية الشرقية للحصن ، ويشبه تصميمها الحمام.(٥٩)

وتطورت الحمامات في العصور الإسلامية المزدهرة، ففي ذلك الوقت لم يكن مألوفاً أن يستحم الناس في بيوتهم، ولم تكن هناك حمامات خاصة إلا في بيوت الحكام والولاة ومنازل الميسورين، ومن هنا نشأت الحمامات العامة التي يؤمها عامة الناس على اختلاف طبقاتهم.(٦٠)

ويعود اهتمام المسلمين بها أيضاً لأسباب صحية ودينية ، لأنها كانت ضرورية للتطهير والاغتسال ووسيلة للاستعداد للعبادة، وكان لهذا الأمر تأثير واضح في تطور الحمامات عمرانيا، أما الحمامات المتخصصة للنساء فكانت تبنى إلى جانب الحمامات الخاصة بالرجال.

اما الحمامات الشعبية في مدينة كربلاء فهي مراكز للحياة الاجتماعية ، حيث ترتبط بها المناسبات الهامة فيحياة الناس ، منها أن يذهب العريس إلى الحمام قبل زفافه ، وكذلك يستعمل كصالون تجميل للنساء ، وتستعمل الحمامات الشعبية كمنشآت صحية للعلاج والتخلص من بعض الأمراض(٦١)

ويذكر الكاتب الصحفي عمانوئيل فتح الله عمانوئيل لدى زيارته لكربلاء سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) إن بها حمامات كثيرة.(٦٢)

لقد استمدت الحمامات العامة في كربلاء أصولها المعمارية من الطراز الفارسي والتركي ، ولكنها تميزت عنهما بصفات محلية عرفت بها العمارة في كربلاء من حيث استعمال مواد البناء المحلية كالطابوق (الآجر) والجص والنورة والقار الأسود ، وهي من المواد العازلة للحرارة، واستخدمت في بناء الحمامات الكربلائية القباب والقبوات والعقود الآجرية فيتسقيفها. أما جدرانها فهي سميكة وتنشر في الكثير منها الزخارف الجميلة خصوصاً في الواجهات الخارجية والقباب والمداخل.(٦٣)

ثانيا/ الحمام في البيوت التراثية :

ويقع في ركن من أركان البيت ومساحته متران مربعان أو أكثر بقليل ، يحتوي على حوض ماء صخري صغير، ويسخن الماء في معظم الأحيان في مشربة خارج الحمام في ساحة البيت أو المطبخ ثم تدخل إلى الحمام فيفرغ ماؤها في الحوض ، وهنا تبدأ عملية الاستحمام ، وأحياناً يوجد تحت أرضية الحمام موقد نار (المشعل) لتسخين أرضية الحمام ، ويستعمل الخشب كوقود لهذا الغرض، وكان معظم الناس يستخدمون الحمامات الشعبية المنتشرة في أحيائها القديمة.(٦٤)

المبحث الثالث:

أولا/ حمامات مدينة كربلاء المقدسة :

وقداشتهر في كربلاء عدد من الحمامات منذ القدم منها لا زالت باقية حتى الآن وقسم آخرأندرس أثره نتيجة للتخطيط الحضاري الذي طرأ على المدينة بفتح الشوارع الحديثة . وهذه الحمامات هي:

١- حمام المالح :

ويعرف اليوم بحمام موسى بن جعفر (عليه السلام) . يقع اليوم في محلة باب الطاق ، وقيل:إن المرحوم السيد علي السيد أحمد آل نصر الله هو الذي كان يستأجر الحاملقاء مبلغ معين متفق عليه في ذلك الوقت، ويرجع تاريخ بناء الحمام إلى القرن العاشر الهجري.(٦٥)

٢- حمام الكبيس:

أوقفه الخواجة عيسى بن المرحوم محمد اللافيهي ، والموقوف عليه يحيى جلبي وذلك بتاريخ ٩ربيع الأول سنة ٩٨٩ هـ وتوليته بيد السادة آل الوهاب وآل الجلوخان وبعض الأسر العلوية ، ويعرف بالكبيس نسبة إلى عشيرةالكبيسات التي قطنت محلة الكبيس وهي جزء من محلة باب الطاق.

٣- حمام ركن الدولة :

أسسهالشاهزاده على نقي مرزا ركن الدولة وذلك بتاريخ ١٢٥٥ هـ وتوليته بيد العلامة السيد محمد باقر الحجة الطباطبائي . وموقعه في منتصف سوق القبلة الذي فتحه جلال باشا متصرف لواء كربلاء سنة ١٣٢٨ هـ وكان يؤجره للعسكر ، وقد أندرس أثره اليوم. (٦٦)

٤- حمام البغدادي:

وهو العائد للسيد مهدي الجواد البغدادي ، وقد تأسس قبل قرن واحد ، ويقع في ساحة البلوش(ساحة الإمام علي حاليا) .

٥- حمام القبلة:

أسسه محمد علي خان جان الكرمانشاهي أحد أتباع الحكومة البريطانية وذلك في سنة ١٨٩٠ م ،وموقعه بباب قبلة الحسين (عليه السلام) ، لكن آثاره قد اندرست منذ سنة ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠م اثر افتتاح شارع الحائر الحسيني (٦٧)

٦- حمام المشروطة :

يقع في محلة العباسية الشرقية ، ويعزى سبب تسميته بهذا الاسم لأحد زعماء (الدستور الإيراني ، هو الحاج أغا نور الله الأصفهاني)وكانت إدارته بيد أخيه الشيخ إسماعيل، أما في الوقت الحاضر فقد انتقلت إدارته لأولاده، وقد أستملك قسماً منه آل الكمبوري ، ويعود تاريخ تأسيسه إلى ١٩١٠ م.

٧- حمام الشاخة :

كان موقعه في محلة العباسية الغربية على فرع من نهر الهندية ويعرف بالشاخة ، وقد أسسه حسين عسكر سنة ١٨٩٢ م على عهد السيد حسين السندي رئيس بلدية كربلاء آنذاك ، ثم انتقل إلى ولده محمد علي ، وقد تهدم اثر التوسع الحاصل بشارع العباس ، وأعيد بناءما تبقى منه ، ويسمى اليوم بـ (حمام كربلاء الحديث) ، وهناك حمام للنساء يقع بالقرب منه.

٨- حمام شنطوط:

أوقفته السيدة خديجة بنت عبد الحسين عجام لذرية الحاج محمود شنطوط وقفاً خيريا سنة ١٩٢٠ م . وموقعه في نهاية شارع علي الأكبر قرب سوق العباس.

٩- حمام المخيم:

وكان يعرف بحمام فيروزة ، وكانت ساحة المخيم إذ ذاك مدفنا للموتى ، وقد شيد على أنقاضهاهذا الحمام وأسسه المرزا أحمد المعمار الشيرازي المعروف بضياء التجار ، ويعود تاريخ تأسيسه إلى السنة ١٩٠٠ م ، وهناك عدة سهام ابتاعها المرحوم السيد محسن السيد محمدعلي آل طعمة . وموقعه اليوم في الواجهة الأمامية لساحة المخيم.(٦٨)

١٠- حمام اليهودي:

ويعرف اليوم بحمام الصفاء ، شيده يعقوب شكر الله أحد الملاكين اليهود المشهورين ، وموقعه في نهاية سوق العلاوي في الزقاق الذي كان يقطنه اليهود في العهد العثماني في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

١١-حمام النواب:

أسسه أحد الشخصيات من نوابي الهند ، وقد ابتاعه السيد مهدي الطباطبائي السندي ، وكان موقعه في سوق الهرج (ساحة الشهداء حاليا) يجاور هذا الحمام حمام خاص للنساء وبابه في زقاق الداماد.

١٢- حمام السعادة:

وكان يعرف بحمام الچاچين المحرفة من كلمة دكاكين ، الواقع في محلة باب السلالمة في زقاق النصاروة .(٦٩)

١٣-حمام السيد سعيد الشروفي:

ويعرف في الوقت الحاضر باسم (حمام الفرات) للرجال وكانت ملكيته تعود في الأصل إلى السيد سعيد الشروفي،ويقع هذا الحمام في باب السلالمة في كربلاء المقدسة ولايزال هذا الحمام قيد الاستعمال ،ويرتقي تاريخ بنائه إلى أواسط القرن التاسع عشر للميلاد، وقد تعرض هذا الحمام إلى إضافات وتجديدات كثيرة ، أهمها استحداث واجهته الخارجية واستبدال بابه القديم بباب حديث الصنع وكذلك المجاز (شكل١).(٧٠)

يشغل الحمام رقعة مستطيلة من الأرض تبلغ مساحتها (٣٢٠م) وأبعادها (١٩،٦م×١٦،٥م) (مخطط١) .

للحمام مدخل رئيس يقع في الجهة الجنوبية وبالتحديد في الزاوية الجنوبية الغربية حيث تطل واجهته على الشارع العام إلى جانب مدخله من جهة الشرق مجموعة من

الحوانيت الصغيرة مشاغل لصناع وحرفيين (شكل١) أما من جهاته الأخرى فتتصل به وحدات سكنية .

يفضي المدخل إلى قاعة الاستقبال أو قاعة المنزع وهي على شكل ردهة واسعة تعلوها قبة منخفضة ارتفاعها (٥،٧م) ويلاحظ عليها الاعتناء والاهتمام من الخارج وذلك بسبب الصيانة المستمرة (شكل٢)، وقد غلفت واجهاته الخارجية بقطع الحجر المهذبة وهو حديث ولا علاقة له بالأصل (شكل٣) وتعلو قاعة الاستقبال قبة تقوم على أربعة عقود مدببة مرتفعة ضخمة ويزينها من الداخل مقرنصات على شكل مثلثات كبيرة تحصر داخلها معينات تنتهي بشكل نجمي (شكل٤) ويلاحظ وجود نافذة واحدة مستطيلة الشكل بطول ٦٠سم وبعرض ٨٠سم لإدخال الضوء(مخطط٢).(٧١)

لقد حولت الدخلات الكبيرة المتفاوتة في العمق هذه القاعة من الشكل المستطيل إلى الشكل المربع في جزءها العلوي تسهيلا لإقامة القبة فوقها، وان تغطية الحمامات بالقباب والاقبية يزيد من ارتفاع المبنى زيادة واضحة وبالتالي يزيد من نسبة حيز الفراغ الداخلي وهذا الارتفاع يساعد على زيادة الاستيعاب لكميات بخار الماء او الرطوبة المتصاعدة فتقل بذلك كثافة البخار في الحيز الفراغي عكس ما لو كان السقف منخفضا فتزيد كثافة بخار الماء ويشعر من في الحمام بالاختناق كما ان الارتفاع كذلك يساعد على تحريك الهواء في المكان فيتجدد الهواء ذاتيا من خلال صعود التيارات ونزولها بين الحار والبارد(٧٢) ، ولا يوجد في هذه القاعة ما يستحق الذكر باستثناء النوافذ المستطيلة التي فتحت في أعالي الجدار (٦٠سم×٨٠سم) المحددة بأطر من الخشب يتخللها قضبان الحديد المثبتة طوليا ،سدت بصفاقتين من الزجاج الشفاف غير الملون الذي يسمح بدخول الضوء دون الهواء والمطر، كما يوجد في هذه القاعة مدخلان آخران يقع احدهما في الضلع الشرقي قرب الزاوية الشمالية الشرقية يؤدي إلى مؤخرة الحمام ،أما المدخل فموضعه في الضلع الجنوبية أي في الزاوية الجنوبية الشرقية والذي يفضي إلى القاعة الدافئة .

والقاعة الدافئة مستطيلة نسبيا (٤،٢٠م×٢،٢٠م) يوجد في صدرها مرافق صحية قديمة قدم البناء نفسه ، وقد سقفت هذه القاعة بقبوة منخفضة وفيها بابان آخران يقعان في الجدار الشرقي احدهما يؤدي إلى سلم يوصل إلى السطح والباب الثاني الذي يقع إلى جانب الباب الأول يؤدي إلى قاعة الاستحمام الساخنة .

إن قاعة الاستحمام على شكل ردهة واسعة تعلوها قبة منخفضة تتشابه مع قبة المنزع شكلا وحجما ،مقامة على أربعة عقود مدببة مرتفعة ضخمة ،وفي الجهة الشرقية يقوم العقد المدبب الكبير على ثلاثة عقود منبطحة منخفضة ترتكز هذه العقود على عموديين اسطوانيين يتشابهان مع عمود الحمام السابق الذكر،وان القاعة هنا مستطيلة الشكل (١٢م×٨،٣٠م) إلاإن وجود الخلوات والدخلات قد ساعدت على تهيئة شكل مربع في الوسط لإقامة القبة ، ويلاحظ في الضلعين الشرقي والغربي من هذه القاعة وجود خلوات ضيقة تتسع لشخص واحد فقط ، وبفضل وجود العمودين الاسطوانيين في الضلع الشمالي أمكن قيام دخلة (٦،٥٠م×٢م)تتوزع على جوانبها دكاك لجلوس

المستحمين ، ومن الملاحظ إن المعمار جعل هذه الدخلة أربع فتحات قياس كل منها (٣٠سم×٥٠سم) وذلك لإدخال الهواء الساخن الذي يكون عادة محملا بالبخار الكثيف لغرض الزيادة في تدفئة القاعة ،وان هذا الحمام شيد بالآجر والجص وربما كانت واجهة البناء عند التشييد مكسية بطبقة سميكة من الجص غير انه في الوقت الحاضر تكسوه طبقة من الاسمنت .(٧٣)

ثانيا/ وصف الحمامات العامة في مدينة كربلاء :

تتألف الحمامات العامة في كربلاء من ثلاثة أقسام وهي:

القسم الأول/ المنزع :

وهو مكان فسيح أشبه بقاعة كبيرة غير مدفأة يخلع فيه الناس ملابسهم ، ويحتوي على مساطب خشبية أو رخامية للجلوس. ويعرف المنزع محلياًبـ (البراني) ويتوسطه أحياناً حوض ماء صغير على شكل نافورة، ويعلو المنزع في أكثرالأحيان قبة كروية الشكل تحتوي على فتحات صغيرة ثبت فيها الزجاج الملون لإدخال النور إلى هذا الجزء من الحمام وفي بعض الحمامات توجد المنازع على شكل دواليب تحفظ فيها الملابس.

القسم الثاني:

ومن المنزع ينتقل المستحمون عبر دهليز يفضي إلى مكان كبير هو الحمام الذي يكون على شكل مربع أو دائرة في أكثرالأحيان، ويحتوي على أركان (خلوات) ، ويوجد في كل خلوة حوض صغير وحنفيتان ، واحدة للماء البارد وأخرى للماء الحار وكذلك دوش ، ويسمى هذا القسم من الحمام (الجواني) ، ويعلوهذا القسم في معظم الحمامات قبة كروية كبيرة أو قباب صغيرة كروية الشكل تتوزع فيها فتحات صغيرة ثبت فيها الزجاج الملون لإدخال النور، أما أرضية هذا القسم فكانت تبلط بالطابوق (الآجر) المسطح (الفرشي) المصخرج ، وفي أكثر الأحيان توضع عليه طبقة من القار الأسود، وفي بعض الحمامات تبلط الأرضية بالحجر المصقول ، أما جدرانها فتغطى إلى ارتفاع ١,٥ متر تقريباً بالقار الأسود، أما القسم العلوي منها فيكسى بالجص الأبيض الخالي من الشوائب.

القسم الثالث :

غرفة الخزينة ، وتسمى أيضاً بيت الحرارة أو غرفة البخار، وهي عبارة عن غرفة يتوسطها حوض كبير يُملأ بالماء الحار، وأحياناً تكون الخزينة أوحوض الماء الحار

ضمن القسم الجواني وفي ركن من أركانه ، وفي بعض الحمامات يوجد أكثر من خزينة واحدة.(٧٤)

وتتم تدفئة الحمامات العامة في مدينة كربلاء بواسطة مواقد (مشاعل) يطلق عليها محلياً اسم (الكورة) تقع تحت أرضية الحمام ، حيث يؤتى بالحطب (الخشب) ويوضع في هذه الكورة لإشعاله .

أما ماء الحمام فكان يسخن في خزانات كبيرة توجد في موضع بجوار الحمام يطلق عليه محلياً أسم (الطمة) ، وقديماً استعملت فضلات الخيل والحمير والبغال اليابسة كوقود لهذا الغرض(٧٥)

ومن التأثيرات السلبية التي كانت تسببها بعض الحمامات العامة في كربلاء ، عدم وجود طريقة لتصريف مياه المجاري ، لذلك كانت تضخ إلى آبار اصطناعية فتسبب في صعود مناسيب المياه الجوفية داخل المباني المحيطة.

ثالثا/ اسس قيام الحمامات التراثية :

هناك اسس يقوم عليها تصميم الحمام من اهمها (٧٦):

١-ان يشتمل الحمام على هواء وماء حارين .

٢-ان تتوفر في الحمام من الداخل رغم الهواء والماء الحارين والذي ينتج عنهما نسبة عالية من الرطوبة لتواجد بخار الماء بكثافة ، فرصة جيدة للتنفس الصحيح فلا يحدث غثيان او اغماء .

٣-الا يتسرب الى داخل الحمام أي دخان من الدخان الذي يصدر عن المستوقد الذي يلحق بالحمام لتسخين الماء والهواء .

٤-الا تتعرض الوحدات الداخلية للحمام لتيارات الهواء البارد التي تؤثر سلبا على المستحمين فيتعرضوا للأمراض الناتجة من التعرض لهذه التيارات .

٥- الاهتمام بتوفير المقومات الجمالية التي تساعد على الراحة النفسية لجموع المستحمين في كل وحدات الحمام.

٦-تلبية ما يحقق الخصوصية للأشخاص داخل الحمام وخاصة في حمامات النساء.

رابعا/ الحمامات الشعبية موروث كربلائي :

الحمامات التراثية في مدينة كربلاء تتميزبهندسة البناء والنقوش البديعة والزخارف الجميلة المختلفة التي تعلو كل واجهة إلى جانب القبة العالية المعقودة والتي لم يكن باستطاعة البنائين اليوم القيام ببناء مثل هذه القبة أو على شاكلتها، أما عن الفوائد التي نجنيها من الحمامات فقد اتخذت منذ القدم أماكن للعلاج والتخلص من بعض الأمراض التي تصيب الإنسان جراء البرد القارص، فالمعروف إن حرارتها العالية تزيل الكثير من الأوجاع التي تصيب الجسم ومنها وجع العظام والزكام ، وطبيعي لا يتم هذاالعلاج إلا بعد أن يمكث المستحم داخل الماء الحار (الخزينة) فترة طويلة من الزمن لاتتجاوز الساعة أو أكثر، وهذا ما نشاهده الآن ساريا في كثير من الحمامات الشعبية في كربلاء وخارجها.

كانت الحمامات قديماً دهاليز مظلمة ماؤها شديد الحرارة بحيث لا يستطيع المستحم المكوث فيها أكثر من نصف ساعة، وكثير من الناس يغمى عليهم ، نظرا لارتفاع حرارة هذه الحمامات ، وكان الناس مضطرين في التردد عليها لان بيوتاتهم خالية من الحمامات الخصوصية كما هو اليوم حيث تتوفر في البيوت كل الوسائل الصحية والنفسية.

خامسا/العاملون فى الحمام:

١- الأسطة : -

وهو الشخص الذي يجلس على الكرسي وأمامه (الدخل) وهو أما أن يكون صاحب الحمام أو الضامن.

٢- الجومدار:

وهي كلمة فارسية يراد بها (موزع الإزار) ويقوم بدور المنشّف ، حيث يأخذ الإزار المبلل وينشفه في الشمس على سطح الحمام ، واليوم تطورت عملية التنشيف وصارت بطريقة الكهرباء.

٣- الدلاك :

وهوالذي يقوم بتدليك الجسم داخل الحمام وفي لوج خاص(٧٧).

سادسا/ ما يستخدم داخل الحمام:

١- الإزار:

وهوقطعة قماش تتميز بلون أحمر وهو الغالب على أكثر الأوزار ، يستخدمه المستحم عند الدخول إلى الحمام ثم يستبدل بأوزار جديد عند الخروج إذا لم يجلب المستحم أوزاره الخاصة.

٢- السدر:

واستعماله من قبل الرجال المقدسين والمعمرين ، حيث يخلطون السدر بالحناء وورد الختمي لتدليك الجسم ورفع البثور ، ومن الناس من يدلك رأسه بالنارنج أوبماء النارنج .

٣- النورة:

ـــويعرف بـ (دواء الحمام) وهو مركب من مادة الزرنيخ والنورة لإزالة الشعر من الجسم.

٤- الصابون:

ـــوهو بأنواعه المختلفة المعطرة منها وغير المعطر لاسيما صابون الرقي.

٥- الكيس:

ويستعمل من قماش خشن أسود اللون . ويتم تدليك الجسم باحتكاكه بالجلد ويستخرج منه فتيلا من الأوساخ ، ويستعمل المدلك (السبداج) بوضعه على الكيس لأجل رفع الأوساخ المتراكمة وتنظيف الجسم جيدا.

٦- الليفة:

ـــوهي مشبك من خيوط البند تحيكه النساء ، ويستعمل لتنظيف الجسم بشكل يكون الصابون داخل الليفة، وإضافة إلى ما تقدم ، فهناك مواد ثانوية أخرى تستعمل داخل الحمام كالحجر والموس.

ـــيدخل المستحم في المنزع ويودع أماناته (إن وجدت) لدى الأسطى ، ثم يخلع ملابسه ويدعها في زاوية خاصة ، ثم يدخل إلى الحمام لغسل جسمه، وهناك عدد كبير من الوجهاء يجلبون معهم الفواكه كالبرتقال والنومي والرمان والنارنج لتقوية أجسامهم حتى يحصلوا على القوة والانتعاش، وبعد فراغ المستحم من الغسيل يدق بالطاسة على الحوض أو يصفق بكلتا يديه إشارة إلى الخروج، وعندما يسمع الجومدار يأتي بمناشفه ثم يلبسها ويخاطبه : نعيماً دائما ، فيجيبه : انعم الله عليك ، ثم يدخل حوضا صغيراً بباب المنزع لغسل رجليه ، ثم يجلس في الموضع الذي خلع فيه ملابسه ، وبعض الأشخاص المعروفين والذوات يأتيهم المنشف ويمرخ لهم بالمناشف لمدة وجيزة، وفي الأعياد يعمل الصنّاع بوضع صينية داخل المنزع فيها إبريق ماء الورد ، فالمستحم عند خروجه من الحمام يرمي بمبلغ مناسب في الصينية ، وتقسم المبالغ المتجمعة على الصناع أنفسهم، وكانت أجرة الغسل في الحمام أبان العهد العثماني لا تتعدى القرش الواحد ، وقد صارت فيما بعد بين ١٥٠ ـ ٥٠٠ فلسا حسب درجة نوعية الحمام ، والحمامات تكون تحت إشراف وزارة الصحة ، ولا تمنح الإجازة لصاحب الحمام إلا بعد توافر عدد من الشروط.

ومن العادات المتبعة في الأفراح إن بعض الأشخاص الذين يتزوجون ، يستغلون الحمام لساعتين، فالعريس يصحب معه جماعة من أصدقائه ولفيفا من أقربائه لايقل عددهم من ١٠ ولا يزيد عن ٢٠ مما يضطر صاحب الحمام أن يلتزم بغلق باب الحمام حكراً لهم ، فلا يدخل أحد قبل الموعد المحدد ، وهناك توزع الفواكه داخل الحمام ويترنم المحتفون بالأغاني الشعبية والأناشيد الرائعة ابتهاجا بزواج الصديق المحتفى به ، وقد يكون عكس ذلك في الأحزان أي في يوم أربعين الشخص (المرحوم) حيث يذهب رئيس العائلة مع زمرة من أقربائه بعد حلق رؤوسهم ووجوههم إلى الحمام(٧٨)

سابعا/ حمامات النساء:

ـــوتكون مجاورة لحمامات الرجال في الأعمال أغلب ومنها ما تكون مفتوحة في الصباح المبكر، وتكاد تختلف النساء عن الرجال في العادات المتبعة في الاستحمام والأدوات التي يجلبونها ، فالنساء يحملن المناشف من البيت مع الملابس الخاصة بهن وتوضع داخل (البقچة) وهي بالعامي تعني قطعة قماش توضع فيها الملابس وتشد.

أماالمواد التي تجلبها المستحمة الى الحمام فهي:

١- الحناء السوداء والحمراء وهي تشترى من العطار

٢-الصابون الرقي لغسل الجسم .

٣-السبداج خاتون لغسل الوجه وهو مسحوق أبيض على شكل أقراص.

٤-طين خاوه لغسل الرأس

٥- طاسه لوضع الصابون والمشط أثناء الاستحمام

٦- حجر لتحجير كعب الساق

٧- المسواك لتنظيف الأسنان

٨-السدر (ورق النبق) يستعمل لغسل الرأس

٩- القبقاب.

١٠-الحرمل والبخور.

هذا فضلا عن إن النساء لديهن دلاكة لتدليك أجسامهن، وهناك عاملة واحدة تجلب لهن المناشف وأجرتها كانت ٢٠ فلسا ، وأجرة الحمام ٦٠ فلسا ، وأجرة الدلاكة ٦٠ فلسا أيضا.

ومن العادات المتبعة لدى النساء عند الولادة أن تذهب أم الطفل بعد الولادة بسبعة أيام إلى الحمام مصطحبة جدة الطفل ،إن كانت حية ترزق ، وبعض الأقارب والصديقات ، ويصحبن معهن كيسا مملوءاً بالفواكه من أجل إتمام البهجة في نفوس المستحمات . وهناك فرق بين أجور الحمام حيث تكلف مبلغاً أكثر من المعتاد لاسيما في الوقت الحاضر.

ثامنا/ كيفية اشتعال الحمام(المستوقد) :

سبق قد استعرضنا طريقة اشعال الحمام والعادات المتبعة في كل المدن الاسلامية والان نتعرف على طريقة اشعال الحمام في حمامات مدينة كربلاء المقدسة حيث ان هناك كورة تقع في جوف الحمام بثلاثة اذرع ، حيث يؤتى بالحطب ويرمى فيها لكي تصبح أرضيةالحمام حارة ، وكان يحمى ماء الحمام قديماً بواسطة (الزبل) وهي

obeikandl.com

القاذورات التي تتجمع في اصطبلات الخيل والحمير والبغال ، حيث تتجمع في موضع يقال له (الطمة) ويكون موقعها بجوار الحمام، وهناك عامل خاص يقوم بهذه العملية لقاء أجور معينة ، أما اليوم فقد استبدل النفط الأسود والماء والكنديسة بدلا من الحطب ، وقد حلت محلها حمامات عصرية منظمة تشعل بالغاز. (٧٩)

ويقع في ركن من أركان البيت ومساحته متران مربعان أو أكثر بقليل ، يحتوي على حوض ماء صخري صغير. ويسخن الماء في معظم الأحيان في مشربة خارج الحمام في ساحة البيت أو المطبخ ثم تدخل إلى الحمام فيفرغ ماؤها في الحوض ، وهنا تبدأ عملية الاستحمام ، وأحياناً يوجد تحت أرضية الحمام موقد نار (المشعل) لتسخين أرضية الحمام ، ويستعمل الخشب كوقود لهذا الغرض، وكان معظم أهالي مدينة كربلاء يستخدمون الحمامات الشعبية المنتشرة في أحيائها القديمة.

اما المستوقد عماريا عبارة عن كتلة بنائية تتضمن عدة مستويات بنائية المستوى السفلي عبارة عن بيت النار واسفله جوره وهو الموضع الذي يشعل فيه النيران لتسخين الماء والهواء ولبيت النار مدخنة عبارة عن قصبة مبنية مفرغة من الداخل تسمح بصعود الهواء الى اعلى ويرتفع بناؤها الى مستوى سطح الحمام ويعلو بيت النار مناطق مفتوحة تبنى فوقها الدبكونية التي يوضع عليها قدور الماء سواء كانت من الرصاص او النحاس وتتصل هذه القدور بمصدر الماء البارد الذي يزودها او تملأ بالماء عن طريق نقل الماء اليها بوسيلة او بأخرى وتتصل من اسفل بالأنابيب التي تحمل الماء الساخن الى وحدات بيت الحرارة .(٨٠)

الخاتمة:

الحمامات تشكل مرفقا حيويا من بين المرافق الأكثر أهمية في المدينة العربية الإسلامية منذ بداية العصر الإسلامي فبات وجودها في كافة الأزمنة من المكملات الأساسية في رسم نسيج المدينة أو جزءا أساسا من تخطيطها ، وان الحمامات من المؤسسات الخدمية التي لها علاقة مباشرة بحياة الفرد والمجتمع ومن ثم يكون لها دور حضاري متميز ولما كان من مبادئ الإسلام الطهارة والنظافة لذلك كان ظهور هذه المؤسسة الخدمية التي تسمى حمام من الضروريات في المجتمع الإسلامي وان الحمامات تشترك فيما بينها بجملة خصائص منها الخصوصية في التخطيط فهي تعتمد على النظام الثلاثي (القاعة الباردة ،الدافئة ،الساخنة) وتميزت واجهاتها الداخلية

والخارجية بالبساطة وخلوها من أي ضرب من ضروب الزخرفة إذا كان لهذا المعلم العمراني أهمية كبيرة في المجتمع لارتباطه براحة الفرد ونظافته وطهارته.

الهوامش :

١- الرازي ، محمد بن ابي بكر : مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، بيروت ، ١٩٩٥، ص٦٦.
٢- ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين: لسان العرب ، بيروت ، ١٩٥٦م ، مجلد ١٢، ص١٥٣.
٣- الرازي ، محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح ، الكويت ، دار الرسالة، ١٩٨٢م ، ص١٥٧.
٤- الجوهري ، أبو منصور إسماعيل بن حماد : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ج٥، ص١٩٠٧.
٥- الشناوي ، احمد وآخرون : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الحمام ، مترجم ، م٨، ص٦٨.
٦- محمد ،غازي رجب : الحمامات في العصر الإسلامي "نظرة خاصة إلى حمامات اليمن " ندوة الحمامات في المدينة المنورة الإسلامية ، مركز إحياء التراث ،١٩٩٠، ص٣٣١.
٧- نعيسة ، يوسف جميل: مجتمع مدينة دمشق، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦، ج١، ص ١٢٢-١٢٩.
٨- الجوزي ، ابي الفرج جمال الدين : المدهش ، تحقيق مروان قباني ، ط٢، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ١٩٨٥، ص٥٢.
٩- القلقشندي ، احمد بن علي : صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تحقيق يوسف علي ، ط١، دار الفكر ، سوريا، دمشق ،١٩٨٧، ج١، ص٤٨٥.
١٠-المصدر نفسه ، ٤٥٨.
١١-ابن كثير ، ابو الفدا اسماعيل بن عمر : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، لبنان ، بيروت ،ج٧،ص١٠٠.
١٢-المقريزي ، احمد بن محمد التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، لبنان، بيروت،١٩٦٨،ج٢، ص٣٥٣.
١٣-المقريزي، المصدر نفسه، ص٣٣٥.
١٤-ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ،ط٤، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٥هـ،، ج١،ص١١٧.
١٥-المصدر نفسه ، ص٨٤.
١٦-ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي: رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني ، لبنان، بيروت ، ص٢٠٢.
١٧- الأصفهاني ، عماد الدين: البرق الشامي ، تحقيق فالح حسين، ط١، مؤسسة عبد الحميد شومان ، الأردن، عمان ،١٩٨٧، ج٣، ص١٥٣.
١٨- محمود ، عادل : جريدة الشرق الأوسط، ، ٢٠٠٨/٢/٩،العدد٩٩٣٥.
١٩-عطا الله ، دهينة : الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٢، ص٣٦٤.
٢٠-الطمار ، محمد بن عمرو: تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،١٩٨٤ ، ص٢١٨.

٢١-الفيلالي، عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر، الرغاية ، ج١، ص١٤٠.
٢٢-الفيلالي،المصدر السابق ، ص١٤٠ .
٢٣-الناصري ، ابو العباس احمد : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،ط١، دار الكتاب، المغرب، الدار البيضاء ،١٩٩٧، ص٢٣١.
٢٤-المقريزي ، المصدر السابق ، ص١٦٣.
٢٥-القنوجي ، صديق : أبجد العلوم،ج٢ ، ص٢٥٧.
٢٦-المصدر نفسه ، ص١٥٥.
٢٧-احمد ، ابي العباس :عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، ، بدون تاريخ، ص٥١٧.
٢٨-ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص٣٦.
٢٩-احمد ، ابي العباس ، المصدر السابق ، ص٥١٧.
٣٠-ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص٣٧٧.
٣١-الحموي، المصدر السابق ، ص٥٢٩.
٣٢-الفيلالي، المصدر السابق ، ص١٤٠.
٣٣-ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد و مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية ، لبنان، بيروت ، ١٩٩٢، ج ٨ ، ص ٨٢.
٣٤-ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ج١، ص٢٤١.
٣٥-ابن منظور : لسان العرب ،ج٣، ص ٣٥٢.
٣٦-ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص٨٢.
٣٧-القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج٢، ص٤٢٩.
٣٨-المقدسي ، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، دمشق، ١٩٨٠م،ج١،ص١٩٤.
٣٩-المقريزي ، المصدر السابق ، ص١٥٨.
٤٠- فخر الدين ، سميرة : حمام غرناطة، موقع تاريخ الأندلس، بتاريخ ٣١ يوليو ٢٠١٥م.
٤١-صادق ، صبيح: لمسات فنية معمارية معاصرة لبعث أقدم حمام أندلسي، جريدة الشرق الأوسط، الخميس ٢٧ ذو الحجة ١٤٣٢هـ / ٢٤ نوفمبر ٢٠١١م العدد (١٢٠٤٩).
٤٢-الشيرزي : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص٨٦.
٤٣-البكري ، عادل : "الشروط الصحية للحمامات في العصر العباسي" ، ندوة الحمامات في المدينة العربية الإسلامية ، مركز إحياء التراث ، بغداد، ١٩٩٠ ، ص ٢١٨،٢١٧.
٤٤-جعفر، زين العابدين موسى : الحمامات التراثية في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد، ١٩٩٥، ص٢١.
٤٥-ابن الإخوة : معالم القربة ، ص١٥٥.
٤٦-وجدي، محمد فريد : دائرة المعارف القرن العشرين ، ط٣ ، بيروت، دار المعرفة،١٩٧١، م٣، ص٦١٦.
٤٧-كونل، ارنست: الفن الإسلامي، بيروت ، ١٩٦٦، ص١٦٧و١٤٣.
٤٨-عثمان ، محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، الكويت، ١٩٨٨، ص٢٤٧.
٤٩-الأنصاري، رؤوف محمد علي: "الحمامات الإسلامية في العراق" ، صحيفة الحياة ، العدد ١٢٤٨٩ ، ١٩٩٧م ، ص ٢١.
٥٠-البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان ، صلاح الدين المنجد ، القاهرة، ١٩٥٧، ص٤٣٤.
٥١-مصطفى، شاكر: المدن في الإسلام ،ج٢،ص٦٥٦.

٥٢-السمكري ، زينب صادق علي : مجلة سومر ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، مجلد ٤٤، العراق، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام ،١٩٨٥ -١٩٨٦م ، جزء ١ ، ٢، ص١٤١-١٤٢.
٥٣-الأنصاري ، المصدر السابق، ص٢١.
٥٤-ناجي ،عبد الجبار : دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ص٣٠٦.
٥٥-أبن بطوطة : رحلة أبن بطوطة ، مطبعة الجزيرة، مصر ،١٩٠٥م، ج١، ص١٦٦.
٥٦-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، ط٥، دار القلم ، لبنان، بيروت ،١٩٨٤، ص٣٤٣.
٥٧-الحموي : معجم البلدان ،ج١، ص٤٣٥.
٥٨- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية ، لبنان، بيروت،١٤٠٣هـ، ص٣٤٨.
59- G.L.Bell:Amurath to amurath,p.147-15:K.A.Creswell:Early Muslim architecture,vol.11,p.52-70.
٦٠- البلاذري، المصدر السابق،ص٣٥٥ .
٦١- طعمة، سلمان هادي : " الحمامات الشعبية في كربلاء "، مجلة التراث الشعبي البغدادية ، عدد١٢، بغداد، ١٩٧٢م ، ص٦١.
٦٢- مجلة لغة العرب البغدادية ،عدد٥ ،١٩٧٢م، ص ١٥٨ .
٦٣-طعمة ، المصدر السابق ، ص٦١.
٦٤- الكشاف الأثري في العراق، وزارة الثقافة والإعلام ، ص ٢١٥.
٦٥- آل طعمة ، محمد حسن الكليدار: مدينة الحسين ، ج ١، ص ٢٦.
٦٦- القزويني، إبراهيم شمس الدين : البيوتات العلوية في كربلاء ،ج ١ ، ص ١٧ و٣١.
٦٧-كربلاء في الذاكرة
٦٨- كربلاء في الذاكرة ، ص٣٠١.
٦٩- المصدر نفسه، ص٣٠٥.
٧٠- جعفر، المصدر السابق، ص٦٧.
٧١- جعفر، المصدر السابق،ص٦٧.
٧٢- عثمان ، المصدر السابق ، ص٢٨٣.
٧٣- جعفر ،المصدر السابق ، ص٦٨.
٧٤- الأنصاري، المصدر السابق، ص٢١ .
٧٥- المصدر نفسه ، ص٢١.
٧٦- عثمان ، محمد عبد الستار : فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني (دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر) ، اعمال المؤتمر العالمي الرابع لمكونة الاثار العثمانية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي ،اب ،٢٠٠١، ص٢٧٩.
٧٧- كربلاء في الذاكرة، المصدر السابق، ص٣٧٦.
٧٨- كربلاء في الذاكرة، المصدر السابق، ص٣٧٧-٣٧٨.
٧٩- كربلاء في الذاكرة، المصدر السابق، ص٣٧٩
٨٠- عثمان ، المصدر السابق ، ص٢٩٠.

المصادر:

اولا / المصادر العربية:

- **ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين:**

١- لسان العرب ، بيروت ، ١٩٥٦م ، مجلد ١٢.

- **ابن كثير ، ابو الفدا اسماعيل بن عمر :**

٢- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، لبنان ، بيروت ،ج٧.

- **ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي:**

٣- رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني ، لبنان، بيروت.

- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد:

٤- المقدمة، ط٥، دار القلم ، لبنان، بيروت ،١٩٨٤.

- **ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي :**

٥- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد و مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية ، لبنان، بيروت ، ١٩٩٢، ج ٨ .

- **ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله :**

٦- تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ط٤، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٥هـ،، ج١.

٧- رحلة أبن بطوطة ، مطبعة الجزيرة، مصر ،١٩٠٥م، ج١.

- **الأصفهاني ، عماد الدين:**

٨- البرق الشامي ، تحقيق فالح حسين، ط١، مؤسسة عبد الحميد شومان ، الأردن، عمان ،١٩٨٧، ج٣.

- **آل طعمة ، محمد حسن الكليدار:**

٩- مدينة الحسين ، ج ١.

- **احمد ، ابي العباس :**

١٠- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، ، بدون تاريخ.

- **ابن الإخوة :**

١١-معالم القرية.

- **البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر:**

١٢- فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية ، لبنان، بيروت،١٤٠٣هـ.

١٣-فتوح البلدان ، صلاح الدين المنجد ، القاهرة، ،١٩٥٧.

- **الجوهري ، أبو منصور إسماعيل بن حماد :**

١٤-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ج٥.

- **الجوزي ، ابي الفرج جمال الدين :**

١٥-المدهش ، تحقيق مروان قباني ، ط٢، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ١٩٨٥.

- **جعفر، زين العابدين موسى :**

١٦- الحمامات التراثية في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد، ١٩٩٥.

- **الحموي :**

١٧-معجم البلدان ،ج١.

- **الرازي ، محمد بن ابي بكر :**

١٨-مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، بيروت ، ١٩٩٥.
١٩-مختار الصحاح ، الكويت ، دار الرسالة، ١٩٨٢م .

- **الشناوي ، احمد وآخرون :**

٢٠-دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الحمام ، مترجم ، م٨.

- **الشيرزي :**

٢١-نهاية الرتبة في طلب الحسبة .

- **الطمار ، محمد بن عمرو:**

٢٢-تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،١٩٨٤ .

- **عطا الله ، دهينة :**

٢٣-الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٢.

- **عثمان ، محمد عبد الستار :**

٢٤- المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، الكويت، ١٩٨٨.

- **فخر الدين ، سميرة :**

٢٥- حمام غرناطة، موقع تاريخ الأندلس، بتاريخ ٣١ يوليو ٢٠١٥م.

- **الفيلالي، عبد العزيز:**

٢٦-تلمسان في العهد الزياني ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر، الرغاية ، ج١.

- **القزويني، إبراهيم شمس الدين :**

٢٧- البيوتات العلوية في كربلاء ،ج ١.

- **القلقشندي ، احمد بن علي :**

٢٨-صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تحقيق يوسف علي ، ط١، دار الفكر ، سوريا، دمشق ،١٩٨٧، ج١.

- **القنوجي ، صديق :**

٢٩- أبجد العلوم،ج٢ .

- **كونل، ارنست:**

٣٠- الفن الإسلامي، بيروت ، ١٩٦٦م.

- **المقريزي ، احمد بن محمد التلمساني :**

٣١-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، لبنان، بيروت ،١٩٦٨،ج٢.

- **المقدسي ، محمد بن أحمد:**

٣٢-أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، دمشق، ١٩٨٠م،ج١.

- **مصطفى، شاكر:**

٣٣-المدن في الإسلام ،ج٢.

- **نعيسة ، يوسف جميل:**

٣٤-مجتمع مدينة دمشق، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦، ج١.

- **الناصري ، ابو العباس احمد :**

٣٥-الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،ط١، دار الكتاب، المغرب، الدار البيضاء ،١٩٩٧.

- **ناجي ،عبد الجبار :**

٣٦-دراسات في تاريخ المدنالعربية الإسلامية.

- **وجدي، محمد فريد :**

٣٧-دائرة المعارف القرن العشرين ، ط٣ ، بيروت، دار المعرفة،١٩٧١، م٣.

ثانيا / المجلات والدوريات :

- **الأنصاري، رؤوف محمد علي:**

٣٨- "الحمامات الإسلامية في العراق" ، صحيفة الحياة ، العدد ١٢٤٨٩ ، ١٩٩٧م .

- **البكري ، عادل :**

٣٩-"الشروط الصحية للحمامات في العصر العباسي" ، ندوة الحمامات في المدينة العربية الإسلامية ، مركز إحياء التراث ، بغداد، ١٩٩٠ .

- **السمكري ، زينبصادق علي :**

٤٠-مجلة سومر ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، مجلد ٤٤، العراق، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام ،١٩٨٥ -١٩٨٦م ، جزء ١ ، ٢.

- **صادق ، صبيح:**

٤١-"لمسات فنية معمارية معاصرة لبعث أقدم حمام أندلسي"، جريدة الشرق الأوسط، الخميس ٢٧ ذو الحجة ١٤٣٢هـ / ٢٤ نوفمبر ٢٠١١م العدد (١٢٠٤٩).

- **طعمة، سلمان هادي :**

٤٢-" الحمامات الشعبية في كربلاء "، مجلة التراث الشعبي البغدادية ، عدد١٢، بغداد، ١٩٧٢م .

- **عثمان ، محمد عبد الستار :**

٤٣-فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني (دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر) ، اعمال المؤتمر العالمي الرابع لمكونة الاثار العثمانية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي ،اب ،٢٠٠١.

٤٤-الكشاف الأثري في العراق، وزارة الثقافة والإعلام .

٤٥-محمود ، عادل :

٤٦-جريدة الشرق الأوسط، ، ٢٠٠٨/٢/٩،العدد٩٩٣٥.

٤٧-محمد ،غازي رجب :

٤٨-الحمامات في العصر الإسلامي "نظرة خاصة إلى حمامات اليمن " ندوة الحمامات في المدينة المنورة الإسلامية ، مركز إحياء التراث ،١٩٩٠.

٤٩- مجلة لغة العرب البغدادية ، عدد٥ ،١٩٧٢م.

ثالثا / المصادر الأجنبية:

1- G.L.Bell:Amurath to amurath,p.147-15:K.A.Creswell:Early Muslim architecture,vol.11.

obeikandl.com

الأشكال :

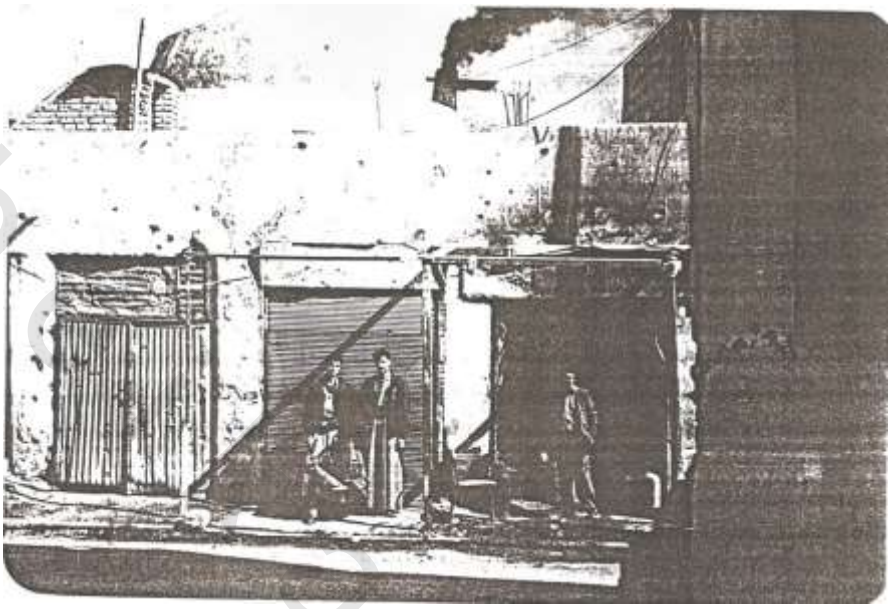

شكل(١)حمام السيد سعيد الشروفي

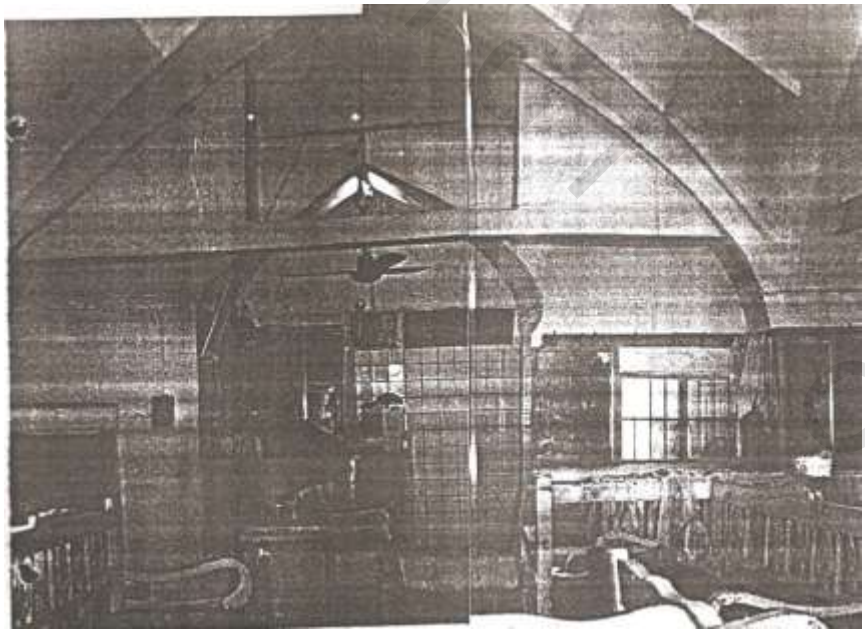

شكل(٢) حمام السيد سعيد الشروفي

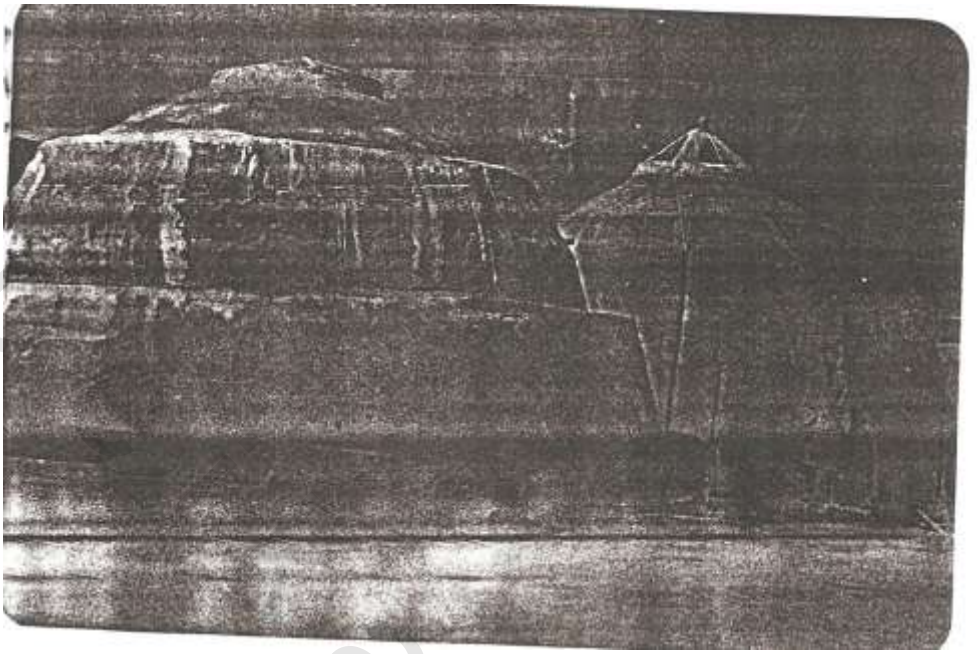

شكل (٣) حمام السيد سعيد الشروفي

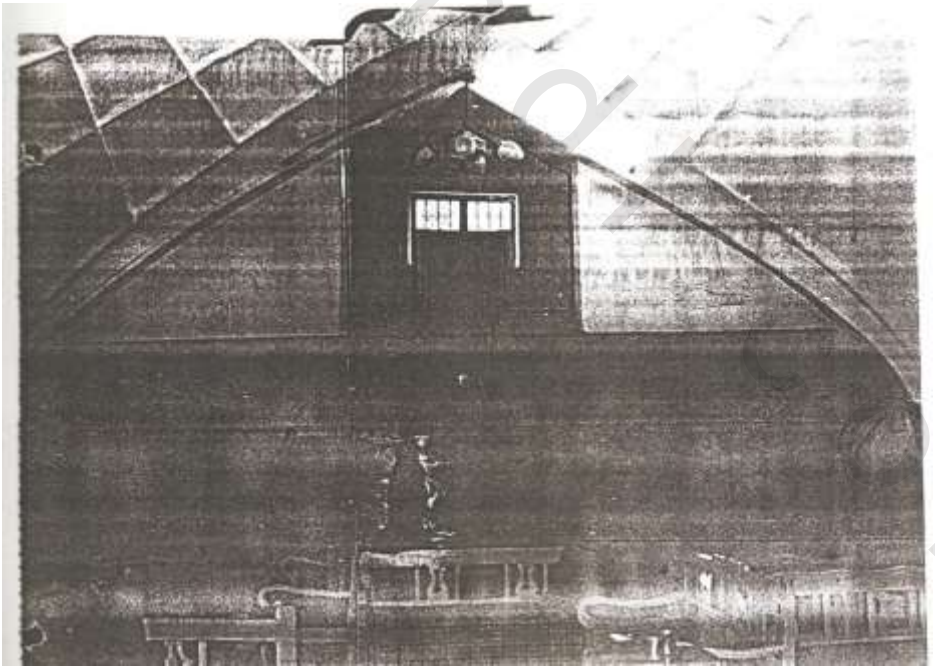

شكل(٤) حمام السيد سعيد الشروفي

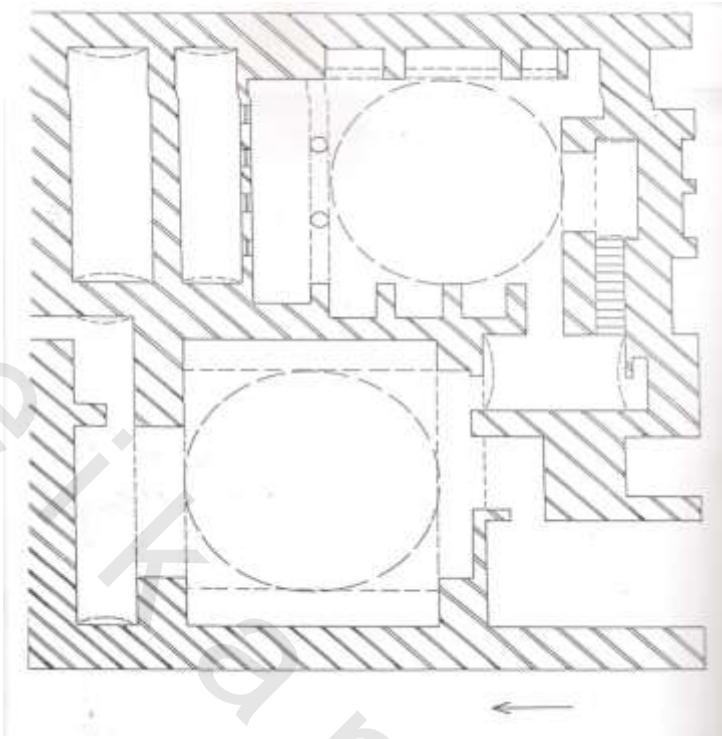

مخطط(١) مخطط ارضي لحمام سعيد الشروفي

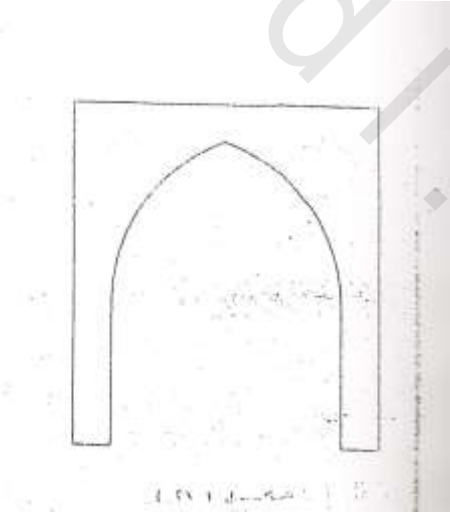

مخطط(٢)

ملامح من عادات وتقاليد العرب قبل الإسلام

Features of the habits and traditions of the Arabs before Islam

م.د. حسنين عبد الرزاق حسن هادي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم الجغرافية
Lecturer: Hasanain Abdul razzaq Hasan Hadi
Mustansiriyah University College of Education – Geography dept

المُلخّص

لكل أمّة من الأمم القديمة لها خصوصيتها وطابعها المميز عن غيرها من الأمم الأخرى، وهذه الخصوصية تكون نابعة من الإرث الحضاري القديم الذي قد تشترك فيه أمتنا مع غيرها من الأمم، أو قد تختلف عنها ، من ذلك نرى ان العرب قد أحتفظوا بالكثير من العادات والتقاليد القديمة التي ورثوها عن أسلافهم مُنذ عصر نبي الله أسماعيل بن أبراهيم (ع) حتى ترسّخت عندهم عبر الأجيال، ولمّا ظهر الإسلام اقرّ قسماً منها وسمح باستمرارها، بل وجعل البعض منها سُنّة من سُنَنِهِ، كونها من العادات الإنسانية الخلاّقة ، كإكرام الضيف والجود بالنفس وحماية المُستجير ورعاية الجار، والتختم بالأحجار الكريمة، واستخدام السواك، وختان الذكور، ونحر العقيقة، وحلق الشعر، والاستنجاء، والاغتسال من الجنابة والحيض، وتحريم الزواج من الأقارب(الأصول)، وطلاق المرأة بثلاث طلقات حتى تنّفصل عن زوجها، وتباركوا بيوم الجمعة وميّزوه عن سائر الأيام، وأظهروا الهيبة والاجلال لبيت الله الحرام ورفدوه بالهدايا والنذور وداوموا على أعماره وأكسائه بأفضل أنواع الأكسية، والتزموا بحرمة الأشهُر الحُرُم ، وترقّبوا أهلال الأهلّة لإقامة شعائر الحج والعمرة، وقدّسوا الحجر الأسود وتباركوا بشرب ماء زمزم، وطافوا حول الكعبة سبع مرات في الحج، ونحروا الأضاحي، واقاموا الرفادة والسقاية وعمارة البيت، وصانوا حرمة الميت، فغسلوه بالطيوب وكفّنوه وشيّعوه، وصلّوا وترحّموا عليه، وحفروا له قبرا ولحدا، وفق مراسيم شبيهة بما جاء به الدين الإسلامي.

ABSTRACT

Each of the ancient nations has its own particularity and distinctive character from other nations. This peculiarity emerging from the ancient cultural heritage that might our nation share with other nations, or it might differ from it. From this, we notice that the Arabs have retained many old habits and traditions Which they inherited from their predecessors since the era of the Prophet Ismail Ibn Ibrahim until they established throughout the generations till Islam emerged, some of that traditions were admitted and allowed to continue, and even made some of that mores “Sunna” of its enactments, because its from creative human habits, such as hospitality ,self-sacrifice, protection of refugees, neighbor care, wear a ring of Precious stones, cleaning teeth with (Swak), Male circumcision, Offering animals as sacrifice, hair shaving, the purification, ritual ablution from impurity and menstruation, and the prohibition of marriage from first degree relatives , divorce of women three times until she get separating from her husband. Arabs were blessed on Friday and glorified it from all other days, and showed prestige and reverence to Makkah and Give gifts and vows. They continued the reconstruction of The Kaaba and cover it with the best types of covers, and adhered to the sanctity of the sacred months, and waited for the dates of the Crescent to hold the rituals of Hajj and Umrah, They sanctified the black stone and they blessed with drinking Zamzam water, and circling around the Kaaba seven times during the Hajj, and they sacrificed the sacrifices. They worked on feeding the pilgrims and get drinking water for them and building the Kaaba. They took

care of the sanctity of the dead. The washed, shroud the dead. They dug the grave and they prayed for the dead according to ritual similar to the Islamic religion.

المقدمة

عُرفَ عند العرب قبل الإسلام جُملة من العادات والتقاليد الأصيلة النابعة من إرثهم الحضاري العتيد والمصقولة في بيئتهم الصحراوية القاسية ، ولم تنأى حضارة العرب عن نفسها وانعزلت، بل تأثرت بأفكار وعادات الأمم المعاصرة لها، لاسيما وأن بلادهم كانت ممرا آمنا لعبور القوافل التجارية ،التي جلبت مع بضاعتها ،عادات وثقافات المجتمعات المجاورة . يُعد موضوع العادات والتقاليد العربية قبل الإسلام من الموضوعات المهمة في التاريخ العربي والعالمي ، كونها تُسلّط الضوء على حياة العرب القديمة بمكامنها وتفاصيلها ،وبتطرّفها وسذاجتها،وبنظامها وعفويتها ،والتي أثير الجدل عنها في عدد من المصنّفات العربية والأجنبية، التي أعطت صورة مشوّهة عن حياة العرب قبل الإسلام ،نتيجة لتعميمها بعض المثالب التي اتصفت بها عدد من القبائل العربية – كالوأد والسبي والسفاح- لتصف بها عموم المجتمع العربي ،في حين إن هذه المثالب لم تكن غريبة عن حياة المجتمعات المتحضّرة في بلاد الرومان وفارس والهند . ومن خلال هذا البحث سنتعرف ،على أهم العادات والتقاليد العربية لاسيما تلك التي أقرّها الدين الإسلامي وسمح ببقائها ، كما سنُحاول الكشف عن أصول ومنابع عدد من العقائد والأعراف العربية القديمة . اولا: عادات العرب وتقاليدهم في الحياة العامة للعرب عادات وتقاليد كثيرة شملت جميع مفاصل الحياة، منها ما انفردوا بها عن دون سائر شعوب العالم الأخرى، ومنها ما اشتركوا فيها مع غيرهم، ومن بين تلك العادات نجد ان العرب كرهوا الأكل والشرب في الطرقات والأسواق وقوفاً، وحرصوا على غسل ايديهم قبل وبعد تناول الطعام، متجنبين النفخ في الطعام الساخن لأن ذلك يُعد مخالفا لآداب المائدة، مُفضّلين استخدام يدهم اليمنى في الأكل والشرب، امّا طريقة شربهم للماء، فكانوا يرتوون بثلاث شربات متقطعة لكي يتسنى لهم التنفس والارتواء بالتناوب مُتجنّبين البصق او الانتعال او التدافع في البيت الحرام، وذلك للمهابة التي أحتلتها الكعبة عندهمواعتادوا على اداء التحية بمصافحة الأيدي، وبدءا ممن هو على جهة يمين القوم .امّا فيما يخص تراتيب الزعامة والخطابة، فأن العرب كانت تذم الخطباء الذين يكثرون لمس ذقونهم أو شواربهم او لحاهم أو من يتمتم بكلامه لأن ذلك يُعد خرقا في أصول الوجاهة والخطابة، ومن عاداتهم الأخرى في

الهندام حمل العصا بصورة شبه دائمة فهي من مكمّلات لِباسهم وزينتهم، وقد تشكل العصا سلاحا متواضعاً لدرء مخاطر الطريق وتصلح متكئاً للمريض وعوناً للعجوز، لذا أعتّز بها العرب وحملوها معهم وادخلوها في أشعارهم وأدبياتهم ،حالها كحال العمامة التي قال فيها أبو الأسود الدؤلي ((جنّة في الحرب، ومكنّه في الحرّ والقرّ، وزيادة في القامة، وهي بعد عادةٌ من عادات العرب)) وبذلك عُدّت العمامة من متممات هندام الرجولة والوقار، ومظهرا من مظاهر الهيبة والاحترام عند قدماء العرب وفي الإسلام .ومن عادات العرب الاخرى التي عُرفت قبل الإسلام، التختّم بالأحجار الكريمة كالعقيق والفيروز والزبرجد، اذ زيّنوا خواتيمهم للتبرك بها، كما رصّعوا بعض خوذهم وعمائمهم بأغلاها ثمناً وأجملها منظراً، لاسيما أنها كانت محل تقديس واعتزاز كبيرين .واتصف العرب ترحيبهم بالضيف وإكرامه وضيافته وأن كان غريباً، بأحسن ما يكون، حتى اِن العرب سمّت موائد خاصة للضيافة عرفت عندهم بـ القرى اي طعام الضيف، وهي عادة ما تكون ثلاثة أيام على غِرار ما عُرف في الإسلام، يقوم صاحب الدار بخدمة ضيوفه بنفسه، تواضعا واحتراما لهم، ويعطرهم بأزكى انواع العطور، وعُرف عن العرب ايقادهم للنيران في أعلى الربايا والتلال ليراها عابر السبيل ليلاً فيلتجيء اليها ليضيّفوه ويُكرموه ويرشِدوه الى مقصده.أمّا الجار فالعرب قبل الإسلام احترموه ووقّروه وساعدوه في السلم والحرب، ومن عاداتهم الأخرى الإيفاءبالعهود والالتزام بالمواثيق وأن كلفهم ذلكحياتهم أو مالهم وعادوا من ينكثها، كما اعتادوا على كتابة (بسمك اللّهم) في بداية مكاتباتهم ورسائلهم وهي سُنّة قد تكون مستمدّة من شريعة نبي الله أبراهيم(ع) لا سيما وان نبي الله سليمان(ع) قد دوّنها في كُتبه ورسائله بدليل الآيةالكريمة {إِنَّهُ مِن سليمان وَإِنَّه بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ}، ورجّح الكرملي ان العرب كانت تكتب بسم الله الرحمن الرحيم كاملة وليس (بسمك اللّهم) فقط، اِلاّ ان المصادر التاريخية بيّنت ان المكتوب على صحيفة المقاطعة التي عُلّقت على جِدار الكعبة هو (بسمك اللّهم) بعد ان أكلت دودة الأرضة مضمون بنود المقاطعة، ويبدو ان التغيير قد طرأ على صيغة البسملة بفعل تقادم السنين وطول الزمن .وعُرف عند العرب سلوكيات قديمة ذات مغزى حضاري ،أذ أوردت المصادر التاريخية أن العرب كانت تفعل عشرة أشياءهي((المضمّضة ، والاستنشاق، والسواك، والفرق ، وقص الشارب، والختان، وحلق العانة، ونتفا لإبط، وتقليم الأظفار، والاستنجاء)) وهذه من العادات التي من شأنها الحفاظ على نظافة العربي ورعاية صحته وحِسن منظره ، لذلك نرىأن الإسلام قد أقرّها، وحثّ المسلمين على الإتيان بها، لأنها توافق الشرع السماوي، وتصون قيمة الانسان .كما

أعتاد العرب القدماء،الاغتسال من الجنابة لاسيما في أوقات العبادة وامتنعوا من الدخول الى الحَرَم وهم جُنُب حتى يتطهّروا، وكرهوا أكل لحوم الخنازير والقرود والميتة ومن ذلك ما قاله الشاعر الجاهلي أبن أوس الكلبي :لا آكل الميتة ما عمرت نفسي وأن أبرح أملاقيومنهم من حرّم شرب الخمر لاسيما من زعماء القوم وكبارهم كقصي بن كلاب الذي أوصى أبنائه باجتناب الخمر قائلا:((اجتنبوا الخمر فأنها تصلح الأبدان، وتفسد الأذهان))،كذلك فعل عبدالله بن جدعان وعبد المطلب بن هاشم وغيرهم ومن العرب من آمن بيوم الحساب وفيها قال شاعرهم الاخنس بن شهاب التميمي

ولقد شهدت الخصم يوم دفاعه فأخذت منه خطة المقتال

وعلمت ان الله جاز عبـــــده يوم الحساب بأحسن الأعمال

وقطعوا يد السارق واعتقدوا بالمسخ ووقوع غضب الله على كُلِّ من يهتك حرمة بيته الحرام كما في مسخ آساف ونائلة وهلاك أصحاب الفيل ومن شدّة هيبتهم للكعبة المكرّمة، أنهم امتنعوا عن بناء بيوتهم على نمطها وشكلها، وتجنّبوا إطالة بُنيانهم خوفاً من أن تعلوا بيوتهم بيت الله الحرام .وقلّد العرب أسلافهم بتقليب كف أيديهم اذا ما اصابتهم مصيبة في موت أو في مرض أو فقدان أموال، وهذا تعبير عن حالة الحسرة والندم التي لاقِبَلَ للعربي على تداركها بدليل الآية الكريمة {وأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فأصبَحَ يُقَلِّب كَفَّيه عَلَى ما أنفَقَ فِيهَا وهي خَاوِيةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيقُول ياليتَني لَم أُشرك بربّي أحداً {وتفاءلت العرب عند سكب الماء وراء المسافر أو الضيف للذهاب والعودة سالماً آمناً من أهوال الطريق، حالها كحال رمي الصبي لسِنّه نحو قرص الشمس متفائلا بمنحه سِنّا قوياً بديلاً عن السابق، في حين تشاءمت العرب من الثور الأعضب-أي مكسور القرن- ، ومن الأبتر- أي مقطوع الذنب- ، ومن البومة والغُراب، وهذه من المعتقدات الخُرافية القديمة التي أملتها البيئة الصحراوية ورسّخها الكُهّان للانتفاع من التحكّم في عقول الناس عِبرَ تفسيرهم لأمور الغيب وفق ما ترتأي مصالحهم .أمّا من أهم أيام العرب في الجاهلية، فهو يوم الجُمعة الذي عُرف قديماً بيوم العروبة لاجتماع العرب فيه لِحلِّ مشاكلهم وعقد أحلافهم، كذلك هو يوم استراحتهم، وغالباً ما استحبوا الزواج في ليلة أو يوم الجمعة تفاؤلاً وتبارُكاً بِهِ، في حين تبارك اليهود بيوم السبت، والنصارى بيوم الأحد .ولاتقاء الحسد، أعتاد العرب تعليق كعب رجل أنثى الأرنب على صدورهم ، بينما علّقوا على صدور أطفالهم سن الثعلب أو سن الهرّة ، معتقدين من وراء ذلك انها تحميهم من شرِّ السحروعيون الحُسّاد . ثانيا: عادات العرب وتقاليدهم في المناسبات المُفرحة كان للعرب قبل الإسلام عدّة مناسبات مُفرحة، تختلف نسبة البهجة والسرور فيها تبعاً لحالتها، فحفلات الزواج اكثرها سروراً وبهجة،

وكسب المال من عمل أو تجارة فرحاً ويُسراً، والنصر في حرب أو غزوة علًّوا وفخًّرا وهيبة . ومن أهم المناسبات المُفرحة ما يأتي:

١. **الزواج** اعتاد العرب عند شروعهم في الزواج على الارتباط بالنساء الحرائر المعروفات بالحسب والنسب والجمال والمال، وفيها يتقدم الزوج مع ذويه الى ولي أمر البنت (الزوجة) لمفاتحتهم بموضوع الزواج، كما تقدم أبو طالب عم الرسول لطلب يد السيدة خديجة بنت خويلد (رض) للزواج من سيدنا محمد (ص)، وما ان تتم الموافقة ، تُحدّد قيمة المهر ويُبرم العقد الذي قد يكون مكتوبا أو شفويا تبعا لمنزلة المتقدمين على الزواج، ووفقا للعُرف الاجتماعي السائد .فضّل العرب الزواج من الأقارب أو من نفس القبلية، اِلاّ ان هذا لم يمنع ان يُفضّل القسم الآخر منهم الزواج من الغرباء لاسيما أنهم عدّوه أنجب للنسل وأصح للبدن وإذكاء للفطنة .أحيا العرب ليالي الزفاف عندها بالولائم والتصفيق والرقص، فنحروا الذبائح وأوقدوا النيران وطيّبوا العريسين بالروائح العطرة، كما اعتادوا على تجميرهم بالبخور لدفع الشر والحسد عنهم واشترطوا على عفة البنت المقبلة على الزواج ان تكون باكرا عذراء، ولم يكن هذا الشرط ملزما على الجواري والاماء،وأمتنع العربي عن أتيان زوجته اثناء الحيض، ولا يباشرها اِلاّ بعد خلاصها منه وغسلها لضرورة طهارتها اثناء الجماع .ومن التقاليد التي تمسّكت بها المرأة الحُرّة، ستر وجهها بالخمار على ان هذا الخمار لم يكن ملزما عليها، قاصدة من وراء ذلك إخفاء جمال وجهها عن أعين الناظرين والمتجاوزين من الغرباءعليها كما حرصت على اخفاء ملامح جسدها، لا سيما وأن العرب من الأمم المُتشدّدة على نسائها تخاف العار وتصون الشرف، وهذا ما حَمَلَ المتطرفين منهم على وأد بناتهم للخلاص منهُنَّ قبل بلوغهنَّ.

٢. **الولادة :** أحتفل العرب قبل الإسلام بالولادات الحاصلة عندهم وعند أبنائهم وأحفادهم، فنحروا الذبائح وأقاموا الولائم احتفاء بقدوم مولود جديد يزيدهم عددا وقوة، على ان العرب حالهم كحال الأمم الأخرى، فضّلوا البنين على البنات لأسباب اجتماعية واقتصادية، اذ أنتابهم الحزن حال تلقيهم نبأ ولادة زوجاتهم للبنات، بدليل الآية الكريمة {وإذَا بُشِّرَ أحَدُهُم بِالأنثى ظَلّ وَجهُهُ مُسوَدّا وَهُوَ كَظِيمٌ .{أقام العرب مراسيماً خاصة عند الولادة، منها نحر الذبائح التي عُرفت بالعقيقة، في اليوم السابع من الولادة، والقصد من وراء تلك العقيقة، دفع الأذى والشرعن المولود الجديد كما يُصار الى حلق شعر رأس المولود والتصدّق بمقداره ذهبا او فضة كتقليد سار عليه العرب وأقرّه الدين الإسلامي، ومن ذلك ما اشار اليه الرسول محمد (ص) قائلاً ((مع الغلام عقيقة، فاهريقوا عنه دماً، واميطوا عنه الاذى .((وأعتاد العرب على تسمية

أبنائهم بإحدى الأسماء المعروفة عندهم التي تحمل دائما معاني تدل على القوة كـ سيف واسد وليث ومقداد، بينما اطلقوا اسماء جميلة على عبيدهم كأنيس وجميل وورد وقمر، ويأتي هذا التباين لاعتقادهم ان أسماء ابنائهم تمنحهم الهيبة من قبل أعدائهم وأصدقائهم، بينما سمّوا عبيدهم وخدمهم بأسماء جميلة ليستأنسوا هم بها.

٣. **الختان** يُعَد ختان الذكور من العادات العربية القديمة التي ورثوها عن نبي الله ابراهيم(ع) الذي كان يختن أبنائه وأحفاده وأولاد قريته ويوصى بختان من تصل اليه تعاليمه، إذ ذُكِرَ في العهد القديم ما نصّه ((في نفس ذلك اليوم، أخذ أبراهيم أبنه أسماعيل وكلَّ المولودين في بيته وكلِّ من أشتراهم بماله كل ذكر في داره، وختنهم كما أمره الله))، ومن ذلك أخذت العرب هذه العادة وتمسّكت بها ، واختصّت قريش بختان ذكورها في دار الندوة خلال أيام معلومة وعلى يد كاهن له دراية بقطع حشفة الذكر(الغرلة) ويقيمون على اِثر ذلك وليمة خاصة بالختان عرفت عندهم بوليمة الأعذار للاحتفاء والمباركة بقدوم المولود الجديد .أمّا ختان الإناث الذي عُرف بالخفض فهو أمر لم يكن مألوفاً عند العرب القدماء قياساً بالأمم الاخرى، وهي عادة دخيلة على المجتمع العربي قدِمَت من بلاد الحبشة ، وتغلغلت في المجتمعين المصري واليمني نظراً للتقارب الحضاري والجغرافي. وعلى العموم يُعدّ الخفض عادة غير مرغوب فيها في المجتمع العربي قبل الإسلام وبعده، لذلك أنحسر ضمن نطاق ضيّق ومحدود وليس له أثر يُذكر قياسا بختان الذكور .ثالثا: عادات العرب وتقاليدهم في المناسبات المُحزنة تباينت المآسي والأحزان عند العرب قديما، واختلفت بحدّتها ومقدار شدّتها، ما بين المرض أو العوز المادي أو الحرب، اِلاّ اِن أشدّها وطأة هو فقدان الزوجة لزوجها، وفقدان الأب أو الأم لأبنهم .اعتادت المرأة الثيب الفاقدة لزوجها على الصّياح والنّياح عند سماع خبر وفاة زوجها أو مقتله، فتنزع عنها كل مظاهر الحلي والزينة وتترك الطيوب وقد تقصُّ كامل شعرها كدليل على حزنها ونكدها ، وتُطالِب بالثأر والقصاص من قاتليه أن كان مقتولا، أو قد تُداعي بالديّة، وتشرع بارتداء الملابس السوداء الداكنة الدالة على الهم والحزن، وتقعد في بيتها حاسِرة على نفسها تعتريها الكآبة لمدة حول كامل ، هي بمثابة عدّة للمرأة العربية قبل الإسلام .أمّا مراسيم تشييع المتوفي ودفنه، فهي تشبه نسبيا ما كان معمولاً به في الإسلام، أذ تبدأ تلك المراسيم بالإعلان عن خبر المتوفى عِبرَ رجل خيّال يُعرف بالناعي، يذيع الخبر وهو يسير عبر الطرقات وما بين البيوت، ليتمكن من له صلة بالمتوفي الحضور لتقديم العزاء لذويه .قلّد العرب أسلافهم في غسل موتاهم بالماء

وتطييبهم ببعض الطيوب التي عرفت بالحنوط وهي متكونة من طحن أعواد الكافور مع اوراق نبات السدر(النبق)، ومن ذلك ما قاله الشاعر الأفوه الأودي :

وجاءوا بماء بارد يَغسِلُونني فَيَالكَ مِن غُسلٍ سَيتبَعهُ غُبرُ.

كما كفّنوا موتاهم بأقمشة مُخصَّصَّة لهذا الغرض لستر جسد المتوفي، وهمّوا قدر المستطاع في الإسراع بمراسيم الدفن خوفا من تلف الجثة، متمسكين بمبدأ اكرام الميت دفنه، ويصار الى تشييع جثمان الميت عند وصول الحاضرين من أقربائه وافراد قبيلته لإيصاله الى مثواه الأخير في المقبرة الخاصة بالمدينة أو القبيلة التي غالباً ما تكون على أطراف حِماها .وقد أعتاد العرب على حمل جسد المتوفي في نعش، عرف عندهم بالسرير، وهذا النعش كان على شكل أعواد مُتراصّة فيما بينها متمنّطقة بالحبال، مُشكَّلة لوحاً خشبياً مُسطَّحا، يوضع عليه المتوفى مستلقيا على ظهرهِ وقد يُغطّى بقماش أو يترك بلا غطاء فتكون أكفانه وملامح جسده ظاهرة للعيان، وهذا ما دفع سيدتنا فاطمة (ع) بنت رسول الله محمد(ص) للسؤال عن نعش يُغطّي ويستر جسد المتوفى ، فأشارت اليها أسماء بنت عميس، بأن المسيحيين في بلاد الحبشة يحملون موتاهم بنعش على شكل صندوق خشبي مستطيل الشكل، فأوصت بعمل مثله عند وفاتها لستر هيئة جسدها عن أعين الناظرين .ومن أحكام العرب قبل الإسلام، الصلاة على جُثّة المتوفى بالدعاء له مكررين عبارة (عليك رحمة الله) ويذكرون محاسنه ومآثره ويحفرون له قبراً ويشقون له لحداً ليُسجّى الميت بداخله ويهال عليه التراب ثم ينحرون له القرابين ويحرقون البخور طلبا للرحمة والمغفرة .وقد تختّلف طرق دفن الميت نوعاً ما في المجتمعات العربية القديمة، اِلاّ أنّها عموماً لاتخرج عن نطاقها المألوف في غسل الميت وتطييبه وتكفينه وتشييعه ودفنه في التراب والدعاء له بالمغفرة وهذا ما وافق الدين الاسلامي وسمح به على عكس مجتمعات الهند والإغريق القديمة الذين كانوا يحرقون جثث موتاهم ويجعلونها رمادا، وعلى خلاف معتقدات بلاد فارس القديمة الذين كانوا يتركون جثامينهم على قمم الجبال وفي العراء لتأكلها الطيور والحيوانات المتوحشة، لأنهم لم يجوّزوا ملامسة الجثة لتراب الارض

رابعا: أحكام العرب وشعائرهم الدينية كان للعرب القدماء شعائر ومناسك دينية ذات أصل توحيدي أرساها نبي الله إبراهيم الخليل(ع) عند إتمامه لبيت الله الحرام في مكة المكرمة، وعلى الرغم مما أصاب تلك الشعائر والمناسك من تشويه وانحراف بسبب ما دخل عليها من أفكار ومعتقدات وثنية، اِلاّأنها ظلت محتفظة بجوهرها السماوي، ومن أهم تلك الأحكام والشعائرالدينية ما يأتي:

١. تحريم القتال في الأشهر الحُرُم

عُرِفَ عند العرب القدماء أربعة أشهر مُقدّسة حُرِّمَ فيها القتال في عموم شبه الجزيرةالعربية، وقد اقرَّالإسلام هذه الأشهر وثبّتَ أحكامها بصريح الآية الكريمة {إن عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثنَا عَشَرَ شَهراً في كِتَبِ اللهِ يَومَ خَلَقَ السموات والأرضَ مِنهَا أربَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدِّينُ القَيُّم }وهذه الأشهر منها ما هو منّفرد كشهر رجب ومنها متتالية كأشهر ذي القعدة وذي الحجّة ومحرّم، ويعود سبب تحريم القتال فيها هو ليأمن الناس وصولهم الى بيت الله الحرام بسلامة ويُسُر دون التعرض لهم ،لأداء مناسك الحج والعُمّرة وهذا ما شجّع تُجّار قريش ومن حالفهم على إقامة أسواق عامرة خلال تلك الأشهر، فربحوا أموالا طائلة نتيجة وصول أعداد غفيرة من الزائرين لمكة المكرمة . ويروى ان العربي كان يرى قاتل أبيه أو أخيه في طريق الحج أو في مكة ، فلا يتعرض له بسوء ، بل يكفّ بوجهه عنه ويتركه لحال سبيله، لحُرّمة تلك الشهورواذا ما تعمّد العرب بفعل خرقاً في تلك الأصول ونشبت حروب بينهم، اطلقوا على تلك الحروب، بحروب الفجّار لفجورهم فيها، كون القتال فيها مُحرَّما، وهذا ما جعلهم يبتدعون النسيء لتأخير الأشهر الحُرُم لكي ينتهي القتال أو حتى يدركون ثأرهم قبل حلولها.

٢. تحريم الزواج من الأقارب (الأصول)

حرَّم العرب القدماء الزواج من الأقارب (الأصول)،إذ امتنعوا من الاقتران بالأصول وحلّلوا الفروع ، فلم ينكحوا البنات ولا الأمهات ولا الأخوات ولا العمات ولا الخالات وهذا ما أمتاز به العرب القدماء عن غيرهم من الأمم المعاصرة لهم كالإغريق والهنود والفرس الذين كانوا ينكحون المحارم .كما كره العرب النكاح من زوجة الأب بعد وفاته، اذ مارسته بعض الفئات المحدودة من اهل الوبر(البدو) اِلاّ ان عموم العرب عابت هذا الزواج وسمّوا من يخلف أباه في زوجته بالضيزن، وأطلقوا على المولود القادم من هذا الزواج بالمقت اي البغيض والمكروه، وعدوا هذا الزواج من عادات الفرس الدخيلة على المجتمع العربي، وبذلك قال الشاعر اوس بن حجر :والفارسية فيكم غير منكرة فكلكم لأبيه ضيزن سلف ولم يُحبّذ العرب الجمع بين الأُختين كزوجتين لرجل واحد لكونهم عدّوه مُخلاً بالآداب والأخلاق الأنسانية، وعاقبت العرب الزانية والزاني من المحصنين بالرجم بعد ان تثبت فعلتهم .اما حكم طلاق الزوجة عند العرب القدماء، فهو مساير لما جاء به الدين الإسلامي، حيث كانت المرأة تطلق ثلاث طلقات بأزمنة مختلفة حتى تُحرّم على زوجها ولا يحق لزوجها ارجاعها كزوجة له اِلاّ

إذا تزوّجت وتطلّقت من رجل آخر، ويبدو ان تلك الأحكام استمدت من شريعة نبي الله أبراهيم (ع) لاسيما وان أبنه أسماعيل (ع) أول من طلّق زوجته من العرب القدماء.

٣. ادارة الحج والعمرة:

تُعدّ أدارة الحج والعمرة من أهم الأعمال والعادات التي استحدثتها قريش نتيجة لتزايد أعداد الحجاج والمعتمرين القاصدين بيت الله الحرام ، لاسيما وأن تلك الأعداد تحتاج الى الماء والطعام والمأوى خلال مدة الزيارة فضلاً عن حاجتها الى التنظيم والترتيب لأداء مناسكها ، ويبدو أن قريش أفلحت في مسكها لتلك الإدارة بأفضل ما يكون، بحيث لم تُثبت لنا المصادر التاريخية عن أي أخفاق أو مثلبة صدرت عن أدارة قريش ، بل على العكس من ذلك فقد لاقت جموع الزائرين ترحاباً وضيافة تليقان بسمعة قريش ومكانتها بين العرب، كيف لا وهم يعدّون أنفسهم جيران بيت الله وفيهم قال قصي بن كلاب((قد حضر الحج، وقد سمعت العرب ما صنعتم وهم لكم معظّمون، ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام فليخرج كل أنسان منكم من ماله خرجاً)) فجعل من هذا الخرج طعاماً من الخبز واللحم واللبن والماء لضيافة الزائرين ،كذلك فعل من جاء بعد قصي وصارت ضيافة الزائرين وتنظيم مناسكهم من الأحكام والأعراف الخاصة بقريش وعليها تقع مسؤولية تنظيمها وأدارتها .ومن أهم وظائف أدارة الحج والعمرة قبل الإسلام، ما يأتي :الإجازة : هي من الأعمال التي أُنيطت الى أحد زعماء قريش من المعروفين بالأمانة والدراية في شعائر الحج ومواقيتها، ومن مهامه أن يأذن للزائرين في المباشرة بإقامة مناسك الحج والعمرة، ويجيزهم بالأحرام والطواف ويشرف على تعبّدهم حتى ختام زيارتهم .ب.الرفادة: تُقام الرفادة من الأموال التي تخرجها قريش الى صاحب الرفادة ليصنع منها طعاما وشرابا للحجيج والمعتمرين القادمين الى مكة، لاسيما من عسيري الحال، وقد أعتاد العرب إقامة تلك الولائم في منى .ج.الحجابة: يقصد بها حاجب بيت الله الحرام الذي بيده مفاتيح بابها، وهو الذي يأذن للزائرين من علية القوم وأشراف الناس في دخول الكعبة المشرّفة، وتقع عليه مهمة تهيئة البيت للوافدين، وكانت هذه الوظيفة قديماً بيد خزاعة ثم آلت الى قصي بن كلاب ومن بعده الى عبد الدار، وقد أبقاها الرسول محمد (ص) بمعية أحفاد عبد الدار بعد ان حسن اسلامهم .د.عمارة البيت: هي وظيفة مهمتها أدامة بنيان بيت الله الحرام والمحافظة عليه من التصدّع نتيجة لتقادم الزمن ونتيجة للمؤثرات الخارجية كالسيول والأمطار والحرائق التي تؤدي الى الأضرار في ركائز وجدران الكعبة . هـ. السقاية: هي من الوظائف التي تعُنى بإرواء ظمأ الحجاج والمعتمرين القادمين الى بيت الله الحرام، ونظراً لكثرة أعداد الزائرين مقابل شحة مياه الشرب في مكة المكرّمة، فقد

أولت قريش عناية خاصة بهذه المهمة، وخوّلت صاحبها بحفر آبار تستوعب أرواء الأعداد المُتزايدة لاسيما في موسم الحج، وهذا ما فعله قصي بن كلاب عندما أمر بإقامة حياض من ادم وضعت بفناء الكعبة تُملأ بواسطة قِرَب تَحمُلها الدواب كذلك فعلوا مثل هذه الحياض في مِنى مع ولائم الرفادة.

٤. شعائر الحج والعمرة

عَرَفَ العرب القدماء شعائر الحج والعمرة منذ زمن نبيَّ الله أبراهيم (ع) الذي أرسى مناسِكها بعد إتمامه لِبُنّيان بيت الله الحرام مع أبنه أسماعيل (ع) حيث دعا العرب القاطنين في مكة ومايجاوره اللوفود الى الكعبة المكرمة لإقامة شعائر الله ، بدليل الآية الكريمة { وأذّن فِي النَّاس بِالحَجّ يأتُوكَ رجالاً وَعَلَى كُلّ ضَامِرٍ يَأتِينَ مِن كُلّ فَجٍ عَمِيق}. وبذلك قلّد العرب مناسك الحج والعمرة الإبراهيمية لاسيما من قبيلة جرهم، اِلاّ أنّه مع مرور الزمن وتقادم الأيام دبّ الضعف في قبيلة جرهم ،من جهة ،وتسلُّط قبيلة خزاعةاليمنية على مكة ،من جهة أخرى، أن أدّت الى ضُعف الديانة التوحيدية أثر شيوع الديانة الوثنية التي جاءت بها خزاعة من اليمن، فاختلطت المناسك الأصيلة التوحيدية بالمناسك الدخيلة الوثنية ،وقد بيّن ذلك أبن الكلبي بقوله ((وفيهم على ذلك بقايا من عهد أبراهيم وإسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف على عرفة ومزدلفة، واهداء البدن، الاهلال بالحج والعمرة، مع ادخالهم فيه ما ليس منه .((ومن جملة ما أعتاد فيه العرب قبل الإسلامفي أداء شعائرهم أنهم ترقبوا ولادة القمر لتحديد موعد الحج، الذي يبدأ مع بداية شهر ذي الحجة بغية توجّههم الى مكة المكرّمة للحج وللابتياع من أسواقها- كسوق عكاظ وذي المجاز-مبتدئين حجّهم في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة،من مِنى التي تقام فيها موائد الرفادة والسقاية،والذي يُعرف بيوم التروية-لارتواءالحجاج فيه الماء-، وبعد ذلك ينتقلون للوقوف الى عرفة، ثم الى مِشعر مزدلفة في اليوم التاسع، ومع حلول اليوم العاشر ينحرون الهدي، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويشرقون اللحوم في اليوم الحادي عشر، ويلْقون الجمرات، ويحلقون شعر رؤوسهم، ويطوفون حول البيت الحرام سبع مرات ، ومن ذلك ماقاله قال الشاعر حسّان بن تبّع :

ثم طفنا بالبيت سبعاً وسبعاً وسجدنا عند المقام سجدوا.

ومن العادات الدينية الأخرى للعرب قبل الإسلام ، أنّهم تباركوا بالحجر الأسود وقبّلوه وعظّموا مقام نبي الله ابراهيم (ع) ، وهم فضلاً عن ذلك هابوا الكعبة المشرّفة واعتادوا على القسم بها عند المِحَن والشدائد، ومن ذلك ما قاله الشاعر الجاهلي:

فأقسِمُ بِالذي حَجّت قريشُ ومَوقفٍ ذِي الحجيج عَلى اللآلئ

وتسابقوا في تقديم أزكى النفائس كقرابين ونذور لبيت الله الحرام، وتفاخروا بأكسائهِ بأغلى الأقمشة المطرّزة بخيوط الذهب والفضة والديباج الملوّن،كما حرّمت قريش المؤونة المخصّصّة لأعمار الكعبة من أموال أهل البغي والربا وقطّاع الطرقلأن ذلك يتنافى مع قُدّسية وأجلال الكعبة عندهم ، ومن تقاليدهم الأخرى أنّهم تباركوا بالشرب من ماء زمزم وسعوا للتزود به عند السفر والمرض، كما اعتاد الحجاج القدماء على الاغتسال قبل شروعهم بالأحرام، وان الحوائض من النساء لم يدنين من الكعبة ولم يطوفن.وكما طاف عرب قبل الإسلام حول الكعبة فأنهم اعتادوا كذلك على انشاد نداء التلبية في الحج الذي كان على نمط نداء الحج عند المسلمين من ناحية الفكرة ونظم الكلام وسجعه، باستثناء عقيدة الشرك التي حُشِرت في نداء التلبية

الخاتمة

لقد تطرّقنا فيما سبق الى جانب مهم وأصيل من حياة العرب قبل الإسلام ، من خلال تسليط الضوء على جملة من العادات والتقاليد الاجتماعية والعقائدية ، التي أظهرت عدّة مزايا وصفات أتسم بها المجتمع العربي في عصر الجاهلية ، كشفت عن المستوى الحضاري من حياتهم الذي لم يكن أقلّ شأنا من المستوى الحضاري للأمم المعاصرة لهم كالفرس والروم والأحباش، بل يبدو جلياً ان العرب قبل الإسلام كان لهم من الصفات والمزايا الإنسانية والأخلاقية، ما فاقوا به عن تلك الأمم ، ومن ذلك نرى اقرار الدين الإسلامي لجملة من العادات والأعراف العربية القديمة التي حافظت على سمو الأنسان ، ولايخفى على القارئ أن جزءاً من تلك العادات والأصول تعود لعصر نبي الله أسماعيل بن أبراهيم الخليل (ع)، كالامتناع من زواج الأقارب (المحارم)، وأحكام الزواج والطلاق،وإجارة المستجير ونصرة المظلوم والالتزام بآداب التحية وتناول الطعام ، فضلا عن إقامة شعائر الحج والعمرة، والطواف حول الكعبة،وأستلام الحجرالأسود،والطهارة ،والسواك،ومراسيم غسل الميت ودفنه وغيرها من الأحكام والتقاليد القديمة . كما وأتضح من البحث ان اغلب العادات والتقاليد المخالفة للأصول والآداب العربية ، انما جاءت من خارج شبه الجزيرة العربية ، كزواج الضيزن وختان الإناث وعبادة الأصنام والأوثان ، لأن مكة المكرمة أنما قامت على أُسُس توحيدية أرساها نبي الله أبراهيم الخليل(ع)وذريته من بعده، ولم يكن فيها اي مظهر من مظاهر الوثنية اِلاّ بعد تقادم السنين وتسلّط قبيلة خزاعة عليهم التي نقلت ما ألفته في بلاد اليمن اليهم .

الهوامش

١. الالوسي، محمود شكري، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، شرحه يوسف ابراهيم سلوم، ط١،(المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩)،ج١، ص٣٤٧.
٢. النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٢هـ) نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: حسن نور الدين(دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) ج٣، ص٣٠٩-٣١٠.
٣.المكي، تقي الدين محمد بن احمد الحسني(ت٨٣٢هـ) العقد الثمين في تاريخ البلد الامين، تحقيق: محمد حامد الفقي،ط٢، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦)، ج١، ص٦٦.
٤ الالوسي، م.س، ج١، ص٣٥١.
٥. الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ) البيان والتبيين(دار الفكر للجميع، القاهرة، ١٩٦٨)، ج١، ص١٩٥.
٦ الميداني، ابو الفضل احمد بن محمد(ت٥١٨هـ) مجمع الامثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد(مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة، ١٩٥٥)، ج٢، ص٣٣٧، علي ، جواد، المُفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٢، (مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٣) ج٥، ص٤٩٩.
٧ هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني، لغوي معروف، وراوٍ للحديث، وحافظا للقرآن الكريم، ابتكر طريقة التنقيط للمحافظة على النصوص القرآنية من اللحن والتحريف، شهد معركة الجمل وصفين مع جيش علي بن ابي طالب(ع) ثم مات بالبصرة في مرض الطاعون. ينظر: الموسوعة العربية المسيرة، حسين محمد نصار واخرون،ط٢(المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠) مج١، ص٥٣.
٨ ابن قتيبة، ابي محمد عبدالله بن مسلم(ت٢٧٦هـ)، عيون الاخبار(دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت) ج٣، ص٣٠٠.
٩ المصدر نفسه ،ج٣ ،ص ٣٠٢ ؛ السباعي، احمد ، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران (الامانة العامة، الرياض، ١٩٩٩) ص٥٤ .
١٠ الالوسي، م.س ، ج٣، ص١٨.
١١ الميداني، م.س ، ج١، ص٩٩.
١٢ ابن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى بن محمد الاندلسي(ت٥٦٨٥) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن(مكتبة الاقصى، عمان، ١٩٨١) ج٢، ص٨٠٠ ؛ الالولسي، م.س ، ج٣، ص١٨.
١٣ ابن حبيب، ابي جعفر محمد الهاشمي البغدادي(ت٢٤٥هـ) المحبّر، تحقيق، ايلزه ليختن شتيتر(دار الافاق الجديدة، بيروت، د.ت) ص٣٢٩ .
١٤ اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر البغدادي(ت ٢٩٢هـ) تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المصنور،ط١، (مطبعة مهر، طهران، ١٤٢٥هـ) ج٢، ص٢١.
١٥سورة النمل، اية ٣٠.
١٦الاب انستاس ماري، اديان العرب وخرافاتهم، تحقيق: وليد محمود خالص،ط١(المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥) ص٣٩.

١٧. ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم،(ت ٢٧٦هـ) فضل العرب والتنبيه على علومهم، تحقيق: وليد محمود خالص،ط١(منشورات المجمع الثقافي، ابو ظبي، ١٩٩٨) ص٨٨؛ اليعقوبي، م.س ، ج٢، ص٢١.

١٨. بن حبيب ، م.س ، ص٣٢٩، القلقشندي، ابي العباس احمد (ت ٨٢١ هـ) نهاية الارب في معرفة انساب العرب، تحقيق: ابراهيم الأبياري،ط٢(دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠) ج٢، ص٤٥٢ ؛ الدهلوي،أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم(ت ١١٧٦هـ)حجة الله البالغة، تحقيق: سيد سابق، ط١(دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٥م) ج١، ص٣٠٨.

١٩. ابن الكلبي ، ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب(ت ٢٠٤هـ) كتاب الاصنام، تحقيق: احمد زكي (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٢٤م) ص٣٢ ؛ القلقشندي، م. س،ج٢، ص٤٥٢ ؛ الجارم، محمد نعمان، اديان العرب في الجاهلية، ط١(مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٢٣م) ص٧٠.

٢٠. أبن حبيب ، م.س، ص٣٢٩ ؛ العلي، صالح احمد، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ط١(شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م) ص١٦٦.

٢١. هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي، سيد قريش في عصره ورئيسهم، وهو الجد الرابع للرسول الاعظم محمد(ص) له الفضل في توحيد قريش بمسكه لإدارة مكة وتنظيمه شؤون الحج والعمرة وتشجيعه الناس على البنيان حول الكعبة كما واسس دار الندوة وغيرها من الاعمال التي ارست قواعد الحكم والنظام في مكة . للمزيد ينظر: الزركلي، خير الدين، الاعلام قاموس تراجم، ط٥(دار العلم الملايين، بيروت، ٢٠٠٢)، ج٥، ص١٩٨.

٢٢ الشهرستاني، ابي الفتح محمد بن عبد الكريم(ت ٥٤٨هـ) الملل والنحل، تحقيق: احمد حجازي السقا ومحمد رضوان مهنا، ط١(مكتبة الايمان، القاهرة، ٢٠٠٦) ج٢، ص٤٤٣ ؛ الجارم، م.س ، ص١١٨.

٢٣ هو عبدالله بن جدعان التيمي القرشي، احد زعماء العرب المشهورين بالجود والكرم، جمع ما بين الزعامة والتجارة واللهو مع القيان، ادرك النبي محمد(ص) في حياته، اِلاّ انه توفي قبل البعثة النبوية . للمزيد ينظر: الزركلي، م.س، ج٤، ص٧٦.

٢٤ هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، يكنى ابو الحارث، الجد الاول للرسول محمد (ص) زعيم قريش في الجاهلية وأحد ساداتها، كان عاقلا حكيما فصيح اللسان قوي الحجة جمعت له السقاية والرفادة، عرف بشيبة لوجود خصلة من الشيب في مقدمة شعر رأسه منذ صغره .ينظر: الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ) تاريخ الامم والملوك، ط١(الاميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م) ج١، ص٤٢٣-٤٢٦ .

٢٥ابن حبيب، م.س ، ص٢٣٧ .

٢٦الشهرستاني، م.س ، ج٢ ، ص٤٤٢ .

٢٧ابن حبيب، م.س ، ص٣٢٧-٣٢٨ ؛ القلقشندي، م.س ، ج٢، ص٤٥٢ .

٢٨. وهذا ما حدث لآساف ونائلة اللذين اتيا مكة حاجين ففجرا بداخل البيت الحرام، فمسخهما الله عز وجل صنمين ووضعا بجوار الكعبة ليكونا عبرة لمن اراد هتك حرمة بيت الله الحرام ينظر: ابن الكلبي، ص٩ ؛ الشهرستاني، م.س، ج٢، ص ٤٣٢.

٢٩. الطبري ، م.س ، ج١ ، ص٣٦٧-٣٦٩.
٣٠. السباعي، م.س، ج١، ص٣٧-٣٩.
٣١. سورة الكهف، اية ٤٢.
٣٢. ابن سعيد، م.س، ص٧٨٧ ؛ القلقشندي، م.س، ج٣، ص ١١٧.
٣٣. ابن قتيبة، فضل العرب، ج٢، ص١٤١-١٤٢ ؛ سالم، سيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية(مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.ت) ص٢٨.
٣٤. ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج٣، ص٧٢ ؛ المسعودي،أبي الحسن علي بن الحسين(ت ٥٣٤٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١(دار الانوار، بيروت،٢٠٠٩) ج٢، ص١٦٣.
٣٥. الدهلوي ، م.س ،ج٢، ص٤٤.
٣٦. الآبي ، أبي سعد منصور بن الحسين (ت ٥٤٢١) من نثر الدر، تحقيق: مظهر الحجي، (مطبعة وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٧م) السفر الرابع ، ص١٩٩ و ٢٠٥.
٣٧. علي ، م.س ، ج٥، ص٥٣٠-٥٣١.
٣٨. اليعقوبي، م.س ، ج٢، ص١٤، الطبري، م.س ،ج١، ص٤٤١.
٣٩ فروخ، م.س ، ص ١٥٥ ؛ العلي ، م.س ، ص ١٧٨ .
٤٠. الحوفي، احمد محمد، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط٢(مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ١٩٥٢) ص١٦٠ ؛ فروخ، عمر ، تاريخ الجاهلية (دار العلم للملايين، بيروت،١٩٦٤م) ص١٤٩-١٥٠ .
٤١الفاسي، محمد عبد الحي الادريسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية، تحقيق: عبدالله الخالدي، ط٢(دار الارقم ، بيروت، د.ت) ج١، ص١٣٢ ؛ الترمانيني، عبد السلام ،الزواج عند العرب في الجاهلية والأسلام (المجلس الوطني، الكويت،١٩٨٤) ، ص٦٣-٦٥.
٤٢الميداني، م.س ، ج١، ص٩٦و١٠١ ؛ السباعي، م.س ،ج١، ص٤٩ .
٤٣القلقشندي، م.س ،ج٣، ص٤٥٢ ؛ الجارم، م.س ، ص١١٨ ؛ العلي، م.س ، ص١٦٦.
٤٤ابن قتيبة، فضل العرب، ج١، ص٤٤ ؛ السباعي، م.س ،ج١، ص٥٤ ؛ الزيات، حبيب، المراة في الجاهلية، (مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م) ص١٧-١٨ .
٤٥ القلقشندي، م.س ، ج٣، ص١٢١ ؛ الحوفي، م.س ، ص١٦٤ .
٤٦ محمود، محمود عرفة ،العرب قبل الأسلام ، ط١،(عين للدراسات والبحوث ،القاهرة،١٩٩٥) ص٢٧٨ .
٤٧سورة النحل ، اية ٥٨ .
٤٨الدهلوي، م.س، ج٢، ص٢٢٣-٢٢٤ ؛ العلي، م.س ، ص٢٦٨ .
٤٩البخاري، ابي عبدالله محمد ابن اسماعيل(ت ٢٥٦ هـ) صحيح البخاري ، ط١ (دار بن كثير ، دمشق، ٢٠٠٢م)، كتاب العقيقة، ص١٣٩٢ .
٥٠الحوفي، م.س ، ص١٦٣.
٥١ أبن حبيب ، م.س ، ص ١٣١ .
٥٢التوراة ، سفر التكوين، اصحاح ١٧: ٢٣-٢٤ .

٥٣؛ ابن حبيب، م.س، ص١٣١و٣٢٩ ؛ اليعقوبي، م.س ، ج١، ص٢٠٦ ؛ السباعي، م.س ، ص٤٩ .

٥٤هي قطعة الجلد التي تغطي حشفة الذكر. ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم(ت٧٧١هـ) لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي(دار المعارف ، مصر، د.ت) مج١، ص١١٠٢.

٥٥الدهلوي، م.س ،ج١، ص٣٠٩ ؛ الالوسي، م.س ، ج١، ص٢٥٣ .

٥٦الختن للرجال والخفض للنساء . ينظر: أبن منظور ، م.س ، مج ١ ، ص ١١٠٢ .

٥٧مورست هذه العادة في مجتمعات لدول اغلبها اجنبية من افريقيا واسيا واوربا وبصورة سرية. للمزيد من المعلومات ينظر: ابو سحلية، سامي عوض الذيب، ختان الذكور والاناث عند اليهود والمسيحيين والمسلمين دراسة وثائقية (دار رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٠م) ص٣٣ .

٥٨الميداني، م.س، ج١، ص١٠٧ ؛ السباعي، م.س ، ص٤٩ .

٥٩الحوفي، م.س ، ص٢١٦-٢١٧ ؛ الزيات، م.س ، ص١٦-١٨.

٦٠علي، م.س ،ج٥، ص١٥٦ ؛ فروخ ، م.س ، ص١٥٨.

٦١ القلقشندي، م.س، ج٢، ص٤٥٣ ؛ العلي، م.س ، ص١٨٣.

٦٢ابن قتيبة، فضل العرب، ج١، ص٨٩ ؛ الجارم ، م.س ، ص٨٥-٨٦ ؛ علي، م.س ، ج٥، ص١٥٢

٦٣الشهرستاني، م.س ، ج٢، ص٤٤٩ .

٦٤ابن حبيب، م.س، ص ٣١٩ و٣٢٠ ؛ البخاري، م.س، كتاب الجنائز، ص٣٠٣-٣٠٦ ؛ الالوسي، م.س، ج٢، ص٢٣٠-٢٣١.

٦٥ يسمى النعش بالسرير الخاص بحمل الميت، وقد خصصت العرب قديما النعش للمرأة والسرير للرجل . ينظر: الفراهيدي، الخليل بن احمد(ت ١٧٠ هـ) كتاب العين، تحقيق: عبد الحمدي هنداوي، ط١(دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٣) ج٤، ص٢٤١.

٦٦ابن حبيب ، م.س ، ص٣٢٠ ؛ المكي، م.س ، ص١٠٥-١٠٦؛ محمود، م.س ،ص٣١٩-٣٢٠.

٦٧ صحابية جليلة القدر من بني تميم، اسلمت مبكرة وهاجرت مع زوجها جعفر بن ابي طالب الى بلاد الحبشة، اطلعت هناك على مراسيم تشييع الجنائز ونعوش المسيحيين ثم عادت وهاجرت الى يثرب(المدينة المنورة) وبعد استشهاد زوجها في معركة مؤته عام ٨ هـ تزوجها ابو بكر الصديق(رض) فانجبت منه محمد، ولما توفي ابو بكر الصديق(رض) تزوجها علي بن ابي طالب(ع) فأنجبت منه يحيى وعون، وصفت بأنها مهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين . ينظر ابن دريد، ابي بكر محمد بن الحسن(ت ٣٢١هـ) الاشتقاق ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١(دار الجيل، بيروت، ١٩٩١) ص٥٢٢ .

٦٨ابن رستة، ابي علي احمد بن عمر، (توفي نهاية القرن الثالث الهجري) كتاب الأعلاق النفيسة،(مطبعة بريل، لندن، ١٨٩٣)، ص١٩٣

٦٩ اليعقوبي، م.س ، ج٢، ص٧٨ ؛ علي، م.س ، ج٥، ص١٥٧ .

٧٠ ابن حبيب، م.س ، ص٣٢٠ ؛ الشهرستاني، م.س ، ج٢، ص٤٩٩ .

٧١. الدهلوي، م.س ، ج٢، ص٥٨ ؛ علي ، م.س ، ج٥، ص١٥٩ .

٧٢ المسعودي، م.س ، ج٢، ص١٤٠؛ التاجر، سليمان(توفي اواسط القرن الثالث الهجري)عجائب الدنيا وقياس البلدان، تحقيق : سيف شاهين المريخي(مركز زايد للتراث والتاريخ، دبي، د.ت) ص٥٥ .

٧٣ ابن الكلبي، م.س، ص٦ ؛ القلقشندي، م.س ، ج٢، ص٤٥٢ .

٧٤ سورة التوبة ، آية ٣٦ .

٧٥المسعودي، م.س ،ج٢، ص١٦٢؛ الشهرستاني، م.س ، ج٢، ص٤٤٧.

٧٦ اليعقوبي، م.س ، ج٢، ص١١، البيروني، أبي الريحان محمد بن أحمد(ت ٤٤٠ ه) الآثار الباقية عن القرون الخالية (دار صادر ، بيروت ،١٩٢٨م) ،ص٣٢٨ ؛ المكي، م.س، ج١، ص١٤٠ و١٥٠ .

٧٧ ابن حبيب، م.س ، ص٣٢٥ ؛ الشهرستاني، م.س، ج٢، ص٤٤٥ ؛ القلقشندي، م.س، ج٢، ص٤٥٢ ؛ السباعي، م.س ، ص٤٩ .

٧٨ ابن قتيبة، فضل العرب،ج١ ،ص٨٨ ؛ابن رسته، م.س ، ص١٣٢ .

٧٩القلقشندي ، م.س ،ج٢،ص٤٥٢ ؛ الآلوسي ، م.س،ج٢، ص٤٥ .

٨٠. ابن حبيب، م.س ، ص٣٢٥ ؛ الشهرستاني، م.س، ج٢، ص٤٤٥ .

٨١. ابن قتيبة، فضل العرب، ص٨٧ ؛ الجارم ، م.س،ص١٢٥ ؛ سليم، أحمد أمين، جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة(دار المعرفة الجامعية ،القاهرة ،١٩٩٧ م) ص٢٥٥ .

٨٢الجارم ، م.س، ص١١٨ .

٨٣ابن قتيبة، فضل العرب،ج١ ،ص٨٩ ؛ المكي، م.س، ص١٣٣ ؛ الدهلوي، م.س ،ج٢،ص٢١٤-٢١٥ .

٨٤ ابن حبيب، م.س ، ص٣١٠ ،الطبري ، م.س ،ج١، ص١٢١ ؛ الشهرستاني ، م.س، ج٢، ص ٤٤٦ .

٨٥ الأزرقي ،أبي الوليد محمد بن عبد الله(ت٢٥٠ ه) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله ،ط١ (مكتبة الأسدي ،لا.ب ، ٢٠٠٣ م) ج١ ،ص٢٨٨ ؛ اليعقوبي، م.س،ج١،ص٢٠٤ .

٨٦ الطبري ، م.س،ج١، ص٤٢٩ ؛ المكي ، م.س، ج١، ص١٤٦ .

٨٧ الأزرقي ، م.س، ج١، ص٢٧٧-٢٧٩ .

٨٨اليعقوبي ، م.س، ج١، ص٢٠٧ .

٨٩الفاكهي ،أبي عبد الله محمد بن اسحاق(من علماء القرن الثالث الهجري) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق:عبد الملك بن عبد الله ، ط٢(دار خضر للطباعة والنشر، بيروت،١٩٩٤م) ج١، ص٣٥٢ .

٩٠ اليعقوبي ، م.س ،ج١،ص٢٠٦ ؛ السباعي ، م.س ،ج١،ص٣٦ .

٩١ الأزرقي ، م.س، ج١، ص٦٤٤ ؛ المكي، م.س، ص١٤٨ .

٩٢ اليعقوبي ، م.س ،ج١،ص٢٠٦ ؛ البخاري ، م.س ، ص١٣٣٩ .

٩٣ابن رسته ، م.س ،ص٤-٧ ؛ البيروني ، م.س، ص٥-١٣ .

٩٤ سورة الحج ، آية ٢٧ .

٩٥ قبيلة عربية قديمة من طبقة العرب الباقية ، أصولها من بلاد اليمن، من نسل يعرب بن قحطان،هاجرت جرهم من اليمن لأسباب أقتصادية وسياسية لتستقر في بلاد الحجاز، ولم يلبث أن تزوج نبي الله أسماعيل (ع) بأمرأة منهم حتى أنتشر نسلهم وعاشوا سوية في مكة المكرمة.ينظر:اليعقوبي، م.س، ج١،ص١٩١؛ البكري،أبي عبيد عبد الله بن محمد(ت٤٨٧ه) المسالك والممالك، ط١(دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٣) ج١، ص٥٩-٦١ .

٩٦ من قبائل الأزد العربية القديمة ،تعود بنسبها الى جد اليمنيين يعرب بن قحطان، تركوا ارض اليمن بسبب سيل العرم ونزلوا بضواحي مكة ، لم يلبثوا طويلا حتى سيطروا على مكة وأخذوا رئاستها من جرهم بالحيلة والقوة ، من أبرز زعمائهم عمرو بن لحي الذي مسك حجابة البيت الحرام وغيّر دين الحنيفية . ينظر:الأصفهاني،حمزة بن الحسن(ت ٢٧٠ ه) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام (دار الحياة ، بيروت ، د. ت) ص١١٣؛ المسعودي ، م.س ، ج٢ ، ص ٤٥ .

٩٧الأصنام ، ص٦ .

٩٨هما وسوق المجّنة من الأسواق المشهورة عند العرب قبل الأسلام ،اذ أعتاد الحجاج حضورها والأبتياع منها قبل شروعهم بأداء مراسيم الحج . ينظر:الأزرقي، م.س ،ج١، ص٢٨٠ ؛ العلي ، م.س، ص٢٥١ .

٩٩ابن رسته ، م.س ،ص١٩١و١٩٨ ؛ المسعودي ،م.س،ج٢،ص١٦٢ ؛ الشهرستاني ،م.س،ج٢،ص٤٤٧ .

١٠٠ ابن حبيب ، م.س ، ص٣١١و٣١٩ ؛ القلقشندي ، م.س ، ج٢،ص٤٥٢ .

١٠١الأزرقي ، م.س، ج١ ،٤٥٦ ؛ الفاكهي ،م.س ،ج١،ص٨١ ؛ المكي ،م.س ،ص١٣٦؛ الدهلوي ، م.س،ج١، ص١٠١.

١٠٢الشهرستاني ، م.س،ج٢، ص٤٤٧ .

١٠٣الأزرقي ،م.س ،ج١، ص٣٥١ ؛ المسعودي ،م.س، ج٢،ص٢١٩ ؛ المكي ،م.س،ج١،ص٥٧ .

١٠٤ اليعقوبي ، م.س،ج١،ص٢١٠ ؛ الطبري ، م.س، ج١، ص٤٢٥-٤٢٦ .

١٠٥ الجارم ، م.س ، ص٣٣و٧١ ؛ السباعي ، م.س، ج١، ص٥٠ .

١٠٦اليعقوبي ، م.س ،ج١ ،ص٢١٨ ؛ الشهرستاني ، م.س، ج٢، ص٤٣٦-٤٣٧ .

١٠٧ يروى ان عمرو بن لحي هو الذي غيّر نداء التلبية في الحج وادخل فيه ما ليس منه من عقيدة الشرك، وسار من جاء بعده من الحجيج على وفق ما احدثه عمرو بن لحي، فثبت عندهم التحريف مع مرور الزمن وتقادم الأيام ، فضلا عن إدخاله الاصنام والاوثان الى مكة التي عبدت زلفى الى الله عز وجل .ينظر:أبن الكلبي، م.س ، ص٨ ؛ الأزرقي، م.س ،ج١، ص٢٨٧ ؛ الأصفهاني ، م.س،ص١١٣.

دور مراكز البحث العلمي في صنع السياسة العامة في الولايات المتحدة الأمريكية

The Role of Scientific Research Centers in Policy Making in the United States of America

م.م.رغد علي حسن
كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة
Asst. Instructor. Raghad Ali Hassan
Imam Al - Kadhim College of Islamic Sciences

المقدمة :-

مراكز الأبحاث عبارة عن منظمات تقوم بنشاطات علمية بهدف تثقيف المجتمع وتطويره وتقديم المشورة لصناع القرار والسياسات العامة ، وتتمتع هذه المراكز بأهمية كبيرة في معظم الدول المتقدمة نظراً للمشورات التي تقدمها لأصحاب القرار ومؤسسات صنع السياسات العامة ، وتحظى بأهمية خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية إذ يتم الاعتماد على نصائح ومشورات خبراء هذه المراكز بصورة واضحة من قبل رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية أثناء ترشيحهم للرئاسة وبعد وصولهم الى البيت الأبيض ، ولمراكز الأبحاث التأثير الواضح على آراء المواطنين وعلى طريقة تفكير المشرعين والسياسيين بصورة عامة إذ يتم الأخذ بمعظم استشاراتها المطلوبة في مختلف الأمور الداخلية والخارجية .

ونظراً لأهمية النشاطات العلمية التي تقوم بها مراكز الأبحاث أصبحت هذه المراكز جزءاً من النظام السياسي الأمريكي ولها التأثير الواضح في عملية صنع السياسات العامة الأمريكية ونجد البعض منها تركز على السياسات الخارجية والقضايا العالمية

والبعض الآخر من مراكز الأبحاث تهتم بالأمور الداخلية وتوجد مراكز تهتم بأكثر من اطار ، ومؤسسة راند واحدة من مراكز الأبحاث الأمريكية التي تهتم بالسياسات الخارجية والدفاعية وغيرها من القضايا ذات الصلة بالسياسة الخارجية وصنع القرار السياسي الخارجي .

Abstract

Scientific research is one of the most important activities of the human mind. The development of nations is measured by their interest in scientific research and researchers. This concern can be measured through the care given by the United Nations to its researchers, research institutions and scientific research tools such as universities and research centers, both governmental and private. From an important role in decision-making and policy-making of States.

The United States is one of the most prominent countries that pay attention to research centers and rely on the advice of its researchers in the process of public policy. "Among the many influential actors in the formulation of US foreign policy, "The Rand Foundation is one of the most important centers of US foreign policy. In our research, we will highlight this role in some detail.

فرضية البحث :-

ينطلق البحث من فرضية مفادها ان مراكز الابحاث أصبحت عنصراً اساسياً من عناصر السياسة الامريكية وعاملاً مؤثراً في عملية صنع السياسات العامة الامريكية .

منهجية البحث :-

نعتمد في هذا البحث كل من المنهج التاريخي لدراسة نشأة وتطور مراكز الابحاث ، والمنهج التحليلي لدراسة دور مراكز الابحاث في صنع السياسات العامة الامريكية

هيكلية البحث :-

تم تقسيم هذا البحث الى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ، تخصص المبحث الاول بالاطار النظري لمراكز الابحاث والسياسات العامة لتوضيح ماهية كل منهما ، والمبحث الثاني تناول دور مراكز الابحاث في صنع السياسات العامة أما المبحث الثالث فأختص بمؤسسة راند ودورها في صنع السياسات العامة الامريكية .

المبحث الأول :- الإطار النظري

يختص هذا المبحث بتقديم توضيح لماهية مصطلحي مراكز الأبحاث والسياسات العامة من حيث التطور التاريخي والمفهوم والأنواع لكل منهما وكما يأتي:-

المطلب الأول :- ماهية مراكز الأبحاث والتفكير

أولاً :- التطور التاريخي لمراكز الأبحاث والتفكير

يختلف الباحثون في تحديد البداية التاريخية لتأسيس مراكز الأبحاث والدراسات ، فهناك من يحدد نشأتها الأولى في عام ١٨٣١ مع تأسيس المعهد الملكي للدراسات الدفاعية في بريطانيا ، وهناك من يربط نشأتها بعام ١٨٨٤ مع تأسيس الجمعية الفابية البريطانية التي تعنى بدراسة التغيرات الاجتماعية، وبغض النظر عن البداية التاريخية لنشوء هذه المراكز ، فأنه مع مطلع القرن العشرين تصاعدت حركة تأسيسها، ففي الولايات المتحدة تم تأسيس معهد كارنيجي للسلام الدولي عام ١٩١٠ ، ثم معهد

بروكينغز عام ١٩١٦ ، ومعهد هوفر عام ١٩١٨ ، والمكتب الوطني لأبحاث الاقتصاد عام ١٩٢٠ ،ومعهد غالوب عام ١٩٢٠ ، ومؤسسة راند عام ١٩٤٥ بأشراف القوات الجوية الأمريكية(١).

وتم في بريطانيا تأسيس المعهد الملكي للشؤون الدولية عام ١٩٢٠ ، وفي فرنسا تم تأسيس المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية ، وفي ألمانيا تم تأسيس الأكاديمية الألمانية للسلام عام ١٩٣١، وقد استمرت حركة تأسيس هذه المراكز بالتصاعد حتى وصلت ذروتها في عام ١٩٩٦ بمعدل (١٥٠) مركز تم تأسيسها سنويا ، وفي عام ٢٠١١ بينت إحصائية أمريكية لمراكز الأبحاث والدراسات أن عددها وصل إلى (٦٤٨٠) مركزا منها فقط (٥%) في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا(٢).

تأتي في المرتبة الأولى من حيث الأهمية والتأثير في عملية صنع القرار السياسي مراكز الأبحاث الأمريكية (فالمراكز الثلاث الأولى عالميا تعود للولايات المتحدة وهي حسب الترتيب : معهد بروكينغز ، ومؤسسة كارنيجي للسلام الدولي ، ومجلس العلاقات الخارجية) ، تليها بريطانيا والصين ، ثم ألمانيا وسويسرا والدنمارك وروسيا ودول أوربا الشرقية و تركيا واستراليا ، أما دور مراكز الأبحاث والدراسات في الشرق الأوسط فمحدود ، إن هذا التنامي الكمي والنوعي لمراكز الأبحاث ، يدل على أنها مؤسسات أصيلة ومهمة في بناء الحضارة الإنسانية في الحاضر والمستقبل(٣) .

ثانياً :-مفهوم مراكز الأبحاث والتفكير

يتطلب بحثنا تحديد المقصود بمراكز التفكير والدراسات وعموماً فأن مراكز الفكر والدراسات Think Tanks كما يشير الباحث Wiarda هي مراكز البحث العلمي والتعليم ولكن ليست جامعات أو كليات ، وهي ليست لديها طلبة ولكن يمكن ان يكون لديها طلبة متدربون ، وتنظم العديد من ورشات العمل والتدريب والمنتديات وهي لا تحاول ان تقدم معرفة بسيطة أو سطحيةSmattering of expertiseفي كل المجالات ولكن تركز بشكل معمق في قضايا أساسية في السياسات العامة ، اذ أن هدفها الرئيس هو البحث والدراسات وليس الضغط والنفوذ بالرغم ان بعض مراكز الأبحاث تمارس ذلك احياناً ، وبالنتيجة فأن مراكز الفكر هي منظمات بحثية هدفها الأساسي ان تكون مشاركة بفعالية ومؤثرة في قضايا ونقاشات القضايا العامة أو السياسات العامة(٤).

لايوجد حتى الآن تعريف عام وشامل لمراكز التفكير وتكمن صعوبة إيجاد تعريف كهذا الى ان معظم هذه المؤسسات والمراكز لا تعرب عن نفسها ك Think Tanks في وثائق تعريف الهوية الذاتية ، وانما تعلن عن نفسها كمنظمات غير حكومية أو منظمات ربحية وهذا يعد أحد التعريفات التنظيمية المعترف بها في القانون الامريكي ، ولكن على الرغم من هذه الإشكالية بخصوص هوية هذه المراكز توجد عدة تعريفات لها ، فتعرفها الموسوعة المجانية المعروفة بـ (wikipedia- free encyclopedia) بأنها : (اية منظومة أو موسوعة تدعي بأنها مركز للأبحاث والدراسات أو كمركز للتحليلات حول المسائل العامة والمهمة) (٥).

ويعرف مشروع مراكز الفكر والدراسات العالمي ، مراكز الأبحاث والدراسات بانها : (مؤسسات تقوم بالدراسات والبحوث الموجهة لصانعي القرار ، والتي قد تتضمن توجيهات أو توصيات معينة حول القضايا المحلية والدولية ، بهدف تمكين صانعي القرار والمواطنين لصياغة سياسات حول قضايا السياسة العامة)(٦).

بالرغم من كون التعريفات السابقة تحاول أن تقدم مفهوماً واسعاً وشاملاً ، الا أنها تعرف أو تحدد ماهية مراكز الأبحاث بشكل أساسي من خلال المقارنة أو بيان الاختلاف مع ما قد يكون متشابهاً أكثر من التركيز على طبيعة أو ماهية المراكز(٧).

نستخدم في هذا البحث مصطلح مراكز الدراسات او مراكز الأبحاث للتعبير عن مصطلح مراكز الفكر كمترادفين .

ثالثاً :- أنواع مراكز الأبحاث والتفكير

تتحدد أنواع مراكز الأبحاث وفقاً لعدة معايير وكما يأتي (٨):-

١- معيار التمويل والارتباط والسلطة العليا للقرار:-

يشمل هذا المعيار تحديد طبيعة العلاقة والمرجعية التي يرتبط بها مركز الدراسات والأبحاث ، ووفق هذا المعيار يمكن تصنيف مراكز الأبحاث الى ما يلي:-

أ- **مراكز الأبحاث الحكومية** :- وهذا النوع من المراكز يرتبط ويخضع لملكية القطاع الحكومي من حيث تعيين إدارته من قبل جهة أو وزارة أو مؤسسة حكومية مستقلة أو الديوان الملكي ،تحديد مجالاته و أنشطته البحثية التي ترتبط عادة بسياسات و متطلبات حكوميـة أو احتياجـات

صانع القرار أكثر من ارتباطها باحتياجات أو متطلبات البحث العلمي أو أولويات تنموية معينة، ارتباط بيروقراطية القرار فيه بالجهة الحكومية التي يتبع لها وارتباط ميزانيته بالتمويل الحكومي .

ايجابيات هذا النوع من المراكز (٩) :-

- لا يتحمل عبء توفير التمويل اللازم .
- اطلاعه أو معرفته عن قرب على احتياجات صانع القرار ، وبالتالي يزيد من فرصة دوره المؤثر في رسم السياسات العامة .

السلبيات التي يعاني منها هذا النوع من المراكز البحثية (١٠):-

- ضعف الاستقلالية في المجال البحثي سواء على صعيد الأجندة البحثية أو سقف الحريات .
- تأثر قراراتها ومشاريعها البحثية بالبيروقراطية الحكومية وتعقيداتها .
- لا يشكل هذا النوع من المراكز في اغلب الأحيان بيئة مولدة للأفكار الإبداعية الجديدة ، أ، على الأقل صعوبة تقبلها للأفكار والمشاريع البحثية الجديدة التي لا تحقق رضا صانع القرار ولو كانت هناك حاجة تنموية لها .
- إن الكثير من دراساتها وإنتاجها العلمي قد لا يُنشر أو لا يُتاح بسهولة للباحثين أو المهتمين ويخضع لبيروقراطية القرار الإداري .

ب- المراكز البحثية الأكاديمية :-

وهي المراكز التي تعتمد على أكاديميين ومنهجيات البحث العلمي الأكاديمي وطريقة النشر فيها وفق آليات التحكيم العلمي ، وهذه المراكز لا تمارس العملية التعليمية أو التدريسية ، وهي مراكز بعضها قد يكون مستقلاً لا يرتبط بأي جهة سواء أكانت جامعية أو غيرها ، وبعضها الآخر قد يكون مرتبطاً بجامعة ما ، ومن أمثلة هذا النوع من المراكز البحثية المستقلة معهد بروكنجز في أمريكا Brookings Institute.

عادة هذا النوع من المراكز يعنى بدراسة القضايا المهمة التي تواجه المجتمع أو الدولة ، كما أن تمويل هذه المراكز البحثية عادة يأتي من عدة مصادر ، بعضها مؤسسات تمويل دولية ، أو من مؤسسات مانحة للبحث العلمي أو مشاريع بحثية حكومية أو شركات كبرى أو رجال أعمال وغيرها من المصادر غير المشروطة ،تمتاز هذه

المراكز بأنها هي التي تحدد برامجها وأنشطتها وأجندتها البحثية وبما يتلاءم مع موضوعية البحث العلمي لذلك فهي تمتاز الى حد كبير باستقلالها العلمي بعيداً عن الرغبات الحكومية ، ولكن في المقابل فأن سعيها أن تكون عاملاً مؤثراً في رسم السياسات العامة للحكومة قد يؤثر بشكل ما أو أحياناً على موضوعاتها أو أجندتها البحثية ولو بشكل جزئي ، يعمل هذا النوع من المراكز البحثية على توفير التحليل المعمق والاقتراحات المناسبة لصياغة السياسات العامة أو معالجة القضايا المستقبلية أو السياسات البعيدة المدى(١١).

ت- المراكز البحثية الخاصة :-

يتمثل هذا النوع من المراكز البحثية بعدم ارتباطه الإداري والقانوني بالقطاع الحكومي وإنما ينتمي أما الى القطاع الخاص أو قطاع النفع العام أو مؤسسات المجتمع المدني غير الربحية ، وبذلك ينقسم هذا النوع من المراكز البحثية إلى صنفين هما(١٢):-

- **المراكز البحثية غير الحكومية ذات النفع العام** :- هذا النوع من المراكز لا يخضع في ارتباطه الرسمي أو الإداري أو المالي إلى القطاع الحكومي وفي نفس الوقت لا ينتمي كلياً إلى القطاع الخاص ، ولا يسعى إلى العائد الربحي ، ويحمل استقلالية إدارية وقانونية ومالية .
- **المراكز البحثية المرتبطة بالقطاع الخاص** :- أنشئ هذا النوع من المراكز البحثية من قبل القطاع الخاص أما لخدمة الشركات الكبرى التي أنشأتها بهدف القيام بإعداد الدراسات والأبحاث اللازمة لها ، وبالتالي تخضع في تمويلها أو أجندتها البحثية إلى احتياجات الشركات المنشأة لها ، أو أنها أنشئت كمراكز بحثية تنتمي إلى القطاع الخاص ولكن لا ترتبط أو لا تنتمي إلى مؤسسات أو شركات كبرى ، وهذه المراكز الخاصة متخصصة ومستقلة من حيث تمويلها ومن حيث اهتماماتها وأجندتها البحثية ، ويتوفر لها التمويل أما من خلال المشاريع البحثية التي تتعاقد عليها سواء مع القطاع الحكومي مثل وزارة الخارجية أو من خلال التمويل الدولي لأنشطة وبرامج بحثية في دول ما ، وغالباً ما يكون هذا التمويل الدولي من هيئات أوروبية أو أمريكية لمشاريع بعض هذه المراكز البحثية في الدول الفقيرة.

٢- تصنيف مراكز الأبحاث وفق الاتجاه السياسي أو الأيديولوجي :-

يصنف البعض مراكز الأبحاث والدراسات وفق الاتجاهات السياسية أو الأيديولوجية ، أو طبيعة الارتباط السياسي الحزبي لها ، ففي الدول الغربية يمكن تصنيف هذه المراكز إلى الفئات الآتية(١٣):-

- **المراكز البحثية ذات الاتجاه الليبرالي .**
- **المراكز البحثية ذات الاتجاه المحافظ .**
- **المراكز البحثية ذات الاتجاه اليساري أو الاشتراكي .**

أما على صعيد العالم العربي ، غالباً تصنف مراكز الأبحاث وفق الطبيعة السياسية أو الأيديولوجية الى الفئات الآتية (١٤):-

- **المراكز البحثية ذات الاتجاه الليبرالي .**
- **المراكز البحثية ذات الاتجاه اليساري أو الاشتراكي أو القومي العروبي .**
- **المراكز البحثية ذات الاتجاه الإسلامي .**
- **المراكز البحثية المستقلة غير المسيسة ، أي الأكاديمية الصرفة .**
- **المراكز البحثية ذات الاتجاه الوطني .**

٣- معيار الاستقلالية :-

يصنف برنامج الفكر والمجتمع المدني في جامعة بنسلفانيا مراكز الأبحاث العاملة في مجال السياسات العامة وفق معيار طبيعة الارتباط والاستقلالية على النحو الآتي(١٥):-

- **المراكز البحثية المستقلة .**
- **المراكز الجامعية .**
- **مراكز أبحاث الأحزاب السياسية .**
- **مراكز الأبحاث الحكومية .**

عموماً أن تنوع تصنيفات وأنواع مراكز البحوث يحددها طبيعة المعايير والأسس التي يتم التصنيف على أساسها ، وهذه المعايير تشكل المدخلات التي تفرز أو تحدد أنواع المخرجات.

المطلب الثاني :- ماهية السياسات العامة :-

يتم تشكيل وتكوين الفهم والوعي الحقيقي بشأن حقل السياسات العامة من خلال الإحاطة بالتطور التاريخي لهذا الحقل والمفاهيم والمصطلحات الأساسية المرتبطة به ومعرفة خصائصه وعناصره ، وهذا ما يتم التطرق إليه في هذا المطلب وكما يأتي :

أولاً :- نشأة السياسات العامة :

يمكننا أن نتعرف على مراحل نشأة السياسات العامة وعواملها كما يأتي :-

١- مراحل نشأة السياسات العامة :

نستطيع أن نحصر نشأة السياسات العامة بالمراحل الآتية :

أ- المرحلة الوصفية للسياسة العامة :

انحصر الاهتمام بالسياسات التي تنتجها الحكومات والتركيز على القوى التي تسهم في بلورة السياسات وتأثيرها على المجتمعات ، فالجهود التقليدية اقتصرت على السياسة ذاتها حيث بقيت وصفية ظاهرية ، لم تغص في تناول المؤسسات والقطاعات الحكومية غوصاً تحليلياً ، مما أدى إلى إبقاء محتوى السياسات العامة بعيداً عن البحث والتناول وان الجهد الوصفي لها بقي غامضاً وسطحياً(١٦).

ب- المرحلة النظرية للسياسة العامة :

بعد أن تبلور علم السياسة وأصبح فرعاً من فروع العلوم الاجتماعية عقب استقلاله عن الفلسفة الأخلاقية ، فقد حظي بالدعم المستفيض ضمن مجال الاختصاص العلمي والمعرفي(١٧)،فالظواهر الاجتماعية التي كانت بعيدة عن تدخل الحكومة أما لأنها تمثل نتائج للإرادة الإلهية حسب الاعتقادات المجتمعية مثل الأوبئة والكوارث والحروب والفيضانات ، أو لأنها تمثل قضايا خاصة واجبة الاحترام لا يسمح بالتدخل في نطاقها مثل التربية ووضعية المرأة، كلها انتقلت من حالتها التي تميزت بها (السياسة ضيقة النطاق) للقرن التاسع عشر إلى الحالة الجديدة (السياسة في كل مكان) للقرن العشرين ، وفق الآلية الترابطية التي من خلالها يجد أمر ما غير سياسي ذاته ، واقعاً ضمن فئة الأمور والقضايا السياسية(١٨).

ت- مرحلة الدراسة السلوكية للسياسة العامة :

شهدت المدة بين الحربين العالميتين تطورا مرحليا هاما في مفهوم السياسة العامة جراء شيوع نتاجات وتجارب المدرسة السلوكية وبروز التوجه السلوكي لعلم السياسة الحديث(١٩).

ث- المرحلة التحليلية للسياسة العامة :

تعاظم الاهتمام بموضوع السياسة العامة بعد الحرب العالمية الثانية ، إذ جرى التركيز على مفهوم السياسة العامة وكيفية بلورتها والتبصر في أهدافها ومضامينها وأساليب تنفيذها،ضمن إطار تحليلي ، بحسب الأولويات و الإمكانات المتوفرة(٢٠).

ج- المرحلة التجريبية للسياسة العامة :

يعود تأسيس فرع السياسات العامة إلى النصف الثاني من القرن العشرين ، إذ كان جزءا من دراسة العلوم السياسية المعاصرة، وقد كانت بداياته في الولايات المتحدة الأمريكية ومن ثم انتقل الاهتمام به إلى أوربا الغربية، لكن جذوره تمتد إلى الثلاثينيات و الأربعينيات من القرن المذكور(٢١).

٢- عوامل نشأة السياسات العامة :

يُشير بعض الباحثين إلى جملة عوامل أسهمت في نشأة علم السياسات العامة وتطوره،ترتبط بالبيئة التي قام بها ، وقد تمثلت في(٢٢):

أ- **سياسات علاجية :** ان العالم في أواخر العشرينيات وبداية الثلاثينيات من القرن العشرين مر بأزمة اقتصادية عنيفة دفعت الاقتصاديين إلى التفكير بشكل جدي بالأوضاع الاقتصادية التي كانت سائدة آنذاك ، ومحاولة وضع سياسات علاجية لتجاوز الأزمات .

ب- **مبدأ تكليف المختصين في السياسات العامة :** تبنت الإدارة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية مبدأ تكليف المختصين في حقول علم النفس والسياسة والإدارة والاقتصاد وغيرهم،بدراسة السياسات العامة المقترحة أو المنفذة من الجهات الرسمية، وتقييم التوصيات اللازمة بشأن هذه السياسات. وقد استمرت الإدارة الأمريكية على نهجها هذا حتى الوقت الحاضر، وهو ما يطلق عليه اليوم بعلم السياسات العامة.

ت- **استخدام طرق البحث العلمي لمواجهة مشكلات السياسات العامة :** ان لجهود العلماء والباحثين والمختصين في مجالات المعرفة المتنوعة وعلماء السياسات العامة بشكل خاص دوراً في تطور علم السياسات العامة ونموه ، تمثلت في استخدام طرق البحث العلمي والحاسبة الالكترونية في مجال بحث

مشكلات السياسات العامة وتحليلها، ما أسهم في تفريع هذا الحقل إلى تخصصات فرعية أخرى ، وكذلك الدور المتعاظم الذي أدته مؤتمرات الأمم المتحدة، وما جرى مناقشته خلال تلك المؤتمرات.

ث- **مرحلة الموازنة بين الهدف والنتيجة :** تعرض المجتمع الأمريكي في نهاية عقد الستينيات من القرن الماضي لحالة من الاضطراب وعدم الاستقرار بسبب معاناته من مشكلات عديدة مدة طويلة من الزمن، وقد أثيرت العديد من التساؤلات حول إمكانية الحكومة في معالجة هذه المشكلات وغيرها، ومدى جدوى السياسات التي نفذتها والأموال التي أنفقت على تنفيذ هذه السياسات ، إذ تبين ان العائد المتأتي من تنفيذ السياسات العامة لا يوازي المبالغ التي أنفقت على صناعتها، مما كان دافعا للمختصين في الإدارة العامة والعلوم السياسية والاقتصاد وغيرهم في المجالات العلمية الأخرى لبحث السياسات العامة ودراستها وتحليلها .

ثانياً : مفهوم السياسات العامة وعناصرها :

نتناول في هذا المبحث مفهوم السياسات العامة من حيث اللغة والاصطلاح ، وكذلك عناصر السياسات العامة من اجل التعرف على مصطلح السياسات العامة بصورة أدق وكما يأتي :

١:- مفهوم السياسات العامة لغة واصطلاحاً

- لغة :

تعني السياسة في اللغة اشتقاقا من فعل "سوس" وهو بالفتح يعني الرئاسة، ومن ذلك قولهم:ساسوهم سوسا، وإذا رأسوه قيل: سوسوه، وأساسوه، ورجل ساس وسوس، وسوسه القوم:جعلوه يسوسهم، وجمعها سياسات(٢٣)، وهي بإضافة صفة العموم إنما تطلق ميادين الاستخدام الفعلي للمفهوم وتوسع دائرة استخداماته .

يمكن القول انه على الرغم من الجهود المبذولة لإعطاء تعريف دقيق يميز السياسات العامة في اللغة العربية عن سواها من القوانين ذوات الصفات التشريعية أو بين السياسات العامة والقرارات ذات الطابع الإداري ، إلا أنَ اللبس لا يزال يكتنف المصطلح لاسيما في اللغة العربية،ويرجع احد الباحثين ذلك إلى خلط الناطقين بالعربية بين لفظة (policy) ولفظة (politics) اللتين يصعب إيجاد المفردة اللغوية التي تفصل بينهما أو توحدهما كدوال ، ذلك لان مفردة سياسي المشتقة من الفعل ساس ويسوس، إنما توحي بأنها تدل على ما يفعله السياسيون المنتمون للأحزاب السياسية، ولان بعض القائمين في العمل

السياسي خارج السلطة يمارسون التسييس كنشاط ليوصلهم إلى مواقع الحكم، عند ذلك تصبح المصطلحات (policy, politics, political) غامضة الفهم بالنسبة لرجل الشارع وبعض الدارسين أيضا(٢٤).

يعود أصل كلمة (policy) وكذلك (politics) في اللغة الانكليزية إلى الكلمة اليونانية (polis) التي تطورت إلى كلمة (politia) اللاتينية التي تعني (الدولة) ثم إلى كلمة (policie) التي تشير إلى عملية إدارة الحكومة the administration of government)) أو ممارسة الشؤون العامة the conduct of public affairs).(٢٥)

وتضع اللغة الانكليزية تمييزا بين السياسة (politics) بمعناها الذي يشمل النظام السياسي بكل تفاعلاته وصراعاته الداخلية والخارجية المرتبطة بمحاولة الوصول لسدة الحكم والاستحواذ على أسباب القوة السياسية، وما جرى الإشارة إليه من معنى كلمة(policy) بوصفها معنية بالقرارات والبرامج المرتبطة بتقديم الخدمات للمواطنين والمعالجات الدائرة في هذا السياق،وهي بذلك معنية بالجانب الإجرائي الهادف إلى توظيف البرامج السياسية لتحقيق أغراض القبول والرضا الاجتماعيين ، لكن هذا التمييز بين مصطلحي (politics) و (policy) ، غير قائم في مجتمعات أخرى مثل المجتمع الألماني والمجتمع الروسي، إذ يمكن استخدام مصطلح واحد، وهو (politik) و(politika) للإشارة إلى المعنيين (٢٦).

- **اصطلاحاً :**

ينعدم في مجال العلوم الاجتماعية اتفاق عام حول تعريف المصطلحات ، وذلك نتيجة تعقيد الظاهرة الاجتماعية وتعدد أبعادها وفي حالة دراسة العلوم السياسية والإدارة العامة فقد ثبت أنَ التعريفات القصيرة عملية غير مجدية، فحينما يحاول الكاتب تقديم تعريف مختصر فانه يضطر إلى شرحه في فقرات وصفحات عديدة (٢٧).

يمكن القول إنَّ السياسة العامة شأنها شأن العلوم الاجتماعية التي ظلت تفتقر إلى وجود مفهوم جامع مانع ، فتعددت التعاريف بشأنها ، وبلا شك فأن هذه التعاريف تختلف باختلاف وجهة نظر كل باحث ومنطلقاته الفكرية والآيديولوجية ، إذ تعرفها موسوعة السياسيات العامة أنها مجموعة من الأهداف والبرامج الأساسية تصاحبها مجموعة من القرارات، تحدد كيف ترسم الأهداف أو كيف يمكن تنفيذها(٢٨).

يُعرف (معجم الإدارة العامة) السياسات العامة أنها تلك السياسة التي يصنعها أو يقرها مجلس الوزراء في الدول(٢٩)، ويرى رائد علم السياسات العامة (لاسويل) أنها "برنامج مقصود لتحقيق قيم نهائية والقيام بتطبيقات محددة"(٣٠).

يُعرفها (جيمس اندرسون) أنها "برنامج عمل مقترح لشخص أو جماعة أو حكومة في نطاق بيئة محددة لتوضيح الغرض المستهدف والمحددات المراد تجاوزها سعيا للوصول إلى هدف أو لتحقيق غرض مقصود"(٣١)، فيما يعرفها (بسيوني إبراهيم حمادة) بما يضفي عليها طابعاً إدارياً يشير إلى أداء الإدارة السياسية وبرامجها، إذ يرى أنها "الخطط أو البرامج أو الأهداف العامة أو كل هذه معا يظهر فيها اتجاه العمل الحكومي لفترة زمنية مستقبلية بحيث يكون لها المسافة السياسية"(٣٢).

ترى (مها الحديثي) أنَّ السياسات العامة هي "الأهداف التي تقرر السلطة السياسية تنفيذها في مختلف مجالات النشاط التي تتدخل فيها الدولة وأيَاً كان شكل الحكومة التي تمثل السلطة السياسية في الدولة فأنها تحدد النقاط التي تراها أساسية في نشاط الدولة"(٣٣).

بعد التعرف على أهم التعاريف الخاصة بالسياسات العامة التي قدمها الباحثين والمختصين ، يمكن إعطاء تعريف بسيط للسياسات العامة على أنها مجموعة الأنشطة والخطط والبرامج التي تتبعها الحكومة خلال مدة زمنية معينة من اجل معالجة مشكلة عامة أو تحقيقاً لمتطلبات المصلحة العامة .

٢- عناصر السياسات العامة :

يمكن فهم مصطلح السياسات العامة بصورة أدق وأكثر وضوحاً من خلال التعرف على عناصرها الأساسية وهذه العناصر هي مطالب السياسة ، قرارات السياسة ، تصريحات السياسة ومحتواها ،مخرجات السياسة وآثار السياسة(٣٤) .

المبحث الثاني :- أثر مراكز الأبحاث في صنع السياسات العامة الأمريكية

نوضح في هذا لمبحث ماهو دور مراكز الابحاث في صنع السياسات العامة على وجه العموم ، ومن ثم نقوم بتوضيح دورها في صنع السياسات العامة الامريكية بصورة خاصة وكما يأتي :

المطلب الأول :- دور مراكز الأبحاث في صنع السياسات العامة

أصبحت مراكز الأبحاث في أمريكا وكثير من دول العالم المتقدم ، جزءاً من البنية السياسية الى المدى الذي اصبحت فيه جزءاً عضوياً من عملية صنع السياسات

العامة في تلك الدول ، ويلخص بعض الباحثين وظائف ومهام مراكز الأبحاث بما يأتي(٣٥):-

١ . إجراء البحوث حول تحليل المشكلات التي تواجه السياسات العامة .

٢ . تقديمالإرشادات أو الاستشارات حول الاهتمامات أو المستجدات العاجلة للسياسات.

٣ . تقويم البرامج الحكومية .

٤ . تقديم التفسير والتوجيه حول المبادرات والسياسات العامة لوسائل الإعلام وتسهيل فهم الجمهور لها.

٥ . توفير العلماء والكفاءات الأساسية أو الخبرات اللازمة للحكومة لإعداد السياسات العامة .

ويحدد مشروع مؤشرات مراكز الفكر المهام والأدوار الأساسية لهذه المراكز المرتبطة بحاجة القادة وصناع القرار في دول العالم لهذه الأدوار المتمثلة بما يأتي (٣٦):-

١ . حاجة القادة الى مراكز الدراسات لتزويدهم بتحليل مستقل .

٢ . المساعدة في إعداد مكونات و عناصر أو أجندات السياسات Policy Agenda.

٣ . تقليل الفجوة ما بين المعرفة والتطبيق .

ان طبيعة هذه المهام تعكس مدى أهمية الدور الذي يمكن ان تلعبه مراكز الدراسات في التأثير على عملية اتخاذ القرار أو على صناع القرار ، وكذلك في رسم السياسات العامة ، أو بشكل آخر أن هذا الدور لمراكز الأبحاث هو جزء من دور يحتسب للبحث العلمي أو المعرفة بصفة أن هذه المراكز هي إحدى مؤسسات البحث العلمي وإنتاج المعرفة ، ويشير احد الباحثين الى انه في المجتمعات الحديثة أو الدول المتقدمة يظهر ارتباط واضح بين عملية التنمية والبحوث العلمية والتطبيقية ، بما فيها استطلاعات الرأي والبحوث الميدانية .

فلم يعد دور مراكز الأبحاث في المجتمعات المتقدمة دوراً ثانوياً وإنما دوراً أساسياً في رسم السياسات وترشيد عملية اتخاذ القرار ، ولذلك ان تأسيس المراكز البحثية والمستقلة يزيد من فعاليتها ودورها الايجابي في هذين المجالين ، وكما هو معروف ان صناع القرار أو كبار المسؤولين ليس لديهم الوقت الكافي أو المعرفة المتخصصة في بعض المجالات أو القضايا موضع القرار أو رسم السياسات العامة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الأمنية أو غيرها ، ولذلك فأن مراكز الأبحاث تقوم غالباً بإجراء الأعمال البحثية من اجلهم ، ويشير هوارد إلى أن مراكز الأبحاث أصبحت بشكل أساسي تقوم بالتفكير للحكومة ، فخبراء مراكز الأبحاث يقدمون الأفكار الجديدة والرؤى الإبداعية بالاعتماد على أبحاثهم أو يرشدوا السياسات العامة(٣٧).

من ناحية اخرى تقدم مراكز الأبحاث الخدمات الاستشارية للقطاع الحكومي ومؤسساته في العديد من القضايا التي تتطلب معرفة متخصصة وسرعة في الانجاز أو القرار ، إذ أن المراكز البحثية عادة تتوفر لها مجموعة أو شبكة من الخبراء داخل وخارج المراكز تكون على ارتباط وثيق بها ، أو تملك المراكز سرعة في الوصول إليها أو السرعة في تكليفها بمهام بحثية و استشارية معينة ، كما تملك المراكز القدرة على توفير البيانات البحثية اللازمة لصناع القرار والمسؤولين عند الحاجة ، عموماً أن الخدمات الاستشارية التي تقدمها مراكز الأبحاث تأخذ أشكال عدة منها(٣٨):-

١ . تكليف أفراد متخصصين لإعداد تقارير مركزة ومختصرة لصناع القرار والقيادات العليا حول قضايا معينة .

٢ . تكليف خبراء لمراجعة وتنقيح التقارير الخاصة أو الداخلية التي يتم إعدادها للقيادات العليا ، والتي تتعلق بالدول التي سيقومون بزيارتها والقضايا موضع البحث والنقاش .

٣ . تكليف فرق بحثية لتقييم قضايا حساسة أو موضع جدل ونقاش .

تختص الأدوار الاستشارية عموماً بتشخيص المشكلات والأزمات وتحليلها واقتراح الحلول والمواقف والسياسات المناسبة للتعامل معها ، وغالباً ما يكون ذلك في القضايا ذات الصفة العاجلة.

ومن الأدوار الحديثة التي أصبحت تقوم بها بعض المراكز البحثية هي ما يأتي(٣٩):-

١- ممارسة الدبلوماسية الأكاديمية ، كأن يرسل الخبراء والأكاديميون العاملون في مراكز الأبحاث من قبل وزارة الخارجية أو مؤسسات أمنية أو غيرها ، أما لمعرفة آفاق تسوية أو المشاركة في وساطة أو مفاوضات حول أزمة معينة ، ويكون ذلك بشكل رسمي أو غير رسمي أو بشكل معلن أو في مسار موازي ، كما حصل على سبيل المثال في المرحلة السرية لما قبل الوصول إلى اتفاقية أوسلو ، إذ قام (تيد لارسون) رئيس معهد أبحاث السلام في أوسلو بترتيب عملية المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي في النرويج وبشكل سري.

٢- مرافقة خبراء من هذه المراكز البحثية لكبار المسؤولين أو مع الوفود الرسمية الحكومية في زيارتهم الرسمية للدول كمستشارين خبراء في قضايا معينة موضع النقاش في جدول أعمال المسؤولين أو هذه الوفود الحكومية.

٣- تكون هذه المراكز في بعض الأحيان بمثابة (الباب الدوار) بين الدبلوماسيين أو المسؤولين أو المناصب العليا في الدولة ، وبين الخبراء والعاملين في هذه المراكز البحثية وذلك من حيث تداول المناصب ، ففي كثير من الأحيان يتم اختيار وتكليف بعض الخبراء في هذه المراكز البحثية للعمل في مناصب حكومية عليا مثل وزراء أو مستشارين للقيادة السياسية أو سفراء دبلوماسيين وغير ذلك ، وكذلك العكس إذ أن الكثير من المسؤولين عندما يخرجون من مناصبهم العليا يذهبون للعمل في هذه المراكز البحثية إما بصفة خبراء أو باحثين في الإدارة العليا أو مجالس الأمن أو غيرها التي تشرف على سياسات وبرامج وأنشطة هذه المراكز البحثية.

٤- انها تلعب أحياناً دوراً مهماً كقناة اتصال غير مباشرة أو غير رسمية بين الشخصيات السياسية أو كبار المسؤولين وخاصة الأطراف أو الشخصيات الخارجية أو الدولية ، وذلك للتعرف على طروحاتهم وآرائهم السياسية وطبيعة اهتمامهم وأدوارهم ، أو لمعرفة الاتجاهات الدولية السائدة فيمجال قضايا اقتصادية أو سياسية أو غيرها، وذلك من خلال المشاركة في أنشطة عملية مشتركة أو دعوة هذه الشخصيات أو المسؤولين للمشاركة في المؤتمرات والندوات التي تعقدها هذه المراكز البحثية ، ومن خلال شبكة العلاقات التي تملكها هذه المراكز البحثية(٤٠).

٥- لدى هذه المراكز البحثية القدرة على متابعة أحدث الدراسات وترجمة المنشورات والمؤلفات التي تصدر عن المؤسسات والمراكز البحثية في الدول الأخرى خاصة الدول التي تكون موضع اهتمام خاص.
٦- تلعب مراكز الأبحاث من خلال دراساتها دوراً هاماً في مجال (المستقبليات) أو المجال (الاستشرافي) خاصة مع تطور عالم المستقبليات في العالم الغربي والتي أصبحت نتائج هذه الرؤى المستقبلية من المتطلبات الأساسية للتخطيط الاستراتيجي في الدول المتقدمة.
٧- مراكز الأبحاث من خلال خبرائها و علمائها تعمل على " عقلنة " أو " ترشيد " القرار لدى المسؤولين ، وبالتالي المساهمة في تصويب أو تحجيم احتمالية الخطأ أو المخاطر أو الفشل في إعداد السياسات العامة وحسن التخطيط وتوفير الرؤى والأفكار العلمية والإبداعية في الدولة .

ولابد لنا من المقارنة بين دور مراكز الأبحاث ذات الطبيعة الأكاديمية والمرتبطة بالجامعات ، ومراكز الأبحاث الخاصة ذات المنهجية العلمية أو الأكاديمية ولكن لا ترتبط بأي جهة حكومية أو رسمية سواء أكانت جامعية أو غيرها ، ويمكن تلخيص أهم عناصر طبيعة اختلاف هذه الأدوار بما يأتي(٤١):-

١ . المراكز البحثية الأكاديمية تميل إلى بناء (المعرفة النظرية) أو (التنظير) ، وبالتالي تكون بعيدة عن الواقع السياسي والذي يحتاجه أو يتعاطى معه صانعي السياسات العامة وهذا ما تحاول المراكز البحثية الخاصة غير الجامعية أن تعمل به و تبحث في معالجته .

٢ . تميل المراكز الأكاديمية الجامعية إلى إيجاد و تطوير نماذج أو اكتشاف نظريات وقواعد عامة للسلوك سواء السياسي أو الاقتصادي أو غيرها، مثل التعامل مع نظريات الصراع مثل نظرية الحرمان النسبي أو نظرية التبعية أو غيرها، لتفسير سلوك صراعي ما ،فليس لدى صانع القرار الوقت ولا الرغبة أو الميل ليتعامل مع هذه النظريات ، فهو يريد التفسير المباشر والواضح في إجراءاته وخطواته للتعامل مع الأحداث و الأزمات و الصراعات السياسية وغيرها .

٣ . تميل المراكز الأكاديمية الجامعية إلى الطروحات المثالية والأخلاقية في أغلب الأحيان ، وما هو يجب أن يكون عليه الحال ، وهو ما لا يراه عملياً الكثير من صناع القرار و السياسات العامة، خاصة في البيئة أو الشؤون السياسية الدولية ، بينما تميل

المراكز البحثية الخاصة إلى تفهم أقدر لهذه (الواقعية العملية) إلى صناع القرار والسياسات العامة ، وبالتالي تتجه وتميل إلى إعداد الدراسات المتلائمة مع هذا الاتجاه أو الحاجة العملية لصانعي القرار والسياسات العامة .

٤ . المراكز البحثية الجامعية عادة لا تكون على دراية كافية بالقيود والتجاذبات البيروقراطية ومراكز القوى التي تواجه صانع القرار أو صانعي السياسات العامة ، وبالتالي لا تعطي اهتماماً أو تقديراً كافياً لذلك ، و هو ما يخلق تعقيدات و مشكلات إدارية لا يميل صانع القرار أو صانعي السياسات العامة إلى التعامل معها ، وفي المقابل غالباً المراكز البحثية الخاصة تأخذ أو تعطي هذا الأمر اهتماماً خاصاً و تحاولالاطلاع على تفاصيله سواء من صناع القرار أو مصادر أخرى، سعياً لنجاح أو قبول طروحاتها و مشاريعها لدى صانع القرار أو صانعي السياسات العامة ، و تقدم التوصيات والرؤى التي تأخذ هذه المعوقات بعين الاعتبار .

المطلب الثاني :- مراكز الأبحاث الأمريكية ودورها في صنع السياسات العامة :-

تمارس مراكز الأبحاث دورها عادة في صياغة السياسات العامة من خلال عدة أشكال أو وسائل بعضها مباشر وبعضها غير مباشر ، بعضها قد يكون تأثيره على المدى البعيد وبعضها يكون تأثيره على المدى القصير ، و يمكن تلخيص أهم أشكال وطرق ووسائل تأثير مراكز الأبحاث بما يأتي(٤٢):-

١ . **الأنشطة العلمية التفاعلية** :-وهذا النوع من الأنشطة يتمثل في عقد المؤتمرات أو الندوات وورش العمل حول قضايا تقع ضمن اهتمام المسؤولين وصناع القرار ، وهذا النوع من الأنشطة يكون عادة ثريا بالنقد من جهة، وبتوليد الأفكار من الاقتراحات الجديدة من جهة ثانية، والتعرف على الاتجاهات العامة لدى الباحثين والخبراء حول القضايا موضوع المؤتمر أو الندوة من جهة ثالثة .

٢ . **الحلقات البحثية أو اللقاءات المغلقة** : و هي تدخل ضمن الأنشطة البحثية التفاعلية ، ولكنها عادة

تكون بين كبار المسؤولين أو صناع القرار مع فريق من الخبراء المكلفين بإعدادد راسات معينة تتعلق

بقضايا معينة أو إعداد سياسات عامة.

٣ . وسائل الإعلام:- عادة ما تستضيف و سائلالإعلام، خاصة الفضائيات التلفزيونية والصحافة ، الباحثين والخبراء العاملين في مراكز الأبحاث للاطلاع على آرائهم وتحليلهم العلمي حول القضايا الساخنة أو الأزمات السياسية أو القضايا والسياسات الحكومية التي تكون مثيرة للجدل لدى الرأي العام .

٤ . المشاركة في النشاط العام :- إن العديد من الباحثين والخبراء العاملين في مراكز الأبحاث يتم دعوتهم للمشاركة في لقاءات أو محاضرات وأنشطة عامة، سواء في مؤسسات تعليم جامعية أو في نقابات أو في جمعيات أو مؤسسات المجتمع المدني ، وغالباً ما تشكل مشاركة هؤلاء الخبراء تسويقيا فاعلاً لآرائهم و أطروحاتهم السياسية أو العلمية.

٥ . العلاقات المباشرة أو الشخصية مع صانعي السياسات العامة :- إن الكثير من الخبراء والباحثين مراكز الأبحاث يملكون إما علاقات مباشرة أو سهولة في التواصل مع صناع القرار أو صانعي السياسات العامة وهذا ما يسهل من قدرتهم على الإقناع والتأثير و معرفتهم لاحتياجات و متطلبات صناع القرار والمسؤولين.

من ناحية أخرى فإن معظم الباحثين والخبراء في مراكز الأبحاث يتوفر لديهم العنوان العلمي المقبول بشكل كبير للتواصل مع المسؤولين أو مؤسسات المجتمع وخاصة مع المؤسسات الإعلامية والأكاديمية ورجال الأعمال والمسؤولين الحكوميين وغيرهم (٤٣) .

٦ . النشر العلمي والمؤلفات العلمية :- إن من ضمن الاهتمامات الأساسية و أولويات مراكز الأبحاث هي النشر العلمي ، وهو يشكل المخرجات أو المنتوج الأساسي الذي تستهدفه مراكز الأبحاث ، ولا يمكن عند الحديث عن وجود مراكز أبحاث بدون أن يكون له نشر علمي ، و إلافسوف يصنف ضمن قطاع آخر غير قطاع مراكز الأبحاث.

إن محاولة معرفة مدى تأثير مراكز الأبحاث لدى صانعي السياسات العامة دفعت العديد من الباحثين إلى إيجاد مؤشرات أساسية تساعد في معرفة حجم تأثير هذه المراكز، ومن أهم المؤشرات كما يلخصها بعض الباحثين بما يأتي (٤٤):-

- مدى العلاقات والاتصالات مع صناع القرار أو صانعي السياسات ، أو الإدارة المنفذة أو المشرفة على تنفيذ السياسات .

- مدى حجم وجودة الأبحاث و الدراسات الصادرة عن مراكز الأبحاث و اتساع توزيعها .
- مدى استخدام صانعي السياسات العامة أو متخذي القرار لإصدارات أو أبحاث و دراسات مركز الأبحاث .
- مدى استخدام أو اعتماد أو اهتمام النخب المتنفذة ،مثل كتاب الصحافة و المعلقين الإعلاميين وهيئات التحرير .

عموما ، إن نفوذ و تأثير مراكزالأبحاث والدراسات يعتمد على طبيعة القضية موضع الدراسة و تعقيداتها، وعلى طبيعة البيئة السياسية و الاجتماعية و مايتعلق بها من مستوى الحريات و النمط الثقافي و غيرها، و على توقيت العمل في الدراسة و إنجازها، و على توفر التمويل اللازم للدراسات مع مستوى الاستقلالية ، بالإضافة إلى أهمية و دور الجهة الداعمة و المنفذة للدراسات التي تعمل على إنجازها مراكز الأبحاث و غير ذلك من العناصر .

إن العلاقة بين القادة السياسيين وبين مستشاريهم المعتمدين كانت موضع اهتمام ودراسة المؤرخين وعلماء السياسة والفلاسفة وعلماء النفس ، وإن تلك العلاقة بين المستشارين والقادة السياسيين كانت من الأمور المتبعة والمألوفة في النظام السياسي للولايات المتحدة الأمريكية وتعتبر تلك العلاقة من الأمور المهمة في صنع السياسات العامة في السياسة الخارجية ، فخبراء مراكز الأبحاث يقدمون المشورة والخبرة إلى أعضاء الكونغرس ورئيس السلطة التنفيذية إلى مختلف دوائر الجهاز البيروقراطي الرسمي ومن خلال هذا الدور الاستشاري يلعب خبراء مراكز الأبحاث دوراً متميزً وحيوياً في بلورة وضخ الأفكار في ماكنة صنع السياسات الأمريكية ، توجد لدى أصحاب القرار السياسي الأمريكي دوائر ضيقة من العلماء والمتخصصين في مختلف المجالات يعتمدون عليهم في صنع سياساتهم كما أنهم يلجأون إلى مراكز أبحاث معينة يتم اختيارها من قبلهم سعياً للمشورة السياسية والخبرة في مختلف المجالات(٤٥).

وعليه فقد أصبح لمراكز الأبحاث حضوراً فاعلاً في صناعة السياسة الأمريكية في واشنطن ولأكثر من مئة عام ، وقدموا بالفعل خبراتهم واستشاراتهم المختلفة لأصحاب القرار السياسي وقد تجلت تلك العلاقة الاستشارية بين مراكز الأبحاث وأصحاب القرار عبر استدعاء العديد من خبراء تلك المراكز إلى مختلف لجان الكونغرس للإدلاء بشهاداتهم أمامها أو من خلال حضورهم للاجتماعات الخاصة مع الرئيس

الأمريكي أو مع الكوادر المتقدمة لموظفي البيت الأبيض لمناقشة العديد من القضايا العامة أو الأمور المستجدة والآنية التي تتطلب رأي أو قرار(٤٦).

وقد توطدت العلاقة بين دوائر صنع القرار السياسي وخبراء مراكز الأبحاث الأمريكية في العقود الأخيرة ، وامتدت جسور العلاقة الفكرية بين العلماء وأصحاب الخبرة والصحفيين ومراكز الأبحاث وصناع السياسة الأمريكية ودوائر صنع القرار السياسي ، ونمت تلك العلاقة بصورة أكثر خلال حملات انتخابات الرئاسة الأمريكية فالكثير من المتنافسين الجدد خلال الحملات الانتخابية يحاولون الحصول على مواقع رسمية في مختلف أجهزة الدولة أو الوصول إلى البيت الأبيض أو الاحتفاظ بالمواقع التي كانوا يشغلوها قبل الانتخابات ، وفي كل الأحوال يتبارى المتنافسون من أجل الحصول على الخبرة والمشورة السياسية من المراكز البحثية والتي تنسجم وطبيعة المرحلة التي يمرون بها وتعكس حاجاتها ومطالبها من أجل تحقيق أهدافهم ومصالحهم التي يسعون إلى تحقيقها (٤٧) .

وقد ازداد اهتمام علماء السياسة مؤخراً بدراسة الدور الكبير الذي يمكن ان تضطلع به مراكز الأبحاث الأمريكية في انتخابات الرئاسة الأمريكية وفي عملية صنع السياسات العامة وفي تقديم الاستشارات للرؤساء والقادة السياسيين في مختلف نواحي الحياة الأمريكية وبفعل الدور المتنامي لمراكز الأبحاث في الحياة السياسية ودورها في السياسة الخارجية ظهرت المئات من الدراسات والأبحاث حول أهمية الاستشارات التي تقدمها تلك المراكز لصانعي القرار السياسي وقد تنامى ذلك الاهتمام بعد أن أصبحت مراكز الأبحاث تسوق أفكارها بصورة واضحة وتحاول الضغط على صانعي السياسات العامة بالأخذ بها أو تبنيها في سياساتها الداخلية والخارجية(٤٨).

وبذلك فقد أمست مراكز الأبحاث تمثل أحد الكتل والمجاميع المؤثرة في المجتمع الأمريكي والتي تتنافس من أجل الحصول على مواقع القوة في الوسط الفكري والسياسي ،فمراكز الأبحاث تمثل صوت قوي وفعال في الحلبة السياسية والأمريكية واستمر دورها يتنامى أمام القوى السياسية الفاعلة في المجتمع الأمريكي التي تطمح للحصول على الاستشارة والنصيحة وبالمقابل تفاعلت تلك المراكز ايجابياً مع الطلب المتنامي على أفكارها واستشاراتها وأخذت تغير من استراتيجياتها في التعاطي مع الاستشارة والخبرة المطلوبة ، فبدلاً من الانشغال بكتابة الكتب والأبحاث المطولة أخذ خبراء تلك المراكز يولون الدراسات المختصرة والمذكرات الموجزة أكثر أهمية لما لها من أثر مباشر وسريع لدى أصحاب النفوذ والقرار السياسي وتضمن التغيير في

خطط عمل مراكز الأبحاث من خلال التركيز أكثر على دفع خبرائها للظهور المباشر في مختلف وسائل الإعلام وطرح الأفكار التي يراد تسويقها سياسة معينة والتي تنسجم مع التطورات السياسية الجارية كما أن تلك المراكز بدأت بفتح مراكز ارتباط في الدوائر القريبة من مراكز صنع القرار السياسي المرتبطة بالسلطة التنفيذية وفي أروقة الكونغرس المسؤولة عن السلطة التشريعية من أجل خلق علاقات عمل قوية ومهمة من شأنها أن تمهد السبل لتبني أفكارهم واستشارتهم في القرارات أو السياسات المراد اتخاذها وأخذت مراكز الأبحاث تزج بكوادرها وخبرائها للعمل في مختلف اللجان التنفيذية وفي إدارات المجالس الرئاسية كما إنها بدأت تدفع خبرائها بالمشاركة الفعالة في السلطة التشريعية من خلال حضور جلسات الاستماع والشهادات للعديد من السياسيين حول العديد من القضايا السياسية الداخلية والخارجية ،ان المنزلة التي وصلت إليها مراكز الأبحاث في الحياة السياسية الأمريكية جعل منها حاضرة في مختلف شؤون البلد السياسية ومستعدة لتقديم الاستشارات المناسبة والتي لم يعد بإمكان أصحاب القرار السياسي التخلي عنها او الابتعاد عن ما تقدمه تلك الدوائر من نصح و أرشاد (٤٩).

المبحث الثالث :- تأثير مؤسسة راند في السياسات العامة الأمريكية

يختص هذا المبحث بدراسة احد مراكز الابحاث الامريكية وهو مؤسسة راند ، وسوف نتناولها من حيث نشأتها وتطروها وتمويلها وما هو دورها في صنع السياسات العامة الامريكية كما في المطالب الاتية :

المطلب الأول :- تطور مؤسسة راند ومصادر تمويلها :-

راند مؤسسة غير ربحية للبحوث ، تقوم بدراسة مشكلات السياسات المختلفة للولايات المتحدة الأمريكية ، خاصة تلك المتعلقة بالأمن القومي ، بدأ سلاح الطيران الأمريكي بإنشاء مشروع راند للبحوث والتطوير عام ١٩٤٦م ، لتنفيذ دراسات على المدى الطويل بالنسبة للحروب العالمية باستخدام القوات الأرضية وليس الصواريخ ، أصبحت راند مؤسسة مستقلة عام ١٩٤٨م ، إلا أن الجهات العسكرية ولا سيما سلاح الطيران مازالت تقوم بتمويل أعمالها(٥٠).

اشتق أسمها من اختصار كلمتي "الأبحاث والتطوير" research and developmentتكرس أبحاثها لأغراض سياسية تخص صناع القرار الأمريكي،

ينحصر اهتمامها في قضايا الأمن والدفاع ، إذ تعد مؤسسة راند من أكثر المؤسسات عراقة من بين المؤسسات البحثية التي تهتم بالشؤون الخارجية والدفاع وعلاقة تلك الشؤون أو القضايا بوجه عام بإستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية الأمنية والعسكرية (٥١).

كما تعد مؤسسة راند العقل المفكر لوزارة الدفاع الأمريكية إذ تعتمد الوزارة على المؤسسة في إعداد الدراسات الخاصة بالأسلحة الأمريكية ، وأنظمة الدفاع المختلفة وتقوم باجراء الدراسات بناء على اتفاق مع وزارة الدفاع ، كما تستعين الوزارة بهذه الدراسات التي تصدرها المؤسسة من خلال التقارير المطروحة في كل عام والتي تصدر في تقييم الأسلحة وتطوير إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية الأمنية والعسكرية وغيرها ، وتبقى هذه الدراسات لحساب الوزارة دون نشر وبالتالي ينحصر مجال تأثيرها ضمن دائرة صغيرة من صانعي القرار السياسي أو السياسات العامة ، خاصة العسكرية والأمنية ، إذ قامت مؤسسة راند بالبحث في موضوعات مثل القوة العسكرية والاقتصادية للاتحاد السوفيتي (سابقاً) والصين ، والقدرات الدفاعية الجوية للولايات المتحدة الأمريكية ، كما قامت أيضاً بدراسة الإرهاب الدولي والتحكم في الأسلحة النووية وإدارة مصادر الدفاع وتصميم الأسلحة واستخدام الأقمار الأرضية والظروف العسكرية والسياسية في العالم ، إلا أن هذا لا يعني إن مؤسسة راند لا تخوض في قضايا سياسية خارجية ذات ابعاد غير عسكرية ، إذ تقوم المؤسسة بإجراء دراسات وأبحاث تحليلية حول سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه مناطق العالم المختلفة ، وبدأت المؤسسة عام ١٩٦٧م ، بزيادة أبحاثها المتعلقة بالمشكلات غير العسكرية ، كالنقل بالمدن ، والعدالة الجنائية وإدارة التعليم وإمدادات المياه والإسكان وغيرها(٥٢).

تعد معظم تقارير المؤسسة عن المسائل العسكرية سرية ، ويتم تسليمها لسلاح الطيران الأمريكي أو وزارة الدفاع مباشرة ، وهذا ما يؤكد على ارتباط مؤسسة راند بوزارة الدفاع من حيث مجال العمل والاختصاص والخبرة الفنية ، كما أنها عدت مكان عمل لكثير من كبار الموظفين والوزراء السابقين ، فعلى سبيل المثال ، أصبح وزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد بعد الخروج من الوزارة رئيساً لمؤسسة راند(٥٣).

تدير مؤسسة راند ثلاثة مراكز أبحاث ترعاها وزارة الدفاع ، وتمولها الحكومة الفيدرالية هذه المراكز هي بمثابة برامج للأبحاث تديرها منظمات خاصة لا تبغي الربح أي أنها غير تجارية ، وبموجب عقود طويلة الأمد ، وهي تطور وتحافظ على

خبرات وقدرات أساسية تهم الذين يرعونها وتعمل في سبيل المصلحة العامة ، كما تلعب هذه المراكز (الأبحاث والتطوير) التابعة لراند دوراً خاصاً في المساعدة على تلبية احتياجات الجهات الراعية لها في وزارة الدفاع إلى الأبحاث والدراسات التحليلية، وهذه المراكز هي مشروع سلاح الطيران ، مركز آرويو التابع للجيش ، ومعهد أبحاث الدفاع القومي ، وقد أعيد تنظيم المؤسسة في أواخر عام ١٩٩٠م ، للتركيز على خمسة مجالات سياسية وهي : التخطيط الدفاعي والتحليل ، رأس المال البشري، السياسة الدولية ، إدارة الموارد ، والسياسة الاجتماعية ، وقد أصبحت المؤسسة لاحقا تظم خمسة عشر مركزا ومعهدا اضافة للعديد من مراكز الأبحاث المتخصصة والتي تغطي مجالات واسعة ، كما أن للمؤسسة كلية للدراسات العليا تمنح خريجيها شهادات الدكتوراه في تحليل السياسات العامة ، بالاضافة إلى ذلك يتولى باحثو ومحللو مؤسسة راند انتاج أكثر من ٢٥٠ مشروع بحثي وتقرير وأبحاث مهنية حول العديد من القضايا المتصلة بالسياسات الداخلية والخارجية للولايات المتحدة الأمريكية (٥٤) .

توجد لمؤسسة راند مراكز رئيسة في مدينة سانتا مونيكا بولاية كاليفورنيا ، ومدينة ارلينجون بولاية فرجينيا ، ومدينة بيتسيرج بولاية بنسلفانيا ، بالاضافة إلى مكتب رابع يقع في مدينة واشنطن بولاية ماساتشوش ، أما ميزانية المؤسسة فتقدر بحوالي (٧٥) مليون في السنة ، كما يبلغ عدد العاملين فيها من مستشارين ومساعديهم حوالي (١٣٢١) باحثاً ومستشاراً ، إذ يقوم باحثي مؤسسة راند بإعداد البحوث والدراسات في أكثر من عشرة مجالات رئيسية منها الرعاية الصحية والعدالة المدنية والجنائية والعلوم والتكنولوجيا ، ويعمل الأغلبية في مقرها في سانتا مونيكا وفي مكتبها في واشنطن العاصمة ، وآخرون في مجلس دعم التعليم التابع لراند في مدينة نيويورك بالإضافة إلى الإشراف على برنامج شامل للأبحاث الذي ينشر مئات الكتب وموجزات السياسة والتقارير والمجلات والصحف الأمريكية ، كما تصدر المؤسسة مجموعة كبيرة من الكتب والدراسات على مدار العام وهي تسهم عبر هذه الإصدارات بتوجيه السياسة الأمريكية ووضع خريطة طريق للتعامل مع كافة القضايا التي يمكن إن تواجه الإدارة الأمريكية في تعاملها مع القضايا الداخلية والخارجية(٥٥).

أما مصادر تمويل مؤسسة راند ، فأن مراكز الأبحاث الأمريكية بصورة عامة ممنوعة من القيام بحملات لجمع التبرعات المالية سواء لأنشطتها العلمية أو من أجل تمويل ودعم الحملات الانتخابية لمرشحي الانتخابات ، فقانون الضرائب الأمريكية يحد من

أنشطة مراكز الأبحاث التي تهدف جمع تبرعات مالية ، فمراكز الأبحاث صنفت على أساس أنها مراكز غير ربحية ولا تستهدف تحقيق منافع مالية لقاء أنشطتها ، ولهذا السبب فأن مراكز الأبحاث معفية من الضرائب وتتمتع بكيان مالي مستقل بعيداً عن الولاءات الحزبية وتجاذباتها ، وأن تلك المراكز عندما تقدم خدماتها الاستشارية والبحثية أو غيرها من الدراسات ينبغي عليها توخي الدقة والحذر في التعاطي مع الأمور المالية في عملها ويتوجب عليها عدم الاخلال بنظام الضرائب الأمريكي المعمول به داخلياً ، كما أنها لا تعمل على اعطاء الهبات والمنح للأشخاص أو الجماعات السياسية من أجل الحصول على دعمهم ومساعداتهم لتقوية العلاقة والتعاون مع الجهات المؤثرة والفاعلة في الساحة السياسية ، أما مؤسسة راند فأنها تستلم مبالغ كبيرة من الوكالات الحكومية من أجل القيام بأبحاثها المتنوعة والتي في الغالب تنسجم ومتطلبات الوكالات الحكومية الممولة لأنشطتها ، فمؤسسة راند تستلم مبالغ مالية ضخمة تزيد على ٢٠٠ مليون دولار من سلاح الجو الأمريكي وكذلك من مكتب وزير الدفاع ، كما أنها تستلم تخصيصات مالية من وزارة الصحة ومعهد الصحة القومي وغيرهما من الوكالات الحكومية والفيدرالية والشركات الخاصة والوكالات الدولية ومؤسسات وأشخاص آخرين ، وبفعل تنوع وتعدد مصادر التمويل فقد تنوعت الأبحاث والدراسات التي تقوم المؤسسة بانجازها فلم تعد تقتصر على الجوانب الأمنية والدفاعية(٥٦) .

المطلب الثاني :- راند وصنع السياسات العامة

بقت مؤسسة راند متخصصة في تقديم استشاراتها وخبراتها للقادة السياسيين والإداريين الكبار حول العديد من القضايا الرئيسية التي تواجههم في حياتهم اليومية ، كما أنها بقيت رائدة في مجال تقديم الاستشارات التي يحتاجها ويطلبها صناع القرار والسياسات العامة في تعاملهم مع متغيرات أهداف السياسة الخارجية الأمريكية المتصلة بمصالحها القومية والأمنية للولايات المتحدة الأمريكية وعلى الصعيدين الداخلي والخارجي ، يعود تأثير مراكز الأبحاث ، بصورة عامة في السياسة الأمريكية إلى عاملين أساسيين هما(٥٧):-

١- طابع اللامركزية في النظام السياسي الأمريكي الذي يتيح الفرصة للمشاركة في صنع السياسات العامة بصورة مباشرة أو غير مباشرة .
٢- دخول الولايات المتحدة الأمريكية كفاعل رئيسي في العلاقات الدولية منذ بداية القرن العشرين وتطور هذا الدور عبر مراحل مختلفة .

على الرغم من كثرة المؤسسات البحثية المنتشرة في العالم ، الا أن ما يميز المراكز الأمريكية عن غيرها هو تأثيرها الهائل في مجال السياسة الأمريكية ، فمؤسسة راند عملت منذ بداية نشوئها في مساعدة المصالح الأمنية الأمريكية في العصر النووي وحصلت بعد نشوئها على دعم مالي من هيئة أركان سلاح الجو ، ونشر لصالحه دراسات مهمة في تحليل النظم والتفاوض الإستراتيجي وقد شكلت هذه المفاهيم الأسس التي بنت عليها الولايات المتحدة الأمريكية سياساتها الدفاعية ومفهومي الردع والاحتواء طوال سنوات الحرب الباردة(٥٨).

إن عمل مؤسسة راند كأحدى المراكز البحثية في الولايات المتحدة الأمريكية وتأثيرها على صناع القرار السياسي والسياسات العامة يكون خلال نشاطات المؤسسة من خلال إقامتها بإصدار الكتب ونشر الأبحاث والدراسات وإقامة الندوات ومساعدة المرشحين من الرؤساء في الانتخابات وإقامة المؤتمرات العلمية ودراسات تحليلية حول القضايا المطروحة ، فعلى سبيل المثال اهتمت مؤسسة راند بما يسمى (الخطر الإسلامي) منذ اكثر من عشر سنوات وقد صدرت العديد من الدراسات ، ففي عام٢٠٠٥ م صدر تقرير للمؤسسة بعنوان " الإسلام المدني الديمقراطي : الشركاء والموارد والإستراتيجيات"ويرى هذا التقرير انه لا يمكن إحداث الإصلاح المطلوب دون فهم طبيعة الإسلام الذي يقف سداً مانعاً أمام محاولات التغيير، إضافة إلى العديد من التقارير التي صدرت عقب أحداث ١١/ايلول ٢٠٠١ ،وترسل هذه الدراسات إلى مكاتب صناع القرار السياسي وهي بذلك تؤثر في القرارالسياسي (٥٩).

ومؤسسة راند تشارك في إدارة كثير من المراكز التي تعنى بصنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، وتهتم المؤسسة بجودة العمل وتوضح معايير ومبادئ لكل من يعمل في هذه المؤسسة ، بحيث ترتكز في عملها على المبادئ الآتية (٦٠):-

١- المساعدة على تحسين السياسات ووضع القرار من خلال البحث والتحليل .
٢- الالتزام باستهداف المصلحة العامة .
٣- الحرص على نوعية وموضوعية العمل .

كما يكون القرار الفعال لدى مؤسسة راند يقوم على ثلاثة اركان وهي(٦١):-

١- الحكمة الكافية والمعرفة الواسعة من حيث كونها آلية فعالة والوصول إلى القرار .
٢- المهارة الكافية لتنفيذ القرار .
٣- الشجاعة الكافية لاتخاذ القرار .

كما تدعو مؤسسة راند باحثيها الى قيامهم بنشر الكتب في الصحف والمجلات والدوريات السياسية والعامة ، إذ تقوم المؤسسة بإرسال البحوث المختصرة وأوراق العمل إلى الصحف الكبرى لعرضها، ذلك عن طريق تحليل القضايا من قبل الخبراء والمحللين في مؤسسة راند وبدورها سوف تؤثر على قرارات السياسة الخارجية الأمريكية والرأي العام ، اضافة إلى الإدلاء بالشهادات امام الكونغرس له تأثير فعال أمام السياسة الخارجية الأمريكية ، وظلت مؤسسة راند شديدة التأثير في صياغة الرأي العام وصياغة السياسات العامة وصنع القرار الأمريكي وخاصة المؤسسة العسكرية ممثلة في البنتاغون ، في كشف الكثير من المعلومات في الدولة التي تعنى بها وتقوم ببحوث تحليلية حولها ،ومن الدراسات التي أعدتها مؤسسة راند وبموافقة من وزارة الدفاع الأمريكية واستجابة لطلب من الكونغرس ، دراسة تبحث فيها المؤسسة عن خطة الانسحاب الأمريكي من العراق تدريجياً ، إذ حددت الدراسة بانسحاب كافة القوات الأمريكية بحلول شهر أيار ٢٠١١م ، وبقاء قوات تعدادها حوالي ٤٤ ألف جندي أمريكي تتضمن وحدات لتدريب قوات الأمن العراقية، وقد أكدت مؤسسة راند إن من اجل تحقيق الأمن والاستقرار في العراق تعد مرحلة الإطاحة بالنظام السابق (٦٢).

إضافة إلى ذلك فأن مؤسسة راند قدمت دراسات كثيرة وحلول قضايا متعددة من الدول منها على سبيل المثال :- فهم الشأن الصيني، الحرب على أفغانستان، قضية المشاكل الساخنة والاختلال في الموازين ،إضافة إلى القضايا الأخرى التي أشملتها مؤسسة راند في تقرير السنوي حول قضية مشكلة الطاقة في إسرائيل، وتزايد الطلب على الطاقة الكهربائية،يضاف إلى ذلك التعاقدات التي تبرمها الجهات العسكرية والأمنية الأمريكية مع المؤسسة فتلزمها بإجراء محادثات مع العاملين المدنيين والعسكريين العاملين بهذه الجهات، وتعمل المؤسسة على تطوير برامج أبحاثها السنوية، كما تلتزم في الدراسات والتقارير التي تقدمها بما يستقر عليه الرأي من تعليقات واقتراحات وانتقادات، بعد تحديد نطاق الأبحاث ومراحلها وجدولها الزمني، ومن اشهر الدراسات التي

قدمتها مؤسسة راند الأمريكية في هذا المقوس دراسة بعنوان ((تحديث وسائل الدفاع في الصين)) حيث لم تكتفي بالمناقشات التي اجرتها مع كبار قادة سلاح الطيران الأمريكي بل وسعى متخصصين في القيادة المركزية وبعض الدبلوماسيين وعدد كبير من المتخصصين في الملف الصيني(٦٣) .

هكذا يخضع العمل في مؤسسة راند كما تبين وتأثيرها الواضح على السياسية الخارجية في خطوات موضحة ومراجعات مستفيضة داخلياً وخارجياً ، وبذلك فأن مؤسسة راند تقوم خبراتها وحول القضايا الأمنية إلى دول وحكومات مختلفة من دول العالم شرق أسيا وجنوبها وفي الشرق الأوسط والخليج العربي الأمر الذي جذب اتحاد الدول الأوربية لمؤسسة حيث التعاقد معها لمشاركة في تقديم دارساتها وحلول، حيث أكدت تقارير الأوربية أن راند لها دور واضح في ما يتعلق بتوسيع عنصرية حلف شمال الأطلنطي، ومعاهدة القوات التقليدية في أوربا(٦٤).

قامت راند بورشة عمل في ديسمبر ٢٠١٣ لاستشراف سيناريوهات الأزمة في سوريا، مع تحليل الأحداث المتسارعة في العراق وسوريا أخيرا وشارك في ورشة العمل خبراء في الاستخبارات والسياسة ومن مراكز الأبحاث فضلاً عن راند لاستطلاع مستقبل الأزمة على المدى القريب (٢٠١٤-٢٠١٥) وتناولت ورشة العمل أثر الأزمة السورية على المنطقة، كما في الاحتمالات الأربعة وهي: امتداد الصراع أو انتصار النظام، أو انهياره، أو التسوية (٦٥).

الاحتمال الأول: امتداد الصراع، يستمر القتال دون توقف مع استمرار الدعم الخارجي لكل الأطراف، وتجري المعارك بأسلوب الحرب العالمية الأولى وكل طرف يسيطر على منطقة ويتحصّن فيها، فتنقسم سوريا إلى دويلات أربع كأمر واقع: العلويون في الساحل مع دمشق، والأكراد في الشمال الشرقي ودويلة أخرى للمعارضة المعتدلة في الجنوب ، ومعظم محافظة حمص والمناطق المحاذية للحدود اللبنانية ، أما الدويلة الرابعة فهي المناطق التي تسيطر عليها الدولة الإسلامية في العراق والشام مع جيوب لجبهة النصرة، وتضم حلب والرقة ودير الزور، اما الاحتمال الثاني: انتصار النظام، لكن دون توجيه ضربة قاصمة للمعارضة، فهو قادر بالقوة النارية إخراجها من المناطق الآهلة ودفعها إلى جيوب، فتلجأ قوات المعارضة إلى المناطق المحاذية للحدود التركية، أو على طول وادي نهر الفرات، أو في هضاب الجولان، مع جيوب بشرق دمشق وفي بعض حلب ،لكن هذا الاحتمال يعني استمرار الحرب قرب الحدود ومن خلالها بين النظام وبقايا قوى المعارضة .

الاحتمال الثالث: انهيار النظام، وذلك عندما يمارَس ضغط كافٍ على الجيش السوري في جبهات مختلفة، فيعاني من استنزاف بشري لا يمكنه تعويضه ،ولن يكون انهيار النظام بمعركة واحدة فاصلة، بل بالتراجع الديموغرافي المستمر على مدى شهرين أو ثلاثة، مع بعض الأسلحة المتقدمة لتحييد قوته لكن هذا الانهيار لن يوصل لقيام حكومة جديدة مستقرة بل ستنتشر مناطق نفوذ في أرجاء سوريا تتوزع على القوى المسلحة المختلفة فكرياً وسياسياً.

الاحتمال الرابع: التسوية السياسية بين النظام والمعارضة، هو متفائل وأقل واقعية، وفق اتفاق جنيف أو غيره، بعد أن يصاب الكل بالإنهاك ، ولو تمت التسوية فستؤدي لتهميش الجماعات الجهادية، ولإخراج عائلة الأسد من دون بقية النظام البعثي، من الحكم ومن سوريا بشكل دائم ، ويتوقع التقرير استمرار المناوشات بين سائر الفصائل كما بين الدولة والجبهة، فيما يقوم مجلس انتقالي متعدد الطوائف فيحكم لفترة محددة، أما كيف يتعامل التقرير مع التطورات التي تلت ورشة العمل نهاية عام ٢٠١٣، فيقول إن الخبراء كانوا يعتقدون أن امتداد النزاع هو الخيار الأفضل ،لكن مسار المعارك بدأ ينحو نحو احتمال انتصار النظام، مع تراجع احتمال التسوية السياسية، فيما يعتقد قلة من الخبراء بإمكان صمود المعارضة ، ورأى الخبراء المشاركون في الورشة أن انتصار النظام ليس هو أسوأ احتمال بالنظر إلى مصالح أمريكا، ورأى الخبراء أن انهيار النظام هو أسوأ احتمال، كما اعتبروا أن الآثار الاستراتيجية هي نفسها لاحتمالي التسوية السياسية أو انتصار(٦٦).

الخاتمة :-

توصلنا بخصوص مؤسسة راند إلى مجموعة من الاستنتاجات من أهمها ما يأتي :-

- تعد مؤسسة راند من أهم المراكز البحثية المتعاقدة مع الحكومة الأمريكية.
- تقديم الاستشارات والخبرات للسياسيين وصناع القرار الأمريكي من أهم نشاطات المؤسسة .
- تعتمد في ماليتها على مصادر تمويل متعددة ولكن معظم تمويلها يأتي من سلاح الجو الأمريكي ومكتب وزير الدفاع .
- تركز في أعمالها على خمسة مجالات سياسية وهي التخطيط والتحليل الدفاعي ، رأس المال البشري، السياسة الدولية ، إدارة الموارد والسياسة الاجتماعية .

- تساعد المعلومات التي تقدمها مؤسسة راند لصناع السياسات العامة ، في تحليل وفهم العديد من القضايا ، وتساعد في مدهم بأهم المعلومات التي يعتمدون عليها في صنع سياساتهم .

ويمكن أن نقدم مجموعة من التوصيات بهذا الشأن من أهمها ما يأتي :-

- يجب النظر الى مراكز الأبحاث من قبل الجهة الممولة لها على ان عمل هذه المراكز هو مدها بالأفكار والاستشارات والخبرات وليس نظيرا لعمل وسائل الإعلام .
- ان تضم مراكز الأبحاث في كوادرها اعضاء يتمتعون بإمكانيات علمية وإدارية قوية ، وان تخضع باستمرار لدورات تدريبية تطور من عملها .
- تأسيس مراكز أبحاث في كل وزارة يكون ارتباطها بمكتب الوزير مباشرة ، تضم باحثين متفرغين يقومون برصد القضايا والتطورات المختلفة الداخلية والخارجية ، وإعداد الخطط والدراسات اللازمة لمساعدة الوزراء وهيئات الرأي على اتخاذ القرارات المرتبطة بالارتقاء بعملهم ورسم ملامح السياسة العامة لوزاراتهم .
- توفير التمويل المالي والدعم المؤسسي القوي لتنجح مراكز الأبحاث والدراسات في تحقيق أهدافها ، على أن يكون التمويل والدعم كافيا لتأمين المستلزمات المادية والبشرية التي تحتاج إليها المراكز لتمويل نشاطاتها كافة.
- لا بد من وجود علاقة قوية بين مؤسسات صنع القرار السياسي ومراكز الأبحاث والدراسات لتأمين القيام بعملية الباب الدوار .

المصادر:-

١- شاهر إسماعيل الشاهر، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث /١١ أيلول/٢٠٠١م، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،٢٠٠٩،ص٦٠

٢- مهدي شحادة، و صالح بكري الطيار، دور مراكز الدراسات العربية في صناعة القرار، ط١، مركز الدراسات العربي الاوربي ، بيروت ، ١٩٩٩، ص .١١

٣- صباح عبد الرزاق كبه،مراكز الأبحاث الأمريكية ودورها في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية،ط١،الاحمدي للطباعة الفنية،بغداد، ٢٠١٠،ص٢٥.

٤- انمار محمد جميل، "مراكز الأبحاث في الولايات المتحدة الأمريكية: تحليل وتقويم" مجلة دراسات الجامعة الأردنية، العدد ٤، نيسان/٢٠٠٤، ص ٢٨.

٥- سامي الخزندار وطارق الاسعد ، دور مراكز الفكر و الدراسات في البحث العلمي و صنع السياسات العامة ، دفاتر السياسة والقانون ، العدد٦ ، الجامعة الهاشمية ، الاردن ، ٢٠١٢،ص٣.
٦- فؤاد علي بكر، المراكز البحثية ودورها في التنمية والاستقرار، ٢٠١١، على الموقع الإلكتروني www.makacttooblog.com
٧- خالد عليوي العرداوي،تفعيل دور مراكز الابحاث في صنع القرار السياسي العراقي،مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية، على الرابط الآتي :-http://fcdrs.com
٨- سامي الخزندار وطارق الاسعد ،مصدر سبق ذكره ، ص٦-٩.
٩- عبد الرزاق فارس الفارس، "مراكز البحوث و صناعة القرار في دولة الإمارات العربية المتحدة، مجلة التنمية و السياسات الاقتصادية، المجلد الخامس، العدد الثاني، ٢٠٠٣ ،ص ١١٧ - ١١٨.
١٠-المصدر نفسه ،ص١١٨
١١-سامان سورتاي ،وظائف بنوك التفكير والتخطيط الإستراتيجي واهميتها، على الرابط الآتي :- www.iraqicp.com
١٢-نوري محمد ، مراكز التفكير أو مستودعات الافكار ، على الرابط الآتي :- http://www.facebook.com
١٣-صطفى عبد الغني، المستشرقون الجدد (دراسة في مراكز الأبحاث الغربية) الدار المصرية واللبنانية للنشر ٢٠٠٧ ،ص ١٨.
١٤-عبد الحافظ عبد الجبار، مراكز الدراسات والبحوث في العالم "دراسة مترجمة"، مركز دراسات الوطن العربي، العدد ٢ ،٢٠٠٧ ،ص١٥.
١٥-سامي الخزندار وطارق الاسعد ، مصدر سبق ذكره ،ص٩.
١٦-حسن ابشر الطيب ، الدولة العصرية دولة مؤسسات ، ط١ ، الدار الثقافية للنشر والتوزيع،القاهرة،٢٠٠٠،ص٥٦ .
١٧-احمد سعيفان ، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية ، ط ١ ، مكتبة لبنان ناشرون،بيروت،٢٠٠٤،ص٢١٣.
١٨-فهمي خليفة الفهداوي ، السياسة العامة منظور كلي في البنية والتحليل ، ط ١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠١ ، ص ٢٨ .
١٩-المصدر نفسه ، ص ٢٨ .
٢٠-فهمي خليفة الفهداوي ،مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨ .
٢١-عباس حسين جواد وارزوقي عباس عبد ، السياسات العامة ،(د.ط)، دار الصادق ، بابل ، ٢٠٠٨ ، ص٦.
٢٢-سلوى شعراوي جمعة ، تحليل السياسات العامة في الوطن العربي ،(د.ط)، مركز دراسات واستشارات الإدارة العامة،(جامعة القاهرة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية) ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٥ .

٢٣-محب الدين ابو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس،ج٨،دراسة وتحقيق : علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ٣٢٢ . للمزيد من التفاصيل ينظر : ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي ، لسان العرب،ج٧، ط ٣ ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٠١ .

٢٤-عامر خضير الكبيسي ، السياسات العامة ... مدخل لتطوير أداء الحكومات،(د.ط)،إصدارات التنمية العربية للبحوث والدراسات ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ص ٨ .

٢٥-احمد دسوقي محمد إسماعيل ، أصول تحليل السياسات العامة ،(د.ط)، مركز دراسات واستشارات الإدارة العامة (جامعة القاهرة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية)،القاهرة،٢٠٠٩، ص ٣٥ .

٢٦-المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

٢٧-احمد مصطفى الحسين ، تحليل السياسات العامة ، ط ٢ ، المركز العلمي للدراسات السياسية،عمان،٢٠١٢،ص ٧ .

٢٨-أماني قنديل وآخرون ، اتجاهات حديثة في علم السياسة، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،١٩٨٧،ص١٠٨ .

٢٩-إبراهيم بدر شهاب ، معجم مصطلحات الادارة العامة ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، عمان،١٩٩٨،ص٦.

٣٠-السيد ياسين ، السياسات العامة .. القضايا النظرية والمنهجية ، في : علي الدين هلال وآخرون ، تحليل السياسات العامة .. قضايا نظرية ومنهجية، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٩ .

٣١-جيمس اندرسون ، صنع السياسات العامة ، ترجمة : عامر الكبيسي، ط ٤ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع،عمان،٢٠١٠ ، ص ١٥ .

٣٢-بسيوني ابراهيم حمادة ، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي، ط ١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص ١٠٧ .

٣٣-مها الحديثي ، العلاقة بين السياسة والإدارة في دول العالم الثالث ، مجلة قضايا سياسية ، (كلية العلوم السياسية - جامعة النهرين) ، العدد (١) ، بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ١٣٩ .

٣٤-ثامر كامل الخزرجي ، النظم السياسية الحديثة والسياسات العامة، ط ١ ، مجدلاوي للنشر والتوزيع،عمان،٢٠٠٤ ، ص ٢٩ .للمزيد من التفاصيل ينظر :
فهمي خليفة الفهداوي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠ . وكذلك ينظر :

- Wildavsky , a., principles for agraduate school of public policy , public administration bulletin , 1978 , p 11 .

٣٥-شام الغريري، صنع القرار في السياسة الأمريكية، دراسات استراتيجية، مركز الدراسات الدولية، العدد ١٨ ،٢٠١١ ،ص٢٥.

٣٦-أسامة مرتضى السعيدي، تكنولوجيا الإعلام وعملية اتخاذ القرار السياسي الخارجي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين٢٠٠٢،٠،ص١٢٥ .
٣٧-صباح عبد الرزاق كبه ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٢ .
٣٨-فؤاد علي بكر، المراكز البحثية ودورها في التنمية والاستقرار، ٢٠١١ ،على الموقع الإلكتروني www.makacttooblog.com
٣٩-صباح عبد الرزاق كبة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩١ .
٤٠-منذر سليمان، "دولة الأمن القومي وصناعة القرار الأمريكي"، مجلة المستقبل العربي، مركز الوحدة العربية، العدد ٣٢٥ ،السنة الثامنة والعشرين،٢٠٠٦ ، ص٣٦ .
٤١- Howard J. Wiarda, "The New Powerhouses: Think Tanks and Foreign Policy" American Foreign Policy Interests, 2008 ,pp98-99 .
٤٢-سامي الخزندار وطارق الأسعد ،مصدر سبق ذكره ، ص١٩ .
٤٣-المصدر نفسه ، ص٢٠ .
٤٤- Mahmood Ahmad, "US Think Tanks and the Politics of Expertise: Role, Value and Impact", The Political Quarterly, Vol. 79, No. 4, October-December, 2008 ,pp550-552.
٤٥-صباح عبد الرزاق كبة ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٠.
٤٦-فؤاد علي بكر ، مصدر سبق ذكره .
٤٧-صباح عبد الرزاق كبة ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٣ .
٤٨-صباح عبد الرزاق كبة ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٤ .
٤٩-شبكة أبحاث وول ستريت على الرابط الاتي : http://wsrn.com .
٥٠-رغد علي حسن، جماعات الضغط والسلطة التشريعية في الولايات المتحدة الأمريكية : دراسة حالة منظمة كير، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٠٨ ،ص . ٩٨
٥١-نورس نجم عبد الله، المتغيرات المؤثرة في توجهات السياسة الخارجية الأمريكية في عهد المحافظين الجدد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٠٩ ،ص . ٢٠
٥٢-جايمس تومسون، مؤسسة راند البحثية، على الموقع الإلكتروني- www.qater-wise.com .
٥٣-المصدر نفسه .
٥٤-مايكل د. ريتش، مؤسسة راند: كيف تتفاعل مؤسسات الفكر والرأي مع المؤسسة العسكرية دراسات استراتيجية، مركز الكاشف للدراسات الإستراتيجية،

العدد ١ ،أذار /٢٠٠٥ ،ص ٤٧ . -٤٨ ، وكذلك ينظر :صلاح عبد الرزاق كبة ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٥ .

٥٥-جايمس تومسون ، مصدر سبق ذكره .

٥٦-صباح عبد الرزاق كبة ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٤ .

٥٧-انظر كل من :

- مصطفى عبد الغني، المستشرقون الجدد (دراسة في مراكز الأبحاث الغربية) الدار المصرية واللبنانية للنشر ٢٠٠٧، ص٢٠.
- كريم القاضي، "مراكز الدراسات" وتأثيرها في السياسة الخارجية الأمريكية، ملف الأهرام الاستراتيجي، مركز الكاشف للدراسات الإستراتيجية، العدد١ ، ٢٠٠٥ ، ص٢٢ .

٥٨-باسم الخفاجي ، اثر المراكز الفكرية في السياسة الخارجية الأمريكية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٦٩ ،السنة الثلاثون، ٢٠٠٩ ،ص ٤١ . -٤٣

٥٩-تقرير مؤسسة راند ، مركز الدراسات المؤثرة على السياسة الخارجية الأمريكية،٢٠١٢ ، على الرابط الاتي : www.nahdha-leaks.blogspot.com

٦٠-المصدر نفسه .

٦١-عبد الله بن سميط ، مؤسسة راند وصناعة القرار ، مجلة العصر ٢٠١١ ، على الرابط الآتي :- www.alasr.ws

٦٢- فردريك دي . بارتون، بات شيبا، ان كرور، عراق ما بعد الحرب، ترجمة محمود احمد عزت، دراسات مترجمة، العدد٢٧ ، ٢٠٠٤ ،ص ١١.

٦٣-عبد الله بن سميط، مصدر سبق ذكره.

٦٤-حسن عبد ربه حسن علي، مصدر سبق ذكره، ص ٨١ . -٧٩

٦٥-تقرير مؤسسة راند الأمريكية عن احتمالات النزاع الدائر في سوريا ، على الرابط الاتي : https://www.politics-dz.com

٦٦-المصدر نفسه .

Contnty

1- The Theory of Set Point Net in the Holy Qur'an: The Principle of the Theory

Aiman Eid Al-Rawajfeh
Tafila Technical University, Tafila 66110, Jordan

2- "Quran and its Treatment of Mental Health"

Dr. Hasan Mahmood Shukir
College of Imam Kadhim (Peace upon him)

3- An Assessment of Oral English Communication Strategies Employed by Iraqi EFL College Students

Asst. Inst: Rana Salem obeed
Ministry of Education

4- Sociolinguistics in Mark Twain's the Adventure of Huckleberry Finn

assistant teacher : Hayder Kadhim Jerri

5- The Impact of the Preposition(من)in the Al-Biqa'ie's Interpretation Named "Nudhumud-Durarfi Tanasubil-Aayatiwa's-Suwar"

Dr. Sa'ad Muhammed Ahmed
University of Mosul/Collage of Basic Education

6- Arab imagination towards the culture of nations and peoples

Assistant. teacher : Muhannad Radi Khuzai
Imam Kadhim College of Sciences Islaic University
Department of Histoy

7- Caliph al-Ta'eeh to Allaah and the Princes of Buhayyan (363-381AH / 974-991 AD)

Mohammed Salman Hmoud Al-Safi
General Directorate of DhiQar Education / Department of Education Qal'atSukkar, 2017

8- The non- judicial tasks of the Fatimid judge in Egypt

Assist.instructor: Jawad Kadhim Hassan
Imam Kadhim University College of Islamic Sciences

openkandil.com

9- *(Historical relations between Yemen and Abyssinia for the period 647-827 AH / 1249-1423)*

M.Dr: Nidhal Abd Jabbar
Department of History
Faculty of Imam Kadhim(p)

10- *Bathrooms heritage The holy city of Karbala baths form*

M.Dr.seemaa attallah Hussein
Faculty of archaeology-university of kufa
Iraq-karbal

11- *Features of the habits and traditions of the Arabs before Islam*

Lecturer: Hasanain Abdul razzaq Hasan Hadi
Mustansiriyah University College of Education – Geography dept

12- *The Role of Scientific Research Centers in Policy Makingin the United States of America*

Asst. Instructor. Raghad Ali Hassan
Imam Al - Kadhim College of Islamic Sciences

obeikandl.com

الاطروحة
Al-utroha
Refereed Journal
www.alutroha.com
Published on House Al-urtroha for publication of scientific
ISSN 2518 - 0606

Humanities; Social Science

obeikandl.com

ISSN2518-0606

الاطروحة

Al-utroha

First issued in August 2002 Refereed Journal

www.alutroha.com Published on House Al-urtroha for publication of scientific

Humanities; Social Science

- *The Theory of Set Point Net in the Holy Qur'an: The Principle of the Theory*
- *"Quran and its Treatment of Mental Health"*
- *Sociolinguistics in Mark Twain's the Adventure of Huckleberry Finn*
- *Arab imagination towards the culture of nations and peoples*
- *Caliph al-Ta'eeh to Allaah and the Princes of Buhayyan (363-381AH / 974-991 AD)*
- *The non- judicial tasks of the Fatimid judge in Egypt*

The ninth - the Third year 2018/ 1439 b

AL-UTROHA.COM